جغرافية السلالات البشرية

أ.د. إبراهيم دسوقى محمود

أستـاذ الجغرافيا

وعميد كلية الآداب السابق

كلية الآداب

قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية

العام الجامعي

2023/2022م

بيانات الكتاب

الكلية: التربية

الفرقة: الثانية

التخصص: شعبة الجغرافيا

عنوان الكتاب: جغرافية السلالات البشرية

تاريخ النشر: 2023م

عدد الصفحات: 249

المؤلف: أ.د. إبراهيم دسوقى محمود

((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ
مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))

"الإسراء،70"

الفهرس

	الموضـوع	رقم الصفحة
ـــــ	مقدمـــة	12-7
الفصل الأول	المسرح الجغرافى للإنسان الأول	47-13
الفصل الثانى	أسس تقسيم السلالات البشرية	87-48
الفصل الثالث	التصنيف السلالى للجنس البشرى	107-88
الفصل الرابع	التصنيف السلالى والتفرقة العنصرية	137-108
الفصل الخامس	توزيع السلالات البشرية في العالم	197-138
الفصل السادس	الجماعات البشرية القديمة	220-198
الفصل السابع	جغرافية مصر السلالية	245-221
ـــــ	المراجع	249-246

مقدمة :

انصب الاهتمام بدراسة الجنس البشرى Races of Mankind فى البداية على علماء "الأنثروبولوجيا الطبيعية Physical Anthropology " والذين ركزوا على تطور الإنسان وتتبع أصوله القديمة مع الاستعانة فى ذلك بعلوم أخرى مثل "البيولوجيا Biology"(علم الأحياء) وأيضاً "الأثنولوجى Ethnology"والذى يهتم بدراسة الحضارات فى الوقت الحاضر و"الآركيولوجي Archeology"(علم الآثار)، وقد زاد الاهتمام بأصول الإنسانية الأولى وثار جدلاً واسعاً بشأنها نشر كتاب "أصل الأنواع Origin of Species" لتشارلز دارون سنة 1859م، والذى رسم فيه صورة مركبة لتتابع الأحياء وكيف أن البسيط يسبق المعقد ويتقدمه زمنياً، وحاول "دارون" فى كتابه هذا إثبات علاقة إحيائية بين القديم والحديث.

أما علم الجغرافيا فقد اهتم منذ نشأته بدراسة الإنسان كأحد أضلاع اهتمام الجغرافيا ذاتها (الإنسان، المكان،الزمان) ، واستفادت الجغرافيا فى دراستها لتطور الإنسان وانتشاره بهذه العلوم المتصلة بدراسة الإنسان كالأنثروبولوجيا والبيولوجيا والأثنولوجيا والآثار والتاريخ وغيرها من العلوم الأخرى.

وقد أفرز ذلك إضافات جغرافية لها أثراً ملموساً فى جغرافية السلالات البشرية من حيث دراسة نشأة الإنسان وموطنه الأصلى ثم انتشاره ومسالك هذا الانتشار على بقاع المعمورة، وتميز كل مجموعة بشرية بصفات خاصة وسمات مميزة تعكس تشابهاً بينها وتبايناً مع غيرها ودور العوامل البيئية والبشرية المتفاوتة فى هذا التشابه وذلك الاختلاف.

كان للمدرسة الجغرافية المصرية إسهاماتها المتميزة فى مجال دراسة جغرافية الجنس البشرى والسلالات الإنسانية بدءاً من محمد عوض محمد (سكان هذا الكوكب ، الشعوب والسلالات الأفريقية.....) إلى إبراهيم رزقانة (العائلة البشرية) ومحمد السيد غلاب (تطور الجنس البشرى) يسرى الجوهرى (الإنسان وسلالاته) مروراً بالدراسات البشرية المتميزة لكل من مصطفى عامر وسليمان حزين ومحمد السيد غلاب، فكانت إضافات هؤلاء الرواد كاشفاً وهادياً لدراسة جغرافية السلالات البشرية.

تحاول هذه الدراسة تناول جانب من جغرافية الأجناس والسلالات البشرية وذلك عن طريق اتخاذ منهج الجغرافيا التاريخية للمجموعات البشرية الحالية و من خلال أسلوب يتفق مع دراسات الجغرافية التاريخية من حيث دراسة الموطن الأصلى للإنسان والمفترض كيف يكون؟ وما تعرض له خلال الأزمنة الجيولوجية السابقة خاصة التغيرات المناخية خلال البلايستوسين ونتائجها على البيئة الجغرافية، ثم محاولة تحديد الموطن الأصلى للإنسان من خلال تتبع آثاره الأولى، وهذا ما تناوله الموضوع الأول فى هذه الدراسة

ويهتم الموضوع الثانى بمفهوم "السلالة" وماذا تعنى قديماً وحديثاً؟ وما هى الأسس والقواعد التى حددها علماء الأجناس البشرية لتقسيم البشر وتصنيفهم إلى سلالات ومدى تطابق هذه المعايير والقواعد على الواقع البشرى وهل هى حاسمة أو قاطعة فى هذا المجال وما هى نتائج هذا التصنيف على المجموعات البشرية الكبرى فى العالم.

ويأتى الفصل الثالث كتطبيق للفصل السابق له حيث يقوم باستعراض لأهم المحاولات البحثية التى تناولت التصنيف السلالى للعائلة البشرية منذ

منتصف القرن الثامن عشر (1740م) حيث حاول عالم النبات "لينانوس Linnaeus" تصنيف البشر إلى مجموعات سلالية متباينة كما هى الحال فى العائلة النباتية وهى محاولة اتسمت بنوع من العمومية، ثم توالت التصنيفات التى ارتكزت على قواعد علمية مثل تصنيفات كل من: دنكر Deniker، هادون Haddon ، فون ايكشتد Eicksted ، هوتون Hooton، وأخيراً تصنيف سونيا كول Cole، ويتم شرح كل هذه التصنيفات وأيضاً ما يؤخذ على كل تصنيف منها.

لم تقض الأطر العلمية والقواعد الأكاديمية على فكرة الاستعلاء والتميز على أساس النوع والجنس ، فعلى الرغم من وضع قواعد علمية صارمة لتصنيف البشر إلا أن هذه القضية كانت ولازالت تمثل إحدى المشكلات التى تؤرق البشرية وتمثل عاملاً من أهم عوامل عدم الاستقرار فى عديد من دول العالم بالرغم من الجهود الرسمية والأهلية التى تحاول التخفيف من وطأتها،ألا وهى مشكلة التفرقة العنصرية، ويقوم الفصل الرابع بتتبع هذه المشكلة من أقدم العصور حتى الوقت الراهن محاولاً إلقاء الضوء على هذه الأزمة المستحكمة، مع التطبيق على بعض النماذج الحديثة(جنوب أفريقيا والولايات المتحة الأمريكية).

أما الموضوع الخامس فيرتبط بتوزيع المجموعات البشرية على قارات العالم الست (العالم القديم" أورآسيا و أفريقيا" والعالم الجديد" الأمريكتين وأستراليا) وذلك جانب مختلف إلى حد ما عن الكتابات السابقة حيث يتم التركيز على العناصر البشرية الأساسية المكونة لقارات العالم من خلال تقسيم القارات إلى أقاليم جغرافية داخلية ودراسة التكوين السلالى والبشرى

لكل إقليم حيث ينعكس أثر الجغرافيا والسمات المكانية فى هذا التوزيع ، مما يعطى خريطة متكاملة للمجموعات البشرية فى العالم.

ويفرد الفصل السادس المجال لتقديم مجموعات بشرية لم تندرج تحت لواء المجموعات الرئيسة الكبرى (الزنوج ، القوقاز ، المغول) وقد صُنفت هذه المجموعات والتى يمكن أن يُطلق عليها " النوايات البشرية" كأقدم المجموعات الإنسانية على الإطلاق حيث تعيش فى مناطق منعزلة ويتهدها الانقراض، إن لم ينقرض البعض منها بالفعل.

وتُختتم الدراسة (الفصل السابع) بموضوع يرتبط بجغرافية مصر السلالية وذلك فى محاولة لرسم بانوراما أو صور متتابعة لتطور مصر سلالياً منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث وأبرز المحطات المؤثرة فى تاريخ وجغرافية مصر السلالية.

تحاول هذه الأوراق تقديم معلومات عن جغرافية السلالات البشرية فى صورة مبسطة يمكن معها استيعاب تطور الجنس البشرى عبر منظور الجغرافيا التاريخية والبعد نسبياً عما يرتبط وتهتم به العلوم الأخرى (الإنسان . الأحياء).

وقد كانت الأعمال العلمية السابقة هادياً ومرشداً لهذه الدراسة، ومن هذه الدراسات "سكان هذا الكوكب" لمحمد عوض، "العائلة البشرية" لإبراهيم رزقانة، "الإنسان وسلالته" ليسرى الجوهرى، و"السلالات البشرية" لهادون Haddon،و"سلالات أوروبا" لكون Coon، وغيرها من المراجع والمصادر المدونة فى قائمة بنهاية الدراسة.

وأخيراً أرجو أن تكون هذه الدراسة باباً لمزيد من الدراسات المرتبطة بجغرافية الجنس البشرى وسلالات الإنسان البشرية تفيد طلاب مرحلة الليسانس وغيرهم من المهتمين بنشأة الإنسان وتطوره على كوكب الأرض.

الفصل الأول

المسرح الجغرافى للإنسان الأول

تشترك الأحياء البشرية فى أصل واحد انتابه التغير كنتيجة لمقتضيات تغير البيئة الجغرافية وقد انتقل هذا التغير عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف فحدث تغير سلالى خلال أجيال متعاقبة ومتعددة ، ثم ما تلبث أن تختلف الفروع عن الأصول بعد مرور فترة من الزمن وتكّون هذه الفروع أصولاً مستقلة والأخرى بدورها تتفرع منها فروع أخرى وهكذا.

وتسهم "الطفرة Mutation"[1] فى إحداث التغير السلالى، والطفرة عبارة عن ظهور صفات وراثية جديدة مفاجئة أثبتت جدارتها وتكيفت مع البيئة، وتحدث نتيجة لاختلافات فى التكوين الكيميائى للوحدات الوراثية أو الكروموزومات وتكون الطفرة مسئولة عن تكون نوع جديد يصبح فرعاً قائماً بذاته منفصلاً عن غيره من حيث الأصل وبمرور الزمن تقوى الصفات الطافرة فى النوع الجديد وتزداد تخصصاً وتبعد تماماً عن الفرع الذى تشعبت منه إلى أن تدخل فى دائرة جنس جديد.

بالإضافة إلى الطفرة هناك عوامل أخرى لها دور فعال فى عملية التغير السلالى التى تنتاب النوع الواحد"كالاختلافات العشوائية Genetic Drift" و"الاختيار الطبيعى Natural Selection"(**عملية مهمة ولكنها ليست الوحيدة ويحدث من خلالها التطور في التجمعات الأحيائية. وبخلاف الاختيارغير الطبيعى، الذي يقوم فيه الإنسان بمحاباة سمات معينة، ففي الاختيار الطبيعي، البيئة هي التي تقوم بغربلة السمات والسماح لسمات معينة بالمرور للأجيال اللاحقة)**[2] والمسئولة عن

([1]) تمثل الطفرة المادة الأولية اللازمة لتوالد التنوع الجيني، وهي ضرورية كي يحدث التطور وتأثير الطفرة قد يكون ضاراً، أونافعاً، أو محايداً (لا تضر ولا تنفع)والطفرة الضارة تتم تصفيتها عن طريق الاختيار الطبيعي،وتمثل الطفرة إحدى آليات التطور.

([2]) الاختيار الطبيعي هو حجر أساسي في علم الأحياء الحديث، وأول من استخدم هذا المفهوم تشارلز داروين فى كتابه أصل الأنواع 1859م.

اختيار الإمكانات والصفات التى يمكن أن تعمر مع البيئة، ومعنى ذلك أن الوراثة والبيئة كانتا أساس عملية التطور عبر التاريخ إذ أن التطور فى حد ذاته ليس إلا نتيجة لعمليات تلائم الكائنات مع البيئات المختلفة التى يعيش فى كنفها الإنسان.

. ظهور الإنسان:

انتاب كوكب الأرض خلال الزمن الرابع (البلايستوسين) تقلبات مناخية وتطورات فى البيئة الجغرافية فحدثت فترات جليدية فى العروض الشمالية بينما شهد ت العروض الوسطى فترات مطيرة، بالإضافة إلى أن العلاقة بين اليابس والماء أخذ شكله النهائى خلال هذه المرحلة.

تؤرخ أقدم البقايا البشرية التى وجدت للإنسان إلى عصر البلايستوسين والتى تعود لمليون سنة، وقد تطور الإنسان تطوراً سريعاً فى البلايستوسين واتفقت فترة تطوره السريع مع الأدوار الجليدية البلايستوسينية ولذلك يربط العلماء بين الحدثين (تطور الإنسان، ظهور الجليد) ويعتبرون الحدث الثانى مؤثراً فى الأول واتخذ العلماء آثار الإنسان دليلاً على الزمن الذى استغرقه فى تطوره.

تُقسم الآثار الحضارية الإنسانية إلى عدة مراحل حضارية يمكن اعتبارها فى نفس الوقت مراحل زمنية وهذه المراحل هى:

1. العصر الحجرى القديم (الأعلى . الأوسط . الأسفل).
2. العصر الحجرى المتوسط.
3. العصر الحجرى الحديث.
4. عصر البرونز.
5. عصر الحديد.

وقد استغرقت المراحل الأربع الأخيرة فترة تتراوح بين العشرة آلاف والخمسة عشر ألفاً من السنين بعد نهاية الزمن الرابع، فإذا كان البلايستوسين مقداره مليون سنة فمعنى هذا أن الإنسان عاش فى العصر الحجرى القديم حوالى مليون سنة أى أنه عاش فى هذا العصر حوالى 99 % من عمره وعاش فى الأربعة عصور الباقية 1% فقط.

ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أن الفروق الحضارية شديدة التباين بين المرحلتين فكان التطور الحضارى فى عصوره الأولى بطيئاً بينما كان سريعاً فى عصوره الحديثة وإن كان تقدمه السريع لم يتم إلا فى الخمسين ألف سنة الأخيرة.

التغيرات المناخية فى عصر البلايستوسين:

يتسم عصر البلايستوسين بتطور المسرح الجغرافى للإنسان أى تطورت البيئة الجغرافية والتى كانت المعالم التضاريسة الكبرى لها قد استقرت منذ عصر الميوسين(الزمن الثالث) وقد تحددت فى البلايستوسين العلاقة بين اليابس والماء على الشكل الحالى كما تطور فيه المناخ والنبات تطورات عديدة حتى استقر إلى الوضع المعروف عليه الآن.

أولاً : العصر الجليدى

أهم ما يتصف به عصر البلايستوسين ظاهرة الجليد أو ما يعرف باسم "العصر الجليدى" عندما أخذت درجات الحرارة تنخفض انخفاضاً كبيراً مكّن الجليد من التراكم فوق مساحات واسعة من النطاقات الشمالية للكرة الأرضية حتى بلغ خط عرض 45^{o} شمالاً، بينما حدث فى شمال أفريقيا والعروض

المدارية الأخرى فترات مطيرة بدت آثارها ماثلة حتى الآن فى نطاق الصحروات التى تقع بالنطاق المدارى .

أسباب حدوث الجليد:

بدأت درجة الحرارة تنخفض تدريجياً منذ عصر الميوسين (الزمن الثالث) كما بدأت الغابات الحارة وشبه المدارية تتقهقر نحو خط الاستواء إلى أن قدم عصر البلايوسين فأصبحت ظاهرة انخفاض الحرارة من الوضوح بحيث أصبح حدوث عصر جليدى فى البلايستوسين أمراً طبيعياً خاصةً وأنه مع نهاية الزمن الثالث (الكاينوزوى) حدثت حركات جيولوجية تكتونية أدت إلى تكون سلاسل جبلية (الألب فى أوروبا،الهمالايا فى آسيا،الروكى والأنديز فى العالم الجديد) ومن ثم ساعدت على انخفاض درجة الحرارة ومن ثم وجود غطاءات جليدية فوق منحدراتها، ومع تزايد هذه الثلاجات بدأت تتقدم وتعمل بدورها على خفض درجة الحرارة بصفة عامة إلى أن اكتسبت قوة ذاتية لنموها .

ساعد على تمدد الغطاءات الجليدية واتساع نطاقها طرد كمية كبيرة من الإشعاع الشمسى الواصلة للأرض حيث ثُبت أن الأرض المكسوة بالجليد تعكس إلى الفضاء نسبة تقترب من 80% من كمية الإشعاع فى حين أن الأرض الخالية من الجليد تعكس ما يقرب من 20% فقط من كمية الإشعاع الواصل إليها ويبدو الفارق واضحاً بين الرقمين وهو ما يؤكده انتشار الجليد واتساع نطاقاته فى العروض الشمالية للكرة الأرضية .

مازالت بداية ونهاية عصر البلايستوسين محل جدل كبير بين العلماء إلا أن هناك رأى من العلماء يعتقد أن بدايته تتفق مع ظهور أولى بشائر الجليد التى صاحبت ظهور الإنسان الحالى والفيل والجمل ، أما عن أقسامه

المتعددة فقد اتفق العلماء على تقسيم البلايستوسين إلى ثلاثة أقسام (الأسفل ، الأوسط ، الأعلى) فالبلايستوسين الأسفل ينتهى مع الفترة غير الجليدية الأولى(جينز/مندل) بينما البلايستوسين الأوسط تتفق نهايته مع انتهاء الفترة الجليدية الثالثة(رس) والبلايستوسين الأعلى يشمل الفترة غير الجليدية الثالثة والفترة الجليدية الرابعة(رس/فرم).

الجليد فى أوروبا:

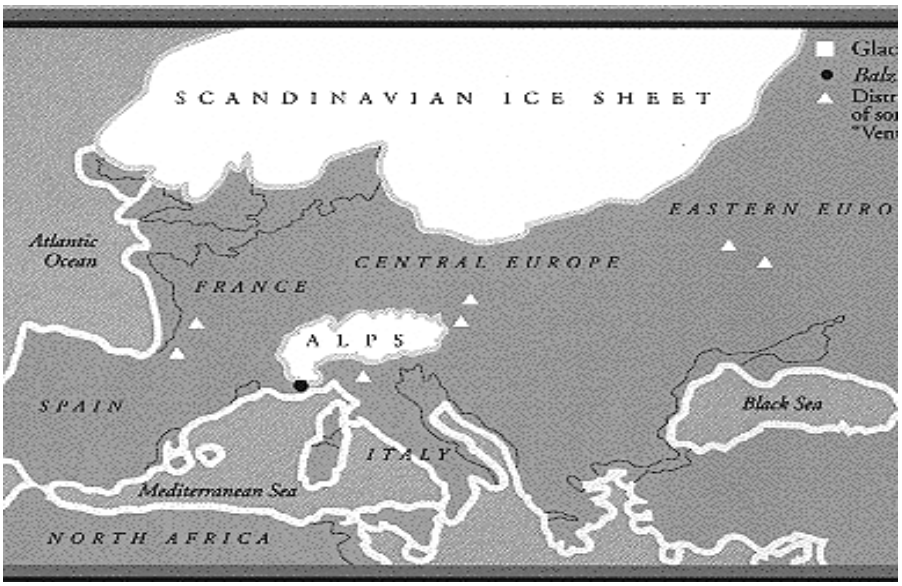

(النطاقين الجليديين (الإسكندنافى والألبى)فى أوروبا خلال عصر البلايستوسين)

تعد قارة أوروبا مجالاً خصباً وثرياً للدراسات الجليدية مقارنةً بغيرها من قارات العالم الأخرى سواء كانت آسيا أو العالم الجديد والذى لم يصل إليه الإنسان إلا متأخراً أما أفريقيا كان تأثرها بالجليد طفيفاً (على القمم المرتفعة) حيث شهدت فترات مطيرة بنطاقها المدارى.

يُقسم العصر الجليدى فى أوروبا(حسب مواضع اكتشاف آثاره) إلى أربع فترات جليدية وتُنسب كلها إلى جبال الألب وهى "جينز Genz . مندل Mindle . رس Riss . فرم Wurm" ويعد جليد الرس هو أكثر الفترات الجليدية انتشاراً وأطولها زمنياً أما جليد الفرم (الأخير) فقد تخللته أربع فترات دفيئة وبانتهائه تحسنت الظروف المناخية حيث ارتفعت درجة الحرارة فى الفترة المعروفة باسم "الأحسن مناخاً".

(1) جليد إسكيندناوة (الفنو. سكاندى):

يعتبر هذا النطاق الجليدى أكبر كتلة جليدية فى أوروبا من حيث المساحة والسمك والانتشار حيث غطى شمالى غرب القارة الأوروبية أى منطقة فنلندا واسكيندناوة (من هنا اكتسب اسمه) وكان هذا الجليد بالغ السمك حيث قُدر سمكه بمابين10و15 آلاف قدم ،وقد زحف من منطقة بحر البلطيق حيث مركزه صوب كل اتجاه نحو الشمال والشرق والغرب دونما اعتراض من التضاريس حيث يدلل على ذلك آثاره فى صخور اسكيندناوه والجلاميد الجليدية المتناثرة فى فنلندا، وقد طمر الجليد هذا الإقليم كله فيما عدا بعض النقاط الهامشية فى شمال غرب القارة.

كان هذا النطاق عبارة عن ذراع أخطبوطي ضخم غير منتظم الشكل تقُدر مساحته بحوالى 2مليون كم^2، وامتدت ألسنته الشمالية والشمالية الغربية بطول 3200 كم والجنوبية والجنوبية الشرقية بطول 2080 كم وكان مركزه شمالى فنلندا، وامتد هذا الجليد غرباً حتى المحيط الأطلسى وشمالاً إلى المحيط المتجمد الشمالى وشرقاً إلى شبه جزيرة كولا وجنوباً بشرق إلى كازان وجنوباً إلى نهرى الدينبر والدون.

وغُطيت المسطحات المائية الشمالية مثل خليج بوثنيا والبحر البلطى والبحر الأبيض الروسى وبحر الشمال، واتصل جليد الفنوسكاندى فى أقصى امتداد له شرقاً مع جليد وسط آسيا وغرباً مع جليد الجزر البريطانية وقد أدى هذا الحجم الضخم من الجليد إلى نقص كمية المياه فى العالم .

حمل هذا الجليد فى انسيابه صخوراً تائهة من الجرانيت والسينيت والسماق ونقلها من جبال اسكيندناوة إلى الدنمارك وهولندا وشمال غربى ألمانيا والساحل الشرقى لإنجلترا من يوركشير حتى نورفولك، ويضاف إلى ذلك غطاء تربة اللويس والمنتشرة فى الطمييية فى هولندا، ومن الصعوبة التمييز بين ركاماته من الحصا والحصباء وبين الرواسب قبل الجليدية.

(2) جليد الألب:

كانت جبال الألب بحكم ارتفاعها مركزاً جليدياً مهماً وتعد القمم الجليدية الحالية بقايا ضئيلة لبقايا جليدية كانت تنحدر فتملأ وديان الألب ويمتد إلى السهول المحيطة بها وكانت تغطى ما يقرب من 150.000 كم2، فثلاجة الرون كان طولها 360 كم وثلاجة إن كان طولها 340كم وثلاجة وادى إتش 250كم.

انحدرت ثلاجات جبال الألب شمالاً حتى بافاريا وطغت على خط تقسيم المياه مع الراين وامتدت غرباً فوق سافوى ووصلت حتى خط عرض 44^{o} شمالاً، وكان الجليد أشد سمكاً بين بافاريا العليا والبحيرات الإيطالية، ولم يكن جليد الألب كتلة كبيرة متماسكة بل قطعاً كبيرة متناثرة.

إلى جانب الغطاء الفنوسكاندى والغطاء الألبى غطى الجليد مناطق ثانوية أخرى فى قارة أوروبا امتدت فيما بين الجزر البريطانية غرباً حتى تيمان وجبال الأورال فى الشرق، ففى فرنسا غطى الجليد جبال الجورا والفوج والهضبة الوسطى، كما غطى الجليد السلاسل الجبلية الوسطى وجبال

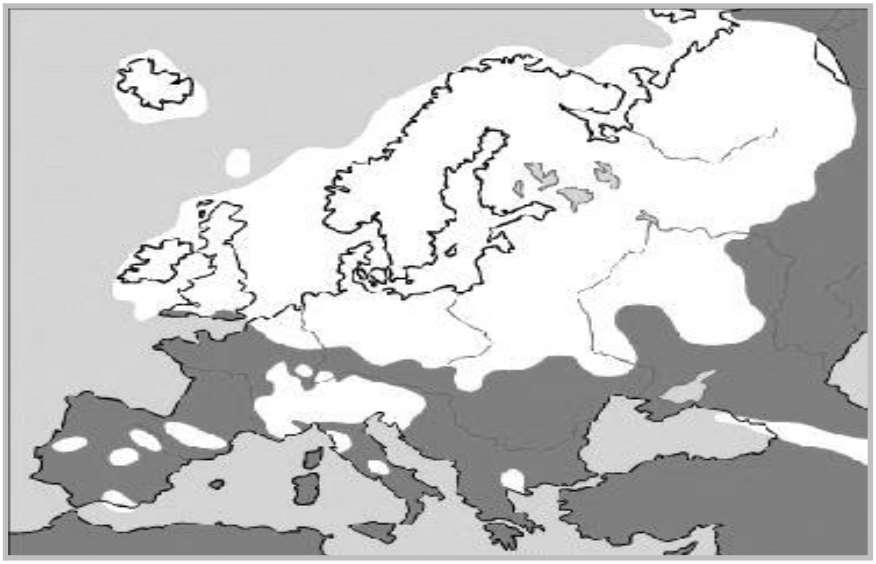

(النطاقات الجليدية المتعددة فى أوروبا خلال البلايستوسين)

الكربات شمالى إيطاليا، وتكون مركزاً جليدياً آخر فى اسكتلندا وشمالى إنجلترا وويلز وأيرلند وتقابل ذلك الجليد مع جليد اسكيندناوة على طول السواحل الشرقية بدءاً من أوركنى حتى إيست إنجليا، وقد غطى هذا النطاق الجليدى معظم أراضى شرق ووسط إنجلترا.

أما فى شمالى ألمانيا وبعض أجزاء وسط أوروبا أمكن تمييز ثلاث فترات جليدية أخرى وهى "إلستر Elster، سال Sale، فارت Warthe".

الجليد فى قارة آسيا:

عرفت جبال الهمالايا والبامير وهندكوش وكون لون وغيرها من مرتفعات وسط آسيا ثلاجات بلايستوسينية وإن كانت أقل سمكاً من جليد أوروبا، وكانت حدود الجليد الشمالية تتفق مع خط عرض 60^{o} شمالاً، أما الحد الجنوبى فكان خط عرض 50^{o} شمالاً، وقد امتد الجليد فى آسيا من جبال الأورال فى الغرب إلى جزيرة نوفيا زيمليا Novya Zemlya إلى شبه جزيرة تايمير Taymyr شرقاً وقد بلغت مساحته 1.6 مليون م2، فى حين كان سمكه 2300 قدم.

وفى وسط قارة آسيا شهدت جبال القوقاز فترتين جليديتين امتد فيهما الجليد إلى أكثر من 400 ميل بينما فى مجموعة الجبال التى تتفرع من

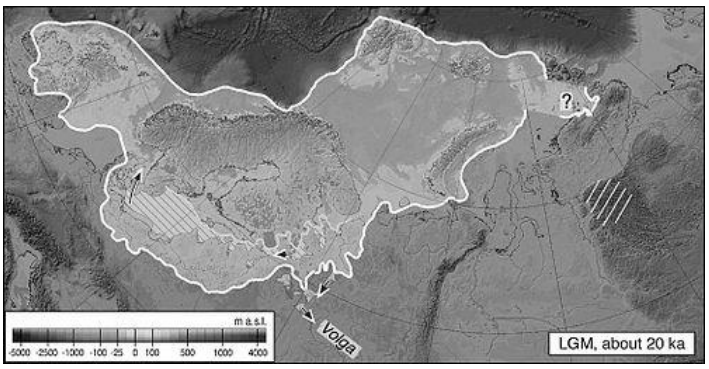

ا(متداد الجليد فى قارة آسيا)

عقدة البامير تجاه الشرق أمكن تحديد ما بين ثلاث أوأربع فترات جليدية وأيضا شهدتً جبال الهملايا أربع فترات جليدية.

أمريكا الشمالية والعصر الجليدى:

كان تأثير جليد العالم الجديد على البشرية محدوداً مقارنةً بأوروبا أو حتى آسيا بسبب وصول الإنسان إليه فى مرحلة متأخرة، وقد شهدت أمريكا الشمالية غطاءات جليدية واسعة حيث انتشر الجليد بشمال شرقى أمريكا

وامتد على طول ساحل الأطلسى وكذلك على الساحل غرباً ،وقد كان للجليد على الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية ثلاثة مراكز رئيسية:

1. مركز لبرادور: شرقى خليج جيمس (50^{5} . 51^{5} شمالاً) وعُرف باسم "جليد كيبك".

2. مركز كيواتين: ويعد أكثر المراكز تطرفاً نحو الشمال حول خط عرض 62^{o} شمالاً وكان يشمل مساحة واسعة تقع شرقى بحيرة جريت سليف.

3. المركز الباتريشى: كان يقع بين خليج هدسن وبحيرة سوبيريور وكان جليده ينساح غرباً فوق مينوستا وجنوباً حتى متشجان وأهايو، وشكلت هذه المراكز ما يعرف باسم "الغطاء اللورنسى".

أما غرباً فقد غطى الجليد سلاسل المرتفعات الغربية (جبال الروكى) وعُرف

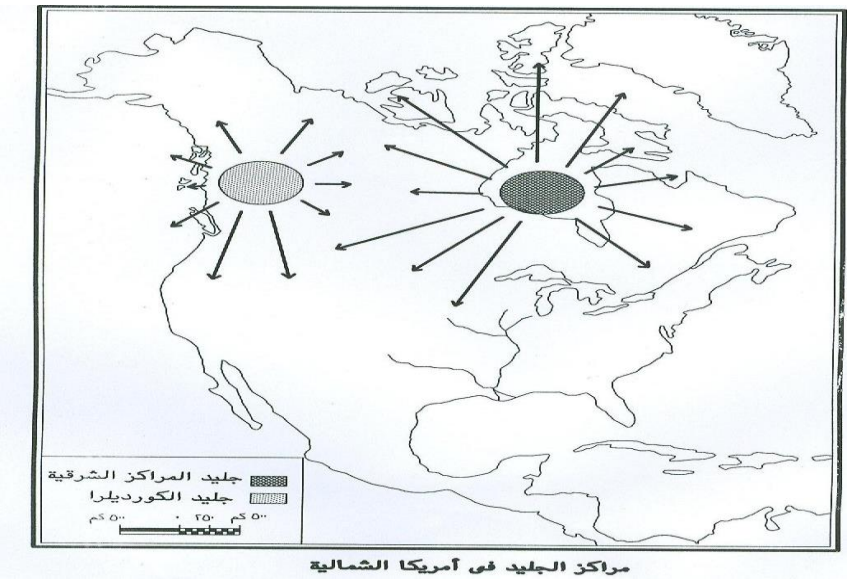

مراكز الجليد فى أمريكا الشمالية

بجليد الكورديلرا، وقد أمكن تمييز أربع فترات جليدية فى أمريكا الشمالية متشابهةً مع نظيرتها فى جبال الألب بأوروبا وقد أُطلق عليها أسماء "

نيبراسكان . كانساس . الليونيان . ويسكونسين" وقسمت الفترة الأخيرة إلى أربع فترات جليدية مثل جليد الفرم

قارة أفريقيا وثلاجات القمم الجبلية:

أثبتت الدراسات وجود ثلاجات بلايستوسينية فى أفريقيا حيث انحدرت بعضها من قمة جبل كيلمنجارو (6015 م) وكذلك قمة جبل كينيا (5195 م) وكان جليده يغطى مساحة 900 كم2، وكذلك ثلاجات جبال رونزورى (5125 م) والجون (4315 م).

. عصر المناخ الأمثل

تقدم الأبحاث المرتبط بالنباتات وخاصةً فحص حبيبات لقاح النباتات المطمورة في الطين المتخلف من ذوبان الجليد، دليلاًعلى تغيرات نباتية عديدة تشير بدورها على ذبذبات مناخية تتسم بالدفء بصفة عامة، وإن كان هذا الدفء مصحوباً بمطر تارة أو جفاف تارة أخرى وتسمى فترة الدفء هذه بعصر المناخ الأمثل في شمالى أوروبا.

تؤكد أبحاث عالم النبات " فون بوست ,.Post,W " على حدوث فترة كان الدفء أثناءها يتزايد ،حتى وصل إلى قمته ، كما وصل " بليت Blytt " إلى نفس النتائج التي وصل إليها من قبل كل من الاسكتلندي "جايكي Jayci " والفنلندي " أسكرشلي Askrchly "، وهي أن المناخ في أوروبا منذ حوالي 10.000سنة كان يتذبذب بين القارية والجزرية، ويبين هذا التذبذب طبقات النباتات المتحللة "Peat " وأشجار الغابات والحشائش التي وجدت بقاياها في مستنقعات شبه جزيرة اسكيندناوشمالى ألمانيا.

ويعد تكوين الكثبان الرملية على ساحل البحر البلطي من أدلة ذبذبة المناخ في هذا العصر، فهي تنشط في فترات الجفاف (النسبي) وتثبت في

أماكنها في فترات المطر، الدفء العام إذن هو السمة التي تميز هذا العصر الذي يعتبر انتقالياً بين الجليد والوقت الحاضر، وقد وجدت قواقع محبة للدفء فوق الشواطئ المرتفعة في شمال المحيط الأطلنطي ، وليس هناك ما يشبهها في الوقت الحاضر في هذه الأماكن، كما وجدت أيضاً طحالب أطلسية منتشرة حتى البحر الأبيض الشمالي بل لقد كانت أنهار موزي ودي (في إنجلترا) في مثل دفء البحار التي تحف بأسبانيا في الوقت الحاضر.

تمثل تقسيمات العالم " بليت " أساساً مقبولاً في الدراسات الاسكندنافية والدنماركية والتى تؤكد على حدوث فترتان رطبتان (الفترة الأطلسية والفترة شبه الأطلسية) وفترتان جافتان (الفترة القارية والفترة شبه القارية) وقد جمعت الأدلة على ذلك من دراسة مستويات بحيرات السويد والسواحل النرويجية وطبقات الطين ومن بحيرات فنلندا ومستنقعات شرقى إنجلترا.

وتدلل أقدم رواسب عصر ما بعد الجليد التي تحتوي على بقايا النباتات على وجود غابات الزان والصنوبر ومناخ أدفأ وأجف، أما فترات المناخ الرطب فقد أدت إلى ازدياد مساحة المستنقعات ولاسيما في عصر البرونز ، مما أدى إلى هجرة الإنسان من الأماكن الرطبة وقد تمت تلك الهجرة نهائياً في عصر الحديد.

لم يكن الدفء مقتصراً على البحار ، فقد أصاب الأرض أيضاً حيث وجدت زواحف وسلاحف وفقاريات أرضية محبة للدفء كانت تعيش في الدانمارك وإسكانيا ، بينما موطنها الأصلي هو إقليم البحر المتوسط والبحر الأسود ، مما يدل على أن هذه الحيوانات هاجرت شمالاً في بدء فترة الدفء الأطلسية ومن هذه الحيوانات المحبة للدفء أيضاً الخنزير البري في

اسكتلندا والوعل الضخم في غرب النرويج ، والقطة البرية في السويد والبيسون الأوروبي .

انتشرت غابات شجر البلوط الذي ينمو شمالي البحر المتوسط حتى البحر الشمالي والبلطي بينما حدوده الشمالية الحالية لا تتعدى أقاليم الألزاس واللورين وجبال الجورا وبوهيميا والمجر (قلب أوروبا) وأدى الدفء إلى اتساع نطاق إقليم البحر المتوسط درجتين أو ثلاث في جبال الألب الشرقية ، أما غابات الجزر البريطانية فكانت أضخم وأكثر ارتفاعاً ووصلت إلى أكثر من 80 م ارتفاعاً وكانت أكثر انتشاراً نحو الشمال حتى وصلت إلى جزر أوركني وهبريديز.

وقد أدى هذا إلى ارتفاع خط الثلج الدائم 400 – 500 متراً في النرويج وإذابة ثلاجات اسكندیناوة تماماً ، وانكماش جليد أيسلندا ، ولم يعد يغطي فيها سوى بعض القمم المتناثرة ،وانكمشت كذلك ثلاجات جزيرة جرينلند ، كما اختفت في هذا الوقت أيضاً الثلاجات الصغيرة التي كانت تغطي جبال الروكي وسييرا نيفادا وسلاسل الكاسكيد الساحلية في قارة أمريكا الشمالية.

وثبت أيضاً حدوث هذه الفترة من المناخ الأمثل في الحوض الشمالي للمحيط الأطلسى من أيرلندا فى الغرب حتى شمال غرب روسيا وبولندا شرقاً ، وفي جبال الألب وشمالى إيطاليا وشبه جزيرة أيبريا وسبتسبرجن ، ففي جبال الألب ارتفع خط الثلج الدائم (300 – 400 متر) ورفع ذوبان الجليد مياه بحيرة كونستانس وغيرها من بحيرات سويسرا .

وزحف خط الأشجار (300متراً) فوق مستواه الحالي في جبال الهيملايا ، و (200 – 300 متراً) في جبال قره قورم (قلب آسيا) وفي شمالى سيبريا تقدمت الغابات 250 كيلومتراً شمال مستواها الحالي ، وتحتوي طبقات

النباتات القديمة في أرض كارسك المتجمدة الآن قرب بحر قره (سيبريا) ، على بقايا صنوبر وشربين وبتولا ، ووصلت الأشجار إلى منطقة نهر أوبي (40َ 76ْ شمالاً) وهي منطقة متجمدة الآن مما يدل على دفء في الصيف يزيد في الوقت الحاضر بنحو 4ْ م.

أخذ اليابس في الارتفاع لكي تستعيد القشرة الأرضية توازنها وأغلقت نتيجة لذلك الثغرة التي كانت تصل بين بحر يولديا وبحر الشمال ، وأخذت تضيق هذه الثغرة حتى انقطع هذا الاتصال نهائياً، وارتفع اليابس أيضاً في شمال شرقى بحر يولديا وفي جنوبه الشرقي فاتصلت اسكانيا بزيلند والدنمارك ، ودخل البحر البلطي في دور جديد ، وأصبح بحيرة تعرف باسم " انكيلوس Ancylus " نسبة إلى حفرية لأحد الحيوانات اللافقارية وجدت بين رواسب البحر البلطي وتعود للعصر الجليدى .

وكان نتيجة ذلك أن أصبح المناخ قارياً بارداً في حوض البحر البلطي، بسبب عدم وصول تأثير المحيطية البحرية إلى الداخل بعد أن أغلق مخرجه إلى بحر الشمال وهذه هي الفترة القارية ما بين (8000 – 5000 ق.م) وتقسم هذه الفترة إلى مرحلتين: واحدة اتسمت بالبرد والجفاف النسبي والأخرى بالدفء والمطر.

وقد ارتفع الماء في في نهاية هذه الفترة جنوبى السويد وطغت مياه البحر على المنطقة كلها واتصل بحر البلطيق ببحر الشمال ، ومن ثم كان الدفء والرطوبة ، وسمي البحر المتكون حينئذ ببحر الشمال ليتورينا (نسبة لحفرية لتورينا) وتسمى هذه المرحلة بالفترة الأطلسية وتوافق (6000 – 3000ق.م.) وهي تمتاز بالمناخ الدفيء الجزري، وقد بلغت كمية المطر

المتساقطة في جنوب السويد حينئذٍ معدلاً كبيراً مما ساعد على انتشار أشجار البلوط والشربين ، وذلك يتطلب مناخاً معتدلاً ومطراً غزيراً.

أدت التغيرات المناخية هذه إلى رفع مستوى الماء الباطني، مما أدى إلى هجر مناجم التعدين والملح في جبال الألب الشرقية وإلى طغيان الماء على بحيرات سويسرا وهجرة السكان لمساكن البحيرات السويسرية وإلى تدهور حضارة البرونز السويسرية حوالي 1000ق.م.

كان من نتيجة ذلك أيضاً تقلص حدود العمران الشمالى في قارة أوروبا ، فلم يستطع اللاب الذين كانوا يعيشون في شمالى شبه جزيرة اسكيندناوه منذ أواخر عصر البرونز الدخول إلى شمال السويد والدانمارك، وحلت زراعة الشعير محل القمح في الدانمارك واستبدل تربية الحيوان بالزراعة المستقرة في فرنسا مما يدلل على أن المناخ كان يسير نحو البرودة النسبية خلال ما عُرف باسم "العصر الجليدى الثانى".

أدى التغير فى درجة الحرارة إلى نهاية عصر البرونز ، وحلول العصر الذي أسمته المؤثرات الشعبية في شمال أوروبا عصر " الشتاء الدائم" أو عصر " فجر الآلهة " وعاصر هذا ما يسمى بالعصر الكلاسيكي الماطر وهى ازدياد المطر في حوض البحر المتوسط ، وارتفاع مستوى بحر قزوين وزيادة موارد المياه في الواحات المصرية والصحراء الكبرى ومزيداً من الازدهار الزراعى وانتشار الحضارات فى الأحواض النهرية الكبرى.

ثانياً: تغير المناخ في العروض الوسطى

(العصر المطير فى نصف الكرة الجنوبى)

عُرف عصر البلايستوسين في أوروبا وشمال أمريكا الشمالية بالعصر الجليدى و أُطلق عليه اسم " العصر المطير Pluvial Period " في العروض الوسطى من الكرة الأرضية وهو النطاق الصحراوي الآن، وتؤكد الأدلة الفزيوجرافية والنباتية والحيوانية وأيضاً البشرية من رسوم ونقوش وآثار خلفها الإنسان القديم فى هذه الأقاليم على أن العصر المطير كان طويلاً ، ولم يكن مجرد مرحلة قصيرة الأجل محدودة التوزيع أو ذات نطاق جغرافى ضيق.

ترتكز الأدلة الفزيوجرافية على عمليات انزلاق التربة في صحراء أريزونا ونيومكسكو فى جنوب غربى الولايات المتحدة وانتشار التربات القديمة بتكساس وغيرها، والهشيم الحجري القديم في الحوض الكبير بأمريكا الشمالية، ووجود طبقات الأعمدة الجيرية القديمة في الكهوف الصحراوية الجافة ، لا تُعرف هذه التكوينات في الوقت الحاضر.

بالإضافة إلى انتشار الأودية الجافة في الصحراء الشرقية بمصر والصحراء الكبرى ، والدلتاوات ، والبحيرات الجافة فى البلقان والجزيرة العربية... وغيرها من الأقاليم ، وتربات اللاتريت القديمة الاستوائية حيث لا يسمح المطر بتكوينها في الوقت الحاضر والتربات الصفراء والحمراء ، وطبقات التوفا في الواحة الخارجة فى مصر والعديد من الأدلة الفيزوجرافية.

أما عن الأدلة الإحيائية القديمة فتتمثل فى بقايا الأسماك المتحجرة في الصحراء ، و النباتات المطبوعة على الأعمدة الجيرية في شمالى أفريقيا ، ووجود زهرة "الردندورن" في التوفا الأفريقية ، مما يدلل على مطر صيفي ،

ووجود حيوان الزمبيزي في جبال أطلس شمال القارة والأحياء شبه المنقرضة مثل التمساح في بحيرات منعزلة في الصحراء ، وفي وادي بهور وجبال الحجار وتاسيلى .

واكتشف كذلك عنكبوت أطلق عليه العلماء اسم "كليوباترة" في منخفض بسكرة بالصحراء الكبرى ، وأسماك كلارياس Claria في قلب منخفض بسكرة أيضا وبقايا شجر الجميز Ingens Fious وهو من النباتات الأفريقية المدارية التي وجدت مع النخيل والأقصاب السرخية في الواحة الخارجة وكذلك بقايا نباتات البحر المتوسط والتى تعيش الآن في كورسيكا وجنوبى فرنسا ، مما يدل على وجود حياة نباتية ومائية غنية وقت ترسيبها.

توزيع النطاقات المطيرة :

تتوزع الأقاليم التي أصابها العصر المطير خلال البلايستوسين في شمال الصحراء الكبرى ، والصحاري الآسيوية ، والأمريكية وفي المناطق الصحراوية في

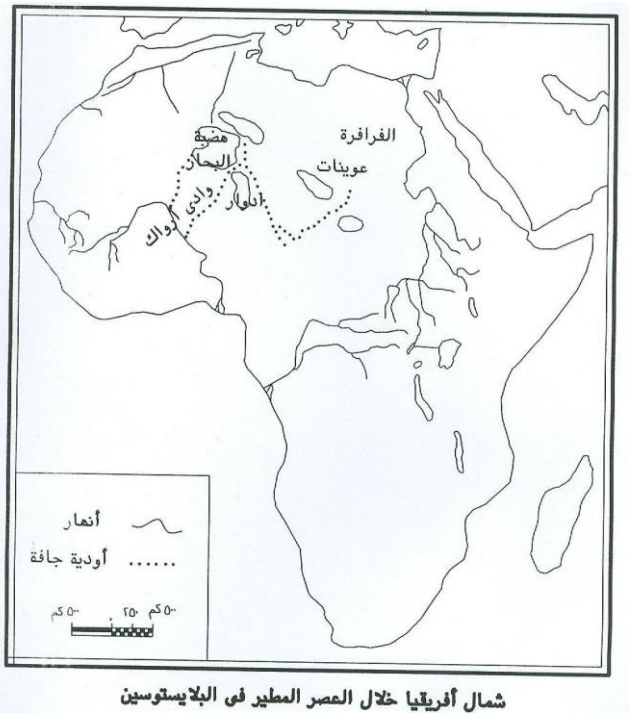

شمال أفريقيا خلال العصر المطير فى البلايستوسين

نصف الكرة الجنوبي بقارتى أستراليا وجنوب أفريقية، وإن كانت الصحراء نفسها ظلت باقية ولم تتلاشى كليةً ، وكل ما حدث أنها تقلصت وانكمشت من أطرافها، ويمكن القول حدوث زحزحة مناخية ومن ثم نباتية نحو الجنوب.

قارة أفريقيا:

يعتبر شمال أفريقيا امتداداً لقارة أوروبا خلال عصر البلايستوسين ، حيث يتمتع بمناخ البحر المتوسط، حيث كانت تتمتع بالخضرة و والازدهار النباتى تتجول بها النعام الذي يدلل على انتشار المراعي في الأودية ومن ثم عامرة بالسكان ،. وكانت تنحدر من صحراء الحمادة الحمراء . الجافة في الوقت الحاضر . وديان كثيرة تجري بالماء طوال العام ، أهمها وادي أغرغر الذي ينحدر من جبال الحجار شمالاً حتى يصب في حوض مغلق في جنوب تونس ووادي ساورا ، شرقي مراكش ، ووادي تقاسا سيت الذي كان ينحدر من هذه الجبال . الحجار . جنوباً حتى نهر النيجر ، وكان النهر في ذلك الوقت يصب في منخفض يشبه بحيرة تشاد الحالية شمالى تمبكتو(مالى)

انحدرت الأنهار من سلاسل جبال أطلس والتي انخفض فيها خط الثلج الدائم حوالي (1400م) ، مما يدل على أن المناخ كان بحرياً غزير المطر ، وكانت مراكش غزيرة الأمطار مما أدى إلى تعميق المجاري النهرية وكونت لها تبعاً لذلك مدرجات نهرية ، كما كانت هضبة برقة المرتفعة (ليبيا) تستقبل قسطاً وفيراً من الأمطار ، كما تدل على ذلك مساحات تكوينات السُرير الواسعة ، وهي الصحراء المغطاة بالحصا والحصباء ، وكما تشير عليها كذلك تكوينات التوفا في الواحة الخارجة المصرية.

تنوعت الثدييات التى كانت تعيش في شمال أفريقيا وتدل كلها على سيادة المناخ المطير ، مثل الفيل والزراف والجاموس والظبي وفرس النهر والقرود وحمر الوحش والخرتيت ، وذلك في بيئة بعيدة عنها تماماً عنها في الوقت الحاضر ، وإن استمر كل من الفيل والزراف في مراكش حتى العصر الحجري الحديث واستمر فرس النهر في وادي النيل الأدنى (مصر) حتى العصر البطلمي .

وقد ترك الإنسان في خلال العصر الحجري القديم نقوشاً صخرية تمثلت فى صوراً للعديد من الحيوانات كالأسد والزراف وفرس النهر والغزال والنعام والفيل الأفريقي ، وكانت النباتات الأثيوبية واسعة الانتشار في الصحراء بما في ذلك هضبة الحجار .

واكتشفت في واحة الخارجة فى مصر بقايا ينابيع متفجرة حول الجروف ، أحاطت بها الأعشاب العالية الأقصاب وأشجار النخيل و الجميز، كما يدل عليها أيضاً عظام بعض الحيوانات مثل الخيول و الثيران والآلات الحجرية القديمة التى تعود لحضارة الآشل الأعلى ، ثم تمتد حتى الآشل الليفالوازي ، والليفالوازي الخارجي (نسبة للخارجة نفسها أو ما قبل السبيلي) والحضارة العاطرية التونسية.

استقبلت مصر قدراً وفيراً من الأمطار مكّن من نمو الغابات والحشائش والتى كانت تتجول فيها الحيوانات الغابية، وكان لهذه الأمطار والمجارى المائية دوراً مهماً في التعرية فيما هو صحراء الآن في شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية، ويُعتقد أن النيل الأعلى (السودانى) قد اتصل بالنيل الأدنى (مصر) في الفترة المطيرة الثانية، وساد المناخ الحار الرطب السودان الشمالي ، والذى يفسر تكوين تربة اللاتريت الحمراء التي توجد حالياً تحت

طمي نهر النيل في منطقة الخرطوم وتحتوى على عظام الفيل والزراف وفرس النهر والثور الضخم .

كان نهر النيل قديماً نهراً قوياً دافقاً جباراً يفوق في كمية ما يحمله من طمى وغرين ما يحمله النهر حالياً أضعافاً مضاعفة ، وكانت تفيض منه مياه غزيرة تملأ منخفض الفيوم فى مصر، وإن كانت البحيرة انقطعت عن النيل خلال العصر الحجري القديم الأعلى ، حيث كان يغذيها فرع صغير يعبر فتحة الهوارة ، وبعد أن كان طمي البحيرة يعج بالقواقع النيلية ، أصبحت مدرجاتها نادرة من هذه الأحياء النيلية.

يدلل وجود هذه المدرجات على حدوث فترتين مطيرتين تفصلهما فترة جافة طويلة، وفي نهاية الفترة المطيرة الثانية بدأ النهر يفقد مياه إقليم النوبة ومصر العليا بسبب تزايد الجفاف وزيادة الفاقد من المياه وبدأت الروافد الشرقية للنهر فى مصر والتي كانت تجري بالماء من سلاسل جبال البحر الأحمر في الجفاف ، وسارت البلاد نحو الظروف الصحراوية الحالية.

واكتشفت العديد من النقوش الصخرية في النوبة للكثير من الحيوانات مثل الفيل والزراف والظبي والنعام ، تركها إنسان العصر الحجري القديم الأعلى خلال الحضارة القفصية ثم نقوش عن الماشية والحيوانات المستأنسة ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات ومرحلة الاستقرار.

ويعود هذا التغير في النمط المناخي النباتي إلى زحزحة النطاقات المناخية ومن ثم النباتية نحو الجنوب ، واتساع نطاق الغابات الإفريقية الاستوائية وتمددها ، واتساع نطاق الأشجار والمروج و حشائش السافانا ، كما كان مستوى الماء الباطني في الواحات أكثر ارتفاعاً مما مكن من قيام حياة نباتية وحيوانية وفيرة.

أما الأودية . الجافة حالياً . والتي تمتد من جبال أطلس حيث منابعها إلى ثنية نهر النيجر فكانت أنهاراً عظيمة الشأن ، ويعد وادي أغرغر أكبرها حيث بلغ امتداده مثل طول نهر الراين تقريباً ، وقد أدى الإرساب النهري إلى تكوين نطاقات "الريج Reg "الواسعة والتى قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام(قديم ،أوسط،حديث)، ولم يكتشف حتى الآن أية آثار بشرية في أقدم ريج في مراكش ، أما الريج القديم (الميلازي) فقد وجدت به آثار أبيفلية ، ووجدت آثار آشيلية وليفالوازية فى الريج الأوسط (التيراني) ووجدت آثار موستيرية في الريج الحديث.

ساد مناخ الاستبس الصحراء الغربية ، حيث وجدت آثار حجرية في أماكن عديدة من الصحراء ومعظمها شل وآشل وعاطري، ووجد هيكل عظمي لإنسان في آسيلار (مالى) ، شمالى مدينة تمبكتو بنحو 400 كيلومتر ، ومعه قواقع مياه عذبة وأسماك وتماسيح وثدييات كالغزال والظبي وعُثر أيضاً على فيل متحجر في الصحراء شمالى تشاد بالإضافة إلى تكوينات ورواسب البرشيا والترافرتين Travertines والأعمدة الجيرية الصاعدة والهابطة .

نمت الغابات الرطبة والنباتات الجبلية في مناطق منعزلة داخل الاستبس، ولا تزال توجد حتى الآن في المنحدرات الشمالية لجبال الحجار وتيبستي نباتات متبقية تنتمي لمناخ إقليم البحر المتوسط ، كما توجد في سفوحها الجنوبية نباتات متبقية تنتمي لإقليم السافانا ، والمرجح أن البيئة المطرية كانت تخلق ظروفاً مواتية تستطيع فيها نباتات البحر المتوسط الهجرة جنوباً ، كما تستطيع أيضاً نباتات إقليم السافانا الهجرة شمالاً وهكذا ، ثم حل الجفاف ومن ثم انقطعت صلة هذه النباتات بإقليمها شمالاً وجنوباً ،

وظلت باقية وسط الصحراء تعيش على ما يمكن أن يتكاثف من بخار الماء فوق المرتفعات ومدللةً فى نفس الوقت على سيادة ظروف جغرافية مغايرة.

وتؤكد كافة الأدلة بمختلف أنواعها(أحيائية وفيزوجرافية) على أن أفريقيا الشمالية كانت أكثر جهات القارة حينذاك الآهلة بالسكان و ازدحاماً بالحياة ، فأقاليمها الداخلية كانت واسعة مليئة بالماء وبحيرة تشاد كانت تملأ حوضاً كاملاً كبيراً لاتقارن به البحيرة الحالية ، وبقاع الماء العذب كانت تملأ شمالى السنغال وانعكس ذلك كله على طبيعة الحياة فى هذا الإقليم شديد الجفاف حالياً.

الموطن الأصلى للإنسان :

أدت التنوعات السلالية وتباين الصفات الجنسية للمجموعات البشرية وكذلك التغيرات الجغرافية التى شهدها المسرح الجغرافى للإنسان خلال البلايستوسين إلى التساؤل عن "المهد الأول" للإنسان والذى نشأ وتطور فيه وانتشر منه بعد ذلك إلى بقاع المعمورة؟

وقد انقسم رأى العلماء بشأن الموطن الأصلى للإنسان إلى ثلاثة اتجاهات الاتجاه الأولى نادى بأن الوطن الأصلى للإنسان كان قارة آسيا والرأى الثانى ذهب إلى أن أفريقيا كانت الموطن الأصلى فى حين جمع الاتجاه الثالث بين الرأيين حيث رأى أصحابه بأن الوطن الأصلى للإنسان كان يمثل جزءاً من آسيا وجزءاً آخر من أفريقيا، وتحديداً وسط وجنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، وحاول أصحاب كل رأى من هذه الآراء الثلاث أن يبرهن على صحة فرضه على أساس الاكتشافات الأثرية والبقايا الإنسانية، وإن كانت هناك عدة أسس يجب وضعها فى الاعتبار عند الحديث عن الموطن الأصلى للإنسان، أهمها:

. ملائمة الموطن الأصلى لطبيعة جسم الإنسان، أى أن البيئة الجغرافية لابد وأن تتمتع بمناخ معتدل بين الحرارة والبرودة وأن كمية الأمطار تكون مناسبة لحياة نباتية متوسطة الكثافة وإمكاناتها تسمح بالصيد.

. لابد وأن يتصف الموطن الأصلى بسهولة الحركة منه وإليه أى ملاءمته للهجرات المتعددة التى قام بها الإنسان والتى أدت إلى انتشاره إلى جميع بقاع العالم ومن ثم تكوين أجناس بشرية متعددة ومتباينة وإن كانت ذات أصول واحدة.

وبناء على هذه الاعتبارات استبعد العالم الجديد إذ لم يكن إلا وطناً لمجموعة بشرية واحدة وهى الهنود الأمريكيين وكذلك استبعد الجزء الشمالى والأوسط من أوروبا والذى شهد فترات جليدية إبان نشأة الإنسان كما اتضح سابقاً وكذلك الحال شمالى آسيا والمناطق الوسطى الاستوائية فى أفريقيا، ويطرح البعض إقليم جنوب شرقى آسيا أيضاً نظراً لتطرف موضعه، إلا أن بعض الباحثين يضعه ضمن أقاليم الإنسان الأول، على هذا الأساس يصبح إقليم جنوب غربى آسيا وشمالى أفريقيا وشرقها المواضع الأكثر احتمالاً لأن تكون هى الموطن الأصلى للإنسان فى ضوء الاعتبارات التى يجب توافرها فى المكان الأول للإنسانية.

وتقدم المواضع المكتشف بها بقايا هياكل الإنسان الأول بعض الاحتمالات عن ذلك الوطن والذى منه انتشر إلى بقية أنحاء الكرة الأرضية.

إنسان جاوة:

أكتشف الأنثربولوجى الهولندى "دبوا ***Dubois***" عام 1891، مجموعة أجزاء من هيكل بشرى (أسنان . عظام جمجمة . عظام فخذ) على

نهر سولو ***Solo*** بجزيرة جاوة وقد أطلق عليها "إنسان جاوة" ، وكانت صفاته السلالية: بدائى فى جمجمته، معتدل القامة مثل الإنسان الحالى، طوله حوالى خمسة أقدام وست بوصات، وتدل عظام الفخذ على أن هذا الإنسان كان يمشى مشية معتدلة كما أن الرأس تدل على هذا أيضاً، وكانت جمجمته كثيفة وثقيلة، وكان حجم المخ يتراوح ما بين 900 . 1000 سم3، وكانت أسنانه كبيرة وقوس الأسنان كان طويلاً ضعيفاً، الأنف صغير جداً، الفك بارز.

وقد اكتشفت آلات حجرية فى طبقات معاصرة لتلك الطبقات المكتشف بها إنسان جاوة فمن المحتمل أن يكون هذا الإنسان "صانع آلات"، ويرى "دبوا" أن حفريات إنسان جاوة ترجع لأواخر البليوسين، إلا أن الاكتشافات الحديثة تدلل على أن إنسان جاوة عاش طوال النصف الأول من العصور الجليدية، أى فى أوائل البلايستوسين.

إنسان الصين:

أُكتشفت بقايا ذلك الإنسان فى كهف "شوكتين" على بعد 42 ميلاً من بكين، وتدل هذه الاكتشافات على بشرية إنسان الصين واعتدال قامته، وقد كان قصير القامة (5 أقدام) غليظ العظام، وكانت جمجمته تشبه إلى حد كبير جمجمة إنسان "جاوة" إلا أنه أرقى منه، وكان حجم مخ إنسان الصين ما بين 1100 . 1200 سم3 (حجم المخ فى الإنسان الحالى 1500سم3)، الوجه

عريض ذو حواجب كبيرة وله قنطرة أنف، الفك السفلى أقصر وكذلك قوس الأسنان.

وتدل مواضع حفريات إنسان الصين أنه كان يعيش فى كهوف وكان معاصراً لإنسان جاوة أو بعده بقليل ويوضع إنسان الصين تاريخياً فى أوائل البلايستوسين الأوسط معاصراً للدور الجليدى الأول أو لأوائل الفترة الدفيئة الأولى، وكان هذا الإنسان يستخدم النار حيث وجدت آثار حريق فى كثير من رماد الكهوف المكتشف بها، وكذلك بقايا المواقد التى كان يستخدمها الإنسان فى طهى طعامه، وعرف كذلك صناعة الآلات من الحجر الرملى والكوارتز والصوان الخشن وكانت آلاته أصغر حجماً وأدق صنعاً وتوضع هذه الآلات من حيث المرتبة الحضارية فى العصر الحجرى القديم الأسفل.

وتمثل حفريات الشرق الأقصى نموذجية لإنسان واحد فى حالة بدائية ولكنهما لا يبعدان كثيراً عن الخط الذى انحدر منه الإنسان الحديث، وأن بينهما قرابة تبعث على الاعتقاد بوجود جد مشترك بينهما.

إنسان نيندرتال:

أكثر الأنواع الإنسانية القديمة انتشاراً وأكثرها استمرارية حيث وجد فى أوائل البلايستوسين حتى آخره، وتتعدد اكتشافات بقاياه فى جهات كثيرة فى أوروبا وفى بعض جهات العالم الأخرى، وتدل بقاياه على أهم صفاته السلالية وأهمها كبر حجم المخ (1625 سم3) وتمتاز الجمجمة بالفخامة والسمك وهى تفوق أية جمجمة حديثة عرضاً وطولاً ويرجع ذلك إلى سمك العظام وبروز الحاجبين، وارتفاع الجمجمة أقل عنه فى الإنسان الحالى.

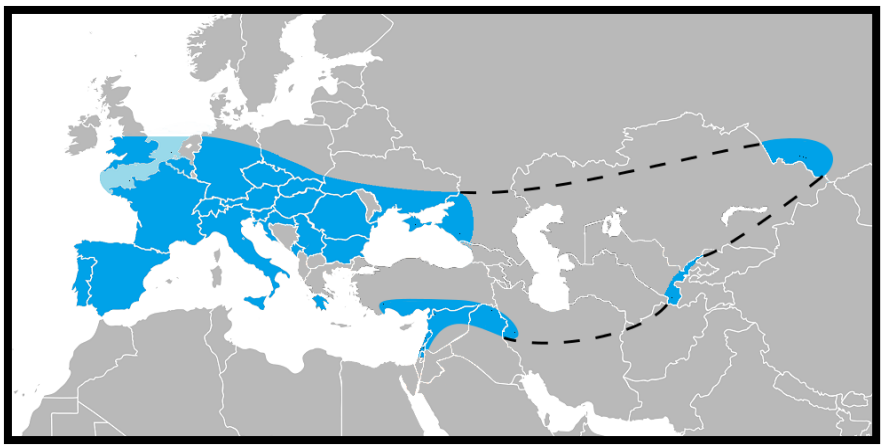

(انتشار إنسان نيندرتال)

أما عن الوجه فهو غليظ يفوق وجه الإنسان الحالى طولاً وعرضاً، ويبدو الأنف كذلك ضخماً ذو قنطرة، ويختلف وجه إنسان نيندرتال عن وجه إنسان جاوة وكذلك إنسان بكين والإنسان الحالى، وكان حجم الفم كبيراً ذو أسنان قوية وكبيرة، كما أن الحلق أو قوس الأسنان كان عريضاً.

تعددت الاكتشافات المرتبطة ببقايا إنسان نيندرتال خارج أوروبا ففى أفريقيا كان إنسان "روديسيا" حيث اكتشف بقايا هذا الإنسان بتل "بروكن هل" شمالى روديسيا، ويتشابه ذلك الإنسان مع نيندرتال وله نفس الحواجب الكثيفة ونفس العيون الكبيرة وكذلك الأنف المركبة فى وجه بارز ضخم الحجم.

أما حجم المخ فى إنسان روديسيا كان يتراوح ما بين (1300 . 1350سم3) أى أنه يقترب من مستوى الإنسان الحالى، وحواجبه أكثر كثافة وسقف الحلق كبير أما قوس الأسنان شبيه به عند الإنسان الحالى، وطول القامة خمسة أقدام وعشر بوصات ولا يقل اعتدالاً عن الإنسان الحديث.

وفى جنوب شرق آسيا كان إنسان "سولو" والذى يرجع إلى البلايستوسين الأعلى، وقد كان معاصراً لإنسان نيندرتال، وتدل بقاياه على أنه كان فى مرتبة إنسان نيندرتال وإنسان روديسيا ولكنه أقرب إلى إنسان روديسيا من حيث حجم المخ الذى يبلغ حوالى 1300سم3، وتدل جمجمته على اعتدال قامته.

وفى فلسطين وعلى منحدرات جبل الكرمل وجدت بقايا إنسان كهفى "السخول والطابون" واكتشفت كذلك بقايا صوانية ترجع للفترة الدفيئة الثالثة، وإن كانت البقايا المكتشفة قد أظهرت قدراً كبيراً من عدم التجانس فمنها طويل القامة واستقامة الأطراف، وتشبه الإنسان الحالى شبهاً كبيراً.

طلائع الإنسان الحديث:

أرجع معظم العلماء الإنسان الحديث إلى العصر الحجرى القديم الأعلى أى أن ظهور الإنسان الحديث لا يرجع لأكثر من مائة ألف سنة، وإن كان ذلك تقسيم أثرى ارتكز على الصلة بين الأدوات الحجرية وبين بقايا الهياكل البشرية ويعزز ذلك الاتجاه الأدلة الجيولوجية، وتتعدد طلائع الإنسان الحديث فى أوروبا:

. إنسان كرومانيون :

اكتشف فى جنوب فرنسا وأهم صفاته كبر حجم المخ وطول القامة، عرض الوجه، اتساع فتحة العين وانخفاضها، وإنسان كوم كابل والذى كان أقصر قامة وأضيق رأساً ووجهاً وأكثر بروزاً فى عظام الحاجبين، وكانا يعيشا جنباً إلى جنب فى بعض جهات غربى أوروبا مثل فرنسا، وإن كان بعض الأثريين يرى أنه لكل من الجنسين حضارته الخاصة، وإن كان إنسان كوم كابل أقدم ظهوراً.

إنسان جريمالدى:

اكتشف بالقرب من مونت كارلو على ساحل الريفيرا ودلت صفاته الجنسية على وجود مسحة زنجية وبنى ذلك الاحتمال على تقاطيع الوجه وشكل الجمجمة ولا سيما نتوء الجبهة وبروز الفم، أما إنسان شانسيلد اكتشف بفرنسا كذلك وتدل صفاته على تشابه مع الإسكيمو من حيث عرض الفكين وانبساط عظام الخدين وإن كان أنفه ذات قنطرة عالية فهى تختلف عن أنف الإسكيمو وتشبه أنف الأوروبى.

أما عن طلائع الإنسان الحديث خارج أوروبا فتتمثل فى إنسان "وادجاك" فى جاوة، ذو الصفات البشرية الكاملة ويرجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى، وتمتاز جمجمته بالغلظ وضخامة حجم المخ والذى وصل إلى (1650سم3).

انتشار الإنسان:

بعد أن استجمع الإنسان قواه عن طريق التنظيم الاجتماعى والحضارى فى الفترة ما بين (50.000 ـ 10.000 ق. م.) وبعد أن اتخذ من شمال أفريقيا وشرقها وأيضاً جنوب غربى آسيا وطناً له وبعد أن نمت صفاته الجنسية وقدراته الحضارية بدأ فى الانتشار إلى بقية أنحاء العالم القديم والهجرة إلى العالم الجديد، ففى هذه الفترة بدأت الاختلافات السلالية تظهر فى مناطق جغرافية واضحة المعالم ويمكن مقارنتها بغيرها، وكانت هذه الاختلافات الجنسية نتيجة لملائمة المجموعات البشرية لظروف بيئتها على مر السنين.

فارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها وسهولة الأرض وخصوبتها وجفاف الإقليم أو رطوبته ووفرة العيش أو قلته واختلاف خطوط الطول ودوائر العرض... كلها عوامل تجمعت سوياً وتعاونت لتظهر التفاوت السلالى.

ففى المناطق الاستوائية بأفريقيا انتشرت المجموعة الزنجية بصفاتها المميزة (البشرة السوداء، الشعر المجعد والمفلفل، الشفاة الغليظة المقلوبة، تفاوت طول القامة ما بين الأقزام إلى القبائل النيلوتية أطول الجماعات البشرية) ولا يعرف المكان المحدد لانتشار الزنوج ولكنه يرجح أن السودان الغربى هو الموضع الملائم.

ويرجح أن الزنوج توسعوا قبل القرن الخامس عشر على حساب سلالة البشمن، وتعد المجموعات الزنجية التى تعيش فى جنوب شرق آسيا والجزر المتاخمة لها جماعات قديمة خاصة أقزام الهند وجزر الإندمان وشبه جزيرة الملايو...

أما عن المجموعة القوقازية فقد عمرت منطقة واسعة تمتد شمال إقليم الزنوج فى أفريقيا واشتملت على شمالى أفريقيا وغرب آسيا فى الهند وسيلان وقد وصل القوقاز إلى أوروبا عن طريق شمال أفريقيا عبر جبل طارق ثم غرب أوروبا والطريق الآخر عبر حوض الدانوب ومن ثم شمال غرب أوروبا وقد استطاعت هذه الجماعات نقل الزراعة إلى حوض الدانوب وبلجيكا وفرنسا وشواطىء المتوسط. وإلى الشرق من الإقليم القوقازى يحتل

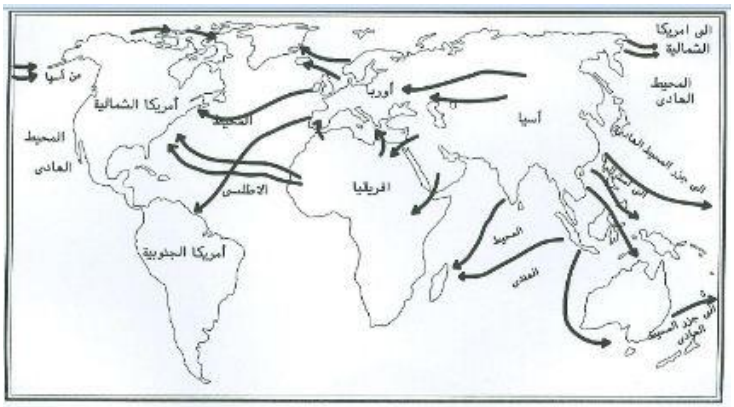

محاور انتشار الانسان بالكرة الارضية

المغول منطقة واسعة تغطى شمال وشرق آسيا حتى شبه جزيرة الملايو وسومطرة وغيرها من جزر الهند الشرقية كما تشمل أيضاً اليابان وفرموزا(تايوان) ومناطق أخرى فى العالم الجديد تقطنها عناصر مغولية، والصفات السلالية للمغول هى (الشعر الأسود الخشن المستقيم، الأنف الضيق المفلطح العريض، اللون الأصفر أو الزيتونى أو البنى، العيون الضيقة ذات الجفون السميكة) ويعد إقليم شمال شرق آسيا الموطن الأصلى للمغول حيث اكتسبت فى هذه المنطقة القدرة على تحمل البرودة الشديدة، وقد وقفت السلاسل الجبلية فى وسط آسيا عقبة أمام توسع السلالة المغولية غرباً، لذا كان توسعهم تجاه الشرق والجنوب.

بالإضافة إلى هذه المجموعات الثلاث الكبرى التى تسود العالم توجد ثلاث مجموعات أخرى فرعية قديمة سلالياً وحضارياً، وأول هذه المجموعة "البشمن" والذين كانوا ينتشرون فى بادئ الأمر فى إقليم متسع بأفريقيا وينحصرون حالياً فى صحراء كلهارى ويتصف البشمن بالقامة القصيرة (5 أقدام) ولون البشرة بنى مائل للاصفرار والوجه مفلطح والشعر مفلفل.

أما الأستراليون فهى المجموعة الثانية وتشتمل على عديد من الجماعات القديمة لا يوجد بينهما أى صلة قرابة وتحتوى على "الأستراليون الأصليون" الذين يعيشون فى المناطق المعتدلة فى جنوب شرق استراليا و"الدرافديون" فى جنوب وجنوب شرق الهند و"الأينو" سكان اليابان الأصليون.

والمجموعة الثالثة من هذه السلالة الفرعية فهم "البولينزيون والميكرونزيون" وهم سكان جزر المحيط الهادى ويتصفون بـ " البشرة السمراء ، الشعر الأسود المموج ، العيون السوداء، الأنف الضيق البارز، الفم الصغير، الشفاه الصغيرة، القامة المتوسطة" ، وإن كانت بعض عناصرهم تتسم بطول القامة

كما هى الحال فى جماعة التانجوس، وقد اختلطت هذه السلالات الفرعية بعناصر سلالية أخرى كالمغول والقوقاز وكذلك التزاوج الداخلى بينهما.

ولكن يتبقى التساؤل عن معايير التصنيف السلالى للبشر، وما هو مدلول السلالة وتعريفها؟ قبيل التطرق لتوزيع الجنس البشرى فى العالم

الفصل الثانى

أسس تصنيف السلالات البشرية

تعريف السلالة:

تعد السلالات البشرية الحالية أفراداً لنوع واحد، والنوع عبارة عن مجموعة جنسية متجانسة لا تستطيع تحت الظروف الطبيعية العادية التزاوج مع غيرها من الأنواع.

وقد نتج عن انتشار الإنسان الواسع على بقاع المعمورة القدرة على الملائمة للظروف المختلفة حيث أصبحنا نشاهد الآن أنماطاً ونماذج متعددة من السلالات البشرية، فهناك الأبيض والأسود والأشقر ذو الشعر المجعد والمستقيم والمفلفل وصاحب العين المنحرفة والأخرى الواسعة وذو الأنف الأقنى والآخر المستقيم ... ولا يقتصر مجال الاختلاف على الصفات الجنسية بل هناك اختلافات فى القدرات والمهارات والثقافة واللغة وغيرها من الاختلافات البيولوجية والحضارية والتى بواسطتها يحاول الأنثروبولوجيين استخدامها فى تقسيم البشر إلى سلالات أو أنواع فرعية.

السلالة : تعنى التسلسل الأحيائى والذى يتضمن بدوره مفهوم الوراثة والتزاوج الداخلى بين أفراد المجموعة والمؤدى فى النهاية إلى التجانس التام فى الصفات الجسمية بين أفراد هذه المجموعة وإلى تكوين سلالة نقية لا يدخل فى دمها دم آخر مختلف، وإن كان ذلك لا يحدث إلى فى حالات نادرة بين الشعوب البدائية والمنعزلة ومثل هذه السلالات الأقرب إلى النقاء مصيرها إلى الانقراض كما حدث مع التسمانيين.

ولكى نعرف "السلالة" أو "النوع الفرعى" لا بد وأن يكون على الأقل ما يقرب من 75% من أفراد المجموعة يتحدون فى صفاتهم البيولوجية المقارنة وذلك ما يعرف باسم "قاعدة 75% Percent Rule 75%"، فإذا ما طبقت هذه القاعدة فسوف تقسم السلالات إلى أنواع فرعية البيض (القوقاز) المغول

(الجنس الأصفر الآسيوى) الزنوج (السود الإفريقيون) ويسمى الانثربولوجيون هذه الأنواع باسم المجموعات البشرية الكبرى أو الرئيسية، وداخل هذه المجموعات يوجد عدد من السلالات الفرعية.

حاول الإنسان منذ القدم معرفة ذاته وسط بقية شعوب العالم وإن كانت كل فئة تضع نفسها فى قمة التميز البشرى وتضع غيرها فى درجات متدنية، فالإغريق كانوا يعتقدون بأنهم الأفضل والأحسن مرتبة من الشعوب الأخرى، كما أشار هيرودوت (القرن الخامس ق. م) إلى أن الفرس كان شعورهم بأنهم أكثر ثقافة عن جيرانهم، وينطبق ذلك أيضاً على الرومان.

ثم جاءت الأديان السماوية وحرمت فكرة التميز والتصنيف بين البشر على أسس عرقية وغيرها فكانت المسيحية تنادى بالإخاء ونادى الإسلام بأنه "لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى..." إلا أن ذلك لم يمنع من وجود تصنيفات وتمايزات على أسس جنسية وعرقية.

وإبان عصر الاستعمار كانت هناك كثير من الآراء تنادى بأن الرجل الأبيض عليه سيادة الشعوب الملونة ووصل ذلك الأمر إلى إبادة شعوب واستخدام القوة فى ذلك (الهنود الأمريكيين . الزنوج...)، كما شاعت فكرة السيادة الألمانية والجنس الآرى وإبادة العبيد واليهود وذوى الإعاقات.

وفى العصر الحديث بدأت الآراء تتفاوت فى السلالات البشرية فمن هذه الآراء ما ربطت بين السلالة والحدود السياسية فاستخدموا السلالة البروسية واللاتينية وأيضاً السلالة اليهودية... ويبدو هنا الخلط بين السلالة وبين القومية والشعوبية واللغة وأيضاً الدين كما هى الحال فى السلالة "اليهودية"، فهذا التصنيف خطأً علمياً لا يرتكز على أسس علمية فالسلالة "اللاتينية" فى

ذلك التصنيف تحتوى داخلها على عدة سلالات يمكن تمييزها حسب الصفات الجسمية.

ونفس الوضع ينطبق على استخدام لفظ سلالة على الجماعات المتحدثة بلغة واحدة أو التى ترتبط حضارياً، فظهرت تبعاً لذلك عدة تقسيمات لأوروبا مثل "الجرمان، السلاف، اللاتين" وهذا التقسيم ذو قيمة وأهمية من ناحية اللغة فقط ولكنه لا يفيد أنثروبولوجياً، وأيضاً لا يمكن قول "السلالة السامية أو السلالة الحامية" بل "اللغة السامية أو اللغة الحامية".

فاللغة والثقافة ليس لهما سند أحيائى صحيح وليس من الضرورى أن يكون أصحاب اللغة المشتركة منحدرين من أصل واحد، فاللغة أداة تعبير وتفاهم يمكن اكتسابها وتعلمها كمهارة سهلة الانتشار، فالشعوب المستعمرة فرضتها على مستعمراتها، فالعثمانيين فرضوا التركية فى شبه جزيرة الأناضول، والفرنسيين فرضوها فى الجزائر وغير ذلك...، وقد يحدث العكس أى اكتساب المستعمرين لغة مستعمراتها كما حدث مع النورمان باكتسابهم الفرنسية أثناء احتلالهم لفرنسا والفلسطينيين اكتسابهم الكنعانية بعد استقرارهم بفلسطين.

وفى بعض الأحيان تصبح اللغة حاجزاً ثقافياً كبيراً بين أفراد المجموعة الواحدة والسلالات المشتركة ففى القرن الإفريقى باعدت اللغة بين الأثيوبيين وجيرانهم الصوماليين رغم الرابطة السلالية المشتركة بينهم.

ويجب التفريق بين مفهومى "الشعب" و"السلالة" فالشعب مجموعة من السكان تسكن دولة واحدة قد تضم عدة سلالات أو أجناس والنموذج الواضح فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى تحتوى بين حدودها (القوقاز . الزنوج . المغول . مجموعات قديمة ...) وأيضاً هناك الهند وفرنسا والمملكة المتحدة،

ففى حالة الشعوب توضع حدود سياسية واضحة مع الاعتماد فى ذلك على الانتماء والخصائص الحضارية، أما السلالة فتختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً إذ تحمل بين طياتها تاريخاً جنسياً طويلاً يصعب تحديد درجة نقاوته.

فالتقسيم السلالى يعتمد على أسس متباينة وقواعد تبتعد كثيراً عن التصنيفات الحضارية والثقافية والسياسية، فمن الناحية البيولوجية والأنثربولوجية هناك اتفاق على أن جميع أصناف البشر يستطيعون التزاوج وإنتاج النسل بغض النظر عن الاختلافات البيولوجية بينهم وكذلك البيئة الجغرافية التى تؤدى إلى ظهور اختلافات سلالية والتى بواسطتها يمكن للأنثروبولجيين تقسيم البشر إلى سلالات وأنواع فرعية.

يتضح من ذلك أن محاولات تقسيم النوع البشرى إلى سلالات اتسمت فى بادئ الأمر بالخلط بين الصفات الجنسية للشعوب وبين الحضارة واللغة وذلك لعدم القدرة على التمييز بينهم، فكلمة سلالة استخدمت فى معانٍ كثيرة غير أنه يقصد بها مجموعة من الناس ذات صفات جنسية متشابهة، غير أن هذه الصفات اختلف بشأنها العلماء والباحثون.

والمعروف أنه لا يوجد حالياً سلالة نقية بالرغم من أن هناك بعض الشعوب كالاندمان والبشمن والفدا تمتلك قدراً من الخصوصية السلالية حيث أنهم لم يختلطوا بغيرهم من البشر لذلك يتهددهم وأمثالهم الانقراض.

البيئة الجغرافية والتنوع السلالى:

تؤثر البيئة الجغرافية على التطور السلالى وذلك عن طريق عامل العزلة التى تنشأ عن وجود الحواجز الجغرافية كالسلاسل الجبلية والصحراء والمحيطات، بالإضافة إلى المناخ والغذاء.

الحواجز الجغرافية:

نشأت عدة سلالات ثانوية أو فرعية نتيجة تفرق لمجموعات بشرية وانعزالها عن بعض بسبب العوائق الجغرافية، وقد كانت الحواجز الجغرافية أهم العوامل التى تمنع الاختلاط وتشجع الاختلافات العشوائية، فمثلاً فصلت الصحراء الكبرى فى أفريقيا بين سكان البحر المتوسط (القوقاز) والمجموعة الزنجية فى أفريقيا المدارية، كما أن جبال الهملايا فصلت بين مغول الهضاب العليا بوسط آسيا وسكان الهنود القوقازيين.

فالحواجز الجغرافية كانت عاملاً قوياً ومؤثراً وقف أمام تحركات البشر وإن كانت مقدرة الإنسان على الملائمة والتكيف مكنته من أن يعيش فى ظروف جغرافية وبيئات متباينة ومتنوعة، وتؤثر الحواجز الجغرافية على التنوع السلالى فى:

. منع وحدات وراثية جديدة من الظهور كانت ستبدو لو هناك اختلاطاً سكانياً.

. خمول أو ركود عملية ضغط الاختيار بسبب قلة المنافسة فى بيئة محدودة.

. ظهور الاختلافات العشوائية بسبب العزلة.

ويبدو أثر العزلة كبيراً على الجماعات الصغيرة فالمجموعة المغولية ظهرت فى بيئة منعزلة محاطة بالجليد خلال الفترة الجليدية الأخيرة وتمثل هذه المجموعة نموذجاً للاختيار الطبيعى الديناميكى الذى يتضمن تكوين مجموعة جنسية بيئية Genotype تتلائم مع ظهور قهرية لتغير البيئة، أما الاختيار الطبيعى المستقر هو الذى تستطيع عناصره الممتازة أن تقاوم تغيرات البيئة الفصلية كالتغير الحرارى وحدوث المجاعات الطارئة أو الأوبئة...

المناخ:

تشجع العوامل المناخية فى بعض الأحيان أثناء عملية الاختيار الطبيعى على ظهور بعض الصفات السلالية واختفاء أخرى، ففى المناطق الباردة تتطلب الملائمة للعيش فيها الإقلال من فقدان الحرارة بينما فى المناطق الحارة تفضل الظروف المهيأة لترطيب الجسم.

ويبدو أثر المناخ على لون البشرة، ففى الصحراء المدارية حيث يسود الجو الجاف تكون البشرة بنية وليست سوداء بسبب عدم وجود الرطوبة، ويرجع لون البشرة الفاتحة لسكان الصحراء إلى أنهم لم يمض عليهم الوقت الكافى لاكتساب لون البشرة الداكنة كالطوارق الذين وصلوا إلى الصحراء الكبرى منذ ما يقرب من 1500 سنة.

واقترن اللون الأسود بالمناطق الحارة الرطبة بسبب كثافة عدد الحبيبات الملونة فى الجسم، فاقتران لون البشرة السوداء بهذه المناطق، ويعتبر لون البشرة هنا كعامل حماية لهم ضد أشعة الشمس القوية.

وأيضاً يرتبط المناخ بحجم الجسم فى البيئة الجغرافية، ففى المناطق الحارة يعيش نحاف الجسم (النوير . الدكنا . التوتسى)، أما الجماعات التى

تعيش بالقرب من الدائرة القطبية ممتلئو الأجسام وينطبق ذلك على زوائد الجسم (الأطراف . الأذن . الأنف)، تكون قصيرة فى المناطق الباردة، فالإسكيمو يمتازون بالسيقان القصيرة وأيضاً الأصابع والأنوف، بينما سكان الصحراء على النقيض يمتازون بالسيقان الطويلة والأنوف البارزة.

الغذاء والأمراض:

يؤثر الغذاء على تكوين الجسم وبنائه فمن الملاحظ أن آكلى اللحوم يمتازون بالأجسام الضخمة وخير مثال لذلك صيادى الماموث فى العصر الحجرى القديم، وهنود سهول أمريكا حيث كان اعتمادهم على حيوان البيسون، وعلى النقيض من ذلك سكان جنوب شرق آسيا الذين يتصفون بالأجسام الصغيرة حيث يمثل الأرز غذائهم الرئيسى، ويلاحظ أن الأوروبى إذا ما اعتمد على الأرز فإنه يصاب بمرض البرى . برى وبعض أمراض فقر الدم الأخرى.

وفى جزر بولينزيا وميكرونيزيا يعتمد السكان على البطاطس واليام والسمك وجوز الهند وهم قريبو الشكل بالأوربيين والأمريكيين وسكان غرب أوروبا من حيث بناء الجسم وطول القامة وبالرغم من أن غذائهم خال من اللحوم إلا أن عناصر غذائهم من أطعمة البحر تحتوى على عناصر بروتينية وفيتامينات.

أما غذاء سكان الصحراء يتركز فى كميات بسيطة من الأطعمة إلا أنها مليئة بالبروتينات والدهنيات والسكريات إذ يشتمل على اللبن والتمر وبعض الحبوب.

وقد لعب المرض دوراً مهماً فى عملية الاختيار الطبيعى فى تاريخ البشرية، ففى مرحلة جمع الطعام والتى استغرقت أكثر من 99% من تاريخ الإنسانية حيث كانت أعداد السكان قليلة، كما كانوا يعيشون متناثرين الأمر

الذى ساعد على العزلة، ولكن مع حياة الاستقرار وظهور المحلات العمرانية والحضرية وقبل التقدم الصحى والطبى عصفت الأوبئة والمجاعات بالسكان فعلى سبيل المثال قضى الطاعون الأسود على ربع سكان العالمI خلال القرن الرابع عشر الميلادى، وكان من الطبيعى أن يؤدى مثل ذلك الوباء إلى تغير فى تكوين الوحدات الوراثية لدى السكان.

أسس تصنيف السلالات:

يعد "بليمنباخ Blemnbacch" (1775) أول من نادى بأنه لابد أن يؤخذ فى الاعتبار عند تعريف السلالة كل الصفات الموجودة، كما استطاع التعرف على التفاوت والتدرج فى الصفات بين المجموعات المختلفة وقد اعتمد على تقسيم لون البشرة وشكل الشعر ولونه، وطول القامة والمقاييس المختلفة لجميع أجزاء الجسم وتبعاً للون البشرة.

وفى خلال القرن الثامن عشر أمكن الحصول على معلومات وفيرة خاصة بقياس أعضاء الجسم لدى المجموعات البشرية سواء كانت هذه المقاييس تختص بالأحياء والهياكل، وتبع ذلك تبويب وتصنيف هذه المعلومات إحصائياً واستند عليها فى معرفة الاختلافات السلالية بين المجموعات البشرية والتى يمكن على أساسها تمييز سلالات معينة.

وأهم الأسس التى تستخدم فى تصنيف البشر إلى سلالات متنوعة هى الصفات الجنسية التى تستخدم فى تعريف السلالة وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً : **الصفات الهيكلية** (*الصفات* المستترة): وتحتاج لآلات خاصة لقياسها وملاحظتها وهى: شكل وحجم الجمجمة، الوجه، الأنف، الفك، الأسنان، شكل الحواجب، عظام الوجنات، طول القامة....

ثانياً : **الصفات السطحية** (الصفات الظاهرة): وهى التى تدرك بالعين المجردة مثل لون البشرة، شكل الشعر ولونه، لون العين وثنيتها، شكل الشفاه....

ثالثاً : **فصائل الدم**.

أولاً : الصفات الهيكلية *Skeleton Features*

يندرج تحتها عدة صفات هيكلية تحتاج لآلات معينة لإدراكها وتحديدها كالنسبة الرأسية والوجهية والأنفية وكذلك طول القامة.

1. النسبة الرأسية: Cephalic Index:

تتسم بعض الرؤوس بالطول وأخرى بالاستعراض والقصر وذلك التمييز يرتكز على أسس قياسية أو ما يعرف بالنسبة الرأسية بالنسبة للأحياء أو النسبة الجمجمية للأموات، ويمكن الحصول عليها من خلال قسمة عرض الرأس أو الجمجمة على طولها وضرب الحاصل فى 100:

النسبة الرأسية = (العرض ÷ الطول) × 100

فإذا قلَّت النسبة عن 75.9% كانت الرأس طويلة، أما المتوسط بين 76 . 80.9%، وتصبح الرأس العريض أكثر من 81%، وأحياناً تقسم إلى قسمين فقط: العريض أكثر من 87% والطويل أقل من 87%، ويذهب البعض الآخر إلى خمسة تقسيمات: رأس طويل جداً أقل من 70%، ورأس عريض جداً أكثر من 82% وتتدرج ثلاث فئات بينهما.

وإلى جانب شكل الرأس هناك ارتفاع الرأس وهى صفة لها أهميتها فبعض الرؤوس مرتفعة واضحة التقوس لأعلى أو منخفضة أو مفلطحة وتؤخذ نسبة ارتفاع الرأس بقياس الخط العمودى الذى يصل إلى أعلى الرأس بقاعدة خط آخر يصل بين الحاجب ومؤخرة الرأس، فتكون الرأس المنخفضة الأقل من 58، المفلطحة بين 58 . 63 ثم المرتفعة أكثر من 63.

وقلت أهمية النسبة الرأسية منذ عام 1865 والتى نادى بها هكسلى حيث أصبحت المقاييس الرأسية ذات أهمية محدودة فى دراسة بعض الأجناس، فمثلاً سكان أوروبا وأفريقيا واستراليا لهم فى الأغلب الأعم نفس النسبة الرأسية.

وإن كان التميز بين المجموعات البشرية الفرعية يظهر أهمية الفروق فى النسبة الرأسية وهنا يكون للقياس أهميته فى التمييز، ومن الممكن فى بعض الحالات التعرف على سلالة الفرد من شكل جمجمته كما هى الحال بالنسبة لجماجم الأستراليين الأصليين التى تمتاز بالحواجب البارزة وجماجم الإسكيمو ذات القواطع والأنياب الحادة.

وفى خلال العصر الحجرى القديم الأعلى كانت معظم الجماجم طويلة بينما الجماجم العريضة لم تظهر وتنتشر إلا فى العصر الحجرى المتوسط، وفى أثناء العصر الحجرى الحديث امتاز المهاجرون إلى أوروبا بالرؤوس الطويلة وكان معظمها يتبع سلالة البحر المتوسط.

أما عصر المعدن وتحركات الشعوب امتاز سكان آسيا الصغرى ووسط أوروبا وأسبانيا بالرؤوس العريضة، وفى الجزر البريطانية حلت الرؤوس المستديرة مكان الرؤوس العريضة، وفى العصر الرومانى انتشرت الرؤوس الطويلة وأصبحت لها السيادة بعد ذلك فى أوروبا، وخلال العصور التاريخية اللاحقة كان الاتجاه العام نحو الرؤوس المستديرة ولا سيما فى وسط وشرق أوروبا حيث يرجع ذلك التغير إلى الغزوات المتعاقبة التى شنها المغول ذو الرؤوس المستديرة وأيضاً الهون والأتراك والتتار، ويحتمل أن يكون الاتجاه العام فى المستقبل نحو زيادة نسبة الرؤوس المستديرة نتيجة للاختيار الطبيعى.

2 . النسبة الوجهية Facial Index:

أقل أهمية من النسبة الرأسية حيث تتأثر بعاملى السن والنوع، فالرجال عادة لهم وجوه أطول من النساء فى نفس السلالة الواحدة حيث أن فك الرجل أثقل من فك المرأة ، كما أن شفته العليا أطول وذقنه أكثر قوة ، وفى العادة الأفراد أصحاب الفك القوى عراض الوجه وإن ظهر بينهم أيضاً بعض الوجوه الطويلة . ويمكن الحصول على النسبة الوجهية بقياس طول الوجه من جدر الأنف وحتى أسفل الذقن وقسمته على عرض الوجه وضرب الناتج فى 100 ، وأهم مايؤثر فى شكل الوجه هى عظام الوجنتين ، فالوجه يكون عريضاً إذا ماكانت عظمتا الوجنتين متباعدتين وقد يكون مستطيلا إذا ما كانتا متقاربين هذا وتعبر الأرقام التالية عن النسبة الوجهية لدى الأحياء .

شكل الوجه	النسبة الوجهية
عريض	< %85
متوسط	88/85
ضيق	88<

والنسبة الوجهية ليست كافية لإعطائنا فكرة عن شكل الوجه ومن ثم لانستطيع أن نعتمد عليها كصفة أساسية لتقسيم المجموعات البشرية إذ أن هناك بعض الوجوه الصغيرة والأخرى الطويلة وذلك بغض النظر عن النسبة الوجهية ذاتها .

ورغم ذلك فهناك تناسق بين الرأس والوجه. فالرأس الطويل فى العادة ذات وجه ضيق بينما الوجه العريض يصاحب الرأس العريض غير أن لهذه القاعدة استثناء، فقد توجد رؤوس عريضة مصاحبة وجوه مستطيلة كما هو الحال فى جماجم الإسكيمو، كما أن هناك رأس عريض ووجه ضيق كما هو فى حالة الباسك.

شكل الأنف	النسبة الأنفية
طويل وضيق	%47.9 >
متوسط	52.9 /48
عريض	53<

ويعتبر وجه المغول أعرض وجوه المجموعات البشرية الكبرى بينما وجه القوقازيين هو أصغر الوجوه وأضيقها على الأطلاق ، والسبب فى ذلك أن المغول يمتازون ببروز عظام الوجهات على عكس أفراد المجموعة القوقازية ،ومما هو جدير بالذكر أن بروز الفك أو عدم بروزه لدى الزنوج وبعض السلالات البدائية يؤثر بصفة عامة إلى جانب عظام الوجنات فى شكل الوجه .

3 . النسبة الأنفية Nosal lndex

تعتبر الأنف من الصفات الجنسية المهمة التى تجذب النظر إليها إذ أنها توجد على أشكال متعددة فقد تكون طويلة أو قصيرة عريضة أو ضيقة ، مقعرة أو مستقيمة أو محدبة ، منخفضة أو متوسطة أو مرتفعة ولذلك تقاس الأنف بواسطة آلة خاصة وتؤخذ النسبة الأنفية التى يمكن الحصول عليها من خلال النسبة الأنفية والتى تأتى بقياس عرض الأنف**(ويقاس من أحد أطراف قاعدة الأنف إلى القاعدة الأخرى)**×الطول**(ويقاس من أول الفجوة التى تقع بين الحاجبين إلى أسفل الأنف)**×100

فى حالة الأحياء نلاحظ أن النسبة الأنفية قد تزيد فالأنف الطويل أو الضيق هو الذى تقل نسبته عن 70% بينما الأنف العريض يزيد عن 84%، وبطبيعة الحال المتوسط هو ماكانت نسبته بين 77–84 % . هذا ومن الملاحظ أن أنوف النساء أكثر عرضاً وقصراً من أنوف الرجال ، كما أن النسبة الأنفية تقل تبعاً للسن .

وتعتبر أنوف الأستراليين من أعرض أنوف السلالات المعروفة ، كما أن الزنوج يمتازون بالأنوف القصيرة العريضة " الفطساء " ، والمغول بالأنوف المتوسطة ، ويشذ عن المغول الإسكيمو الذين يشبهون القوقازيين فى أن أنوفهم طويلة ضيقة.

وللأنف أهمية خاصة فى التعرف على السلالة البشرية القديمة وعلى سلالات الجماجم ولا سيما أن معظم الباحثين فى هذا المجال حاولوا الربط بين شكل الأنف والحالة المناخية التى نشأ

وتكون فيها اصحاب الأنوف المختلفة إذ ثبت أن شكل الأنف مرتبط ارتباطاً وثيقا بالمناخ ، ففى المناطق الحارة الرطبة وجد الأنف العريض ذو المنخارين الواسعين ، وذلك لكى يستقبل كمية أكبر من الهواء الذى لايضر الرئتين بدخوله مباشرة بسبب دفئه بينما فى الجهات الباردة والجافة توجد الأنوف الطويلة الضيقة والتى تمكن الهواء من التدفئة أثناء سيره منها إلى الرئتين ، كما أن المنخار الضيق يسمح بمرور كميات أقل من الهواء .

(أنف أسترالى)

وفى التوزيع الحالى للسلالات نشاهد اتفاقاً تاماً بين شكل أنف المجموعة الزنجية والقوقازية والظروف المناخية السائدة فى بيئاتهم غير أن هناك بعض الحالات التى يصعب فيها إيجاد علاقة بين الحرارة أو الرطوبة وبين شكل الأنف ، فبعض سكان جزر الهند الشرقية والهند الموسمية وشمالى السودان يعيشون فى بيئات حارة غير أنهم ليسو من أصحاب الأنوف القصيرة أو الفطساء ، كذلك التسمانيون حيث أن بيئتهم المعتدلة لم تحل دون ظهور الأنف الأفطس بينهم . فكيف يمكننا أن نفسر

هذا الشذوذ عن القاعدة ؟ هل هذا الاختلاف ناتج عن طريق التزاوج بين سلالات المجموعات البشرية الكبرى التى خرجت منذ آلاف السنين من أوطانها الأولى وانتشرت إلى أنحاء المعمورة وكونت سلالات فرعية وثانوية امتازت بأنها ترتبط مع السلالة الأم فى بعض صفاتها العامه وفى نفس الوقت لها صفاتها الخاصة التى تميزها وتعطيها شخصيتها الذاتية .

وتختلف الأنف من حيث الشكل إلى جانب إختلافها من حيث النسبة فقد تكون قصيرة أو محدبة أو مستقيمة وفى كل وحدة من هذه الصفات يكون لها شكل خاص فأنف الزنجى على سبيل المثال قصير عريض جذرها غائر وقنطرتها عريضة وفى بعض الأحيان مقعر أو مستقيم بينما أنوف الأستراليين تشبه أنوف الزنوج غير أن جذر الأنف أكثر عمقا وطرفها أكبر حجماً .

قصير جداً (قزم):
< 149.9سم
قصير :
159.9/150سم
متوسط:
169.9/160سم
طويل:
179.9/170سم
طويل جداً:
180> سم

أما فيما يتعلق بأنف المغولى فهى شديدة التقعر وصغيرة إذا ماقورنت بأنف الزنوج وتمتاز بأن جوانبها رفيعة والقنطرة ضيقة ، هذا بخلاف المجموعة القوقازية ولا سيما السلالة النوردية منها وسلالة البحر المتوسط الذين يمتازون بالأنوف المحدبة الضيقة الطويلة ذات القنطرة المرتفعة .

أما سكان الألب ووسط أوروبا فأنوفهم قصيرة عريضة مستقيمة بينما الأنف " الأرمنى" أو اليهودى المعقوف (أنف الحيثيين القدماء) نشاهده بين البابوان وسكان ميلانزيا والهنود الأمريكيين ولاسيما هنود السهول الذين يمتازون أيضاً بالأنف المحدب

4. طول القامة Stature :

كان طول القامة ولايزال صفة جنسية لها أهميتها فى تقسيم البشر إلى سلالات ولاسيما أنه يمكن قياسها فى الأحياء وفى الهياكل العظمية فتبعاً لطول القامة يمكن تقسيم الرجال إلى مجموعات خمس هى :

مع ملاحظة أن النساء ينقصن فى أطوالهن نحو 20سم ، ويصنف تربيناد المجموعات البشرية حسب طول القامة إلى أربع فئات :

(1) جماعات قصيرة القامة جداً : النجريتو بآسيا وجزر المحيط الهادى ،" النجريللو" بافريقية والأقزام والبوشمن .

(2) جماعات قصيرة القامة : الأندونيسيون ، الإينو ، الإسكيمو ، اللاب، الهنود الامريكيون ، الياغان والكاريب.

(3) جماعات متوسطة القامة : ينتمى إلى هذه

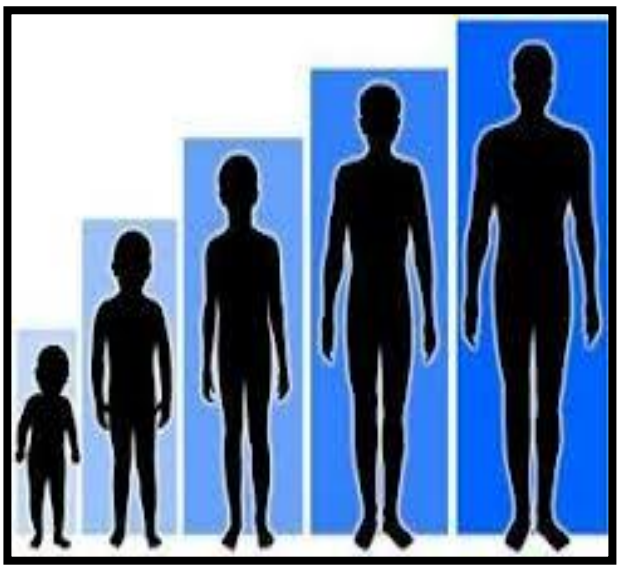

المجموعة معظم الجماعات القوقازية والمغولية والزنجية كما يدخل أيضاً تحت نطاقها الاستراليون والهنود الأمريكيون الذين ينتشرون على طول ساحل المحيط الهادى بالأمريكتين .

(4) جماعات طويلة القامة : من الملاحظ أن القامة الطويلة صفة عامة تميز القارة الأفريقية عن غيرها من القارات ولاسيما فى مناطق الزنوج النيليين فى إقليم البحيرات الشرقى . ذلك إلى جانب أن القامة الطويلة تظهر فى شمال غرب أوروبا ومنطقة جبال الألب الدينارية وشمال الصين وبين الهنود الأمريكيين فى منطقة السهول وكذلك بين بعض المجموعات الجنسية فى جنوب غرب الولايات المتحدة وصحراء بتاجونيا وبين البولنيزيين والميلانزيين والبابوان .

وهناك اختلافات كثيرة فى طول القامة بين أى مجموعة جنسية تعيش فى منطقة محدودة . فعلى سبيل المثال بعض أقزام الكنغو المعروفين باسم الباتوا والذين يعيشون بالقرب من نهر كاساى قد هجروا الغابات الاستوائية منذ فترة من الزمن وأخذوا يمارسون حياة الزراعة والاستقرار ونتج عن ذلك أنهم اكتسبوا – فى خلال جيلين – قامة أطول من الأقزام ومن ثم أصبحوا أطول من جيرانهم المعروفين باسم البيشونجر.

ويرى بعض الباحثين أن أشعة الشمس والهواء وممارسة حياة الاستقرار هى السبب فى طول القامة ، ذلك إلى جانب أن تحسن الأحوال المعيشية يؤدى إلى نفس النتيجة كما حدث فى منطقة ليموزين بفرنسا حيث زاد طول قامة سكان هذه المنطقة بتحسن ظروفهم المعيشية . والواقع أن تأثير المناخ على طول القامة وبناء الجسم أمر معروف فقد لوحظ بصفة عامة أن المجموعات البشرية التى تعيش فى البيئات الحارة ولاسيما الصحراوية تمتاز بالأوزان

الخفيفة مع طول القامة بينما فى المناطق الباردة تعيش جماعات تمتاز بقصر القامة والسمنة . غير أن هذه القاعدة العامة لها شواذ كثيرة وذلك نتيجة للاختلاط والهجرة . ولهذا يجب عدم التطرف فى التعميم ومعالجة كل حالة على حدة فقد تساق مجموعة من الأقزام أو قصار القامة تحت ضغط شعوب أطول من مكان ما إلى مكان آخر جديد لم تكن تعيش فيه من قبل . فطول القامة يخضع أساساً للوراثة ولا نستطيع دائماً أن نرجع الاختلاف فى الأحجام إلى عوامل بيئية سواء أكان منها مايتعلق بالأحوال المناخية أو بالحرفة أو بنوع الغذاء . ذلك على الرغم من أن لبعض العوامل السابقة آثار معدلة على طول القامة ولا سيما فى أوقات المجاعات والقحط . فالأقزام ربما يمثلون جماعات بشرية تحمل صفات جنسية معدلة لسكان أصلين عاشوا فى بيئة منعزله واكتسبوا صفاتهم الجنسية عن طريق التزاوج فى هذه البيئة الصعبة القاسية . وبالمثل يمكن أن نلتمس نفس الشئ وإن كان بصورة أقل بين البوشمن والإسكيمو واللاب .

ثانياً : الصفات السطحية Surface Features

تتمثل فى لون البشرة وشكل ولون الشعر وشكل العين ، على الرغم من أن هذه الاختلافات السطحية غير مفيدة بصفة عامة فى تقسيم السلالات داخل المجموعات البشرية الكبرى بسبب تدرج الألوان فى داخل المجموعة الواحدة.

1. لون البشرة

إحدى الصفات الجنسية التى يمكن ادراكها بسهولة ، لذلك فقد استرعت قديماً نظر بعض الشعوب كالمصريين الذين استخدموها فى التمييز بين

الأجناس المختلفة . كما أن بعض الكتاب فى الوقت الحاضر وضعوها فى المرتبة الأولى لتقسيم السلالات رغم أن استخدامها يسبب كثيرا من الخلط .

ولون البشرة يرجع إلى وجود حبيبات ملونة تسمى " جرانيلاس Granulas وتوجد فى طبقات الجلد العميقة واختلاف لون الجسم من فرد لآخر يرجع لتنوع لون هذه الحبيبات . ذلك إلى جانب أن الظروف المناخية ولاسيما الضوء والحرارة والرطوبة لها تأثير قوى على لون البشرة . فالأفراد يختلفون فيما بينهم كثيراً فى درجة تركيز الحبيبات الملونة ولاسيما مادة الميلانين Melanin الموجودة فى الطبقة الخارجية للجلد . ومن المعروف أن كمية الميلانين تورث غير أن طريقة الوراثة وعدد الوحدات المحتوية عليها مازال أمراً مجهولا فيرجح أن اختلاف لون البشرة بين الزنوج والبيض يرجع إلى أن الوحدات الوراثية المسببة له لاتزيد عن ستة فقط كما أنه فى بعض الأحيان توجد الوحدات الوراثية الخاصة باللون الأبيض بين الزنوج وقد يحدث أيضاً العكس الأمر الذى يبين أننا ما زلنا نجهل الكثير عن طريقة الوراثة لهذه المادة الملونة.

وعلى الرغم من أن تكوين مادة الميلانين مرتبط ببعض هرمونات الجسم إلا أن هناك اتصالا وثيقاً بين الأشعة فوق البنفسجية وبين كمية المادة الملونة الموجودة فى الجسم . فلون البشرة الداكن له قدرة أكبر من لون البشرة الفاتح على امتصاص الأشعة . فالأولى تمتص مايقرب من 80% من جملة الاشعاع وفى بعض الأحيان أكثر من ذلك ، بينما الثانية لاتستطيع أن تمتص أكثر من 60% فقط من جملة الأشعة . ذلك بالإضافة إلى أن أشعة الشمس البنفسجية غير المرئية يمكنها أن تتخلل عميقاً فى البشرة البيضاء بينما المادة الملونة فى البشرة السوداء لاتسمح إلا لقليل من الأشعة

البنفسجية بالتسرب داخل الجلد . هذا وقد لوحظ أن الاشعة البنفسجية فى أثناء وجود أشعة شمسية قوية تتخلل الجسم بكميات كافية يمكنها من أعطاء الجسم القدر الكافى من فيتامين د ، بينما لوحظ أن أطفال الزنوج إذا ماوجدوا فى جو ملبد بالغيوم يصبحون أكثر قابلية من أولاد البيض للإصابة بأمراض الأطفال وقد أرجع كل ذلك لفعل مادة الميلانين فى الجسم .

وسكان المناطق الصحراوية الذين يعيشون فى مناطق ذات إشعاع شمسى قوى يميل لون بشرتهم إلى اللون البنى وليس الأسود ويبدو أن لعامل الجفاف هناك أثر كبير ، كما أن التسمانيين يمتازون بالسمرة رغم أنهم يعيشون فى مناطق حارة وسبب ذلك أنهم هاجروا إلى تسمانيا فى فترة حديثة نسبياً وأن موطن نشأتهم لابد وأن يكون قريباً من خط الاستواء . أما بالنسبة للعالم الجديد لايوجد من بين سكانه الأصليين من لون بشرته أسود ، الأمر الذى دفع بعض الباحثين إلى اقتراح أن الوحدات الوراثية للون الأسود قد انقرضت أو قضى عليها حينما عبر الأسلاف أو الهنود الأمريكيون ممر بهرنج أو "المصفاة الباردة " التى لم تسمح بمرور الوحدات الوراثية الخاصة باللون الأسود . ومنذ ذلك التاريخ لم تظهر بين الهنود الأمريكيين أى طفرة لتؤدى لظهور اللون الأسود فى العالم الجديد.

ومن الصعوبة بمكان محاولة وضع قاعدة للربط بين لون البشرة والظروف الجغرافية خصوصاً المناخية منها إذ أن هذا موضوع صعب معقد ،حيث نلاحظ أن هناك مجموعات بشرية تمتاز بصفات جنسية مختلفة وتعيش تحت ظروف مناخية واحدة كما هو الحال فى زنوج حوض الكنغو الذين يمتازون بلون البشرة الأسود ، والبابوان ذوو اللون الأصفر والذين يقطنون داخل غابات بورنيو وسكان أحراج حوض الأمزون الذين يمتازون

باللون البنى فإذا ما فرضنا أن البيئة هى التى تتحكم فى لون الزنوج بأفريقية فكيف تفسر عدم تحكم نفس ظروف البيئة فى إظهار نفس الصفات فى كل المناطق التى توجد بها.

ربما يذهب البعض لشرح تلك الظاهرة بعامل الزمن إذ أن البابوان لم يمض عليهم الوقت الكاف فى بيئتهم المدارية ومن ثم فإن الاحوال المناخية لم تظهر تأثيرها بعد لكن سرعان ماينهار ذلك الفرض حين مقارنة سكان أستراليا الأصليين الذين يمتازون بلون البشرة الداكن والأنف العريض بسكان تسمانيا على أى حال يمكن القول أن الاختلاف فى لون البشرة يرجع إلى تأثير البيئة فى وقت كانت فيه للطفرة والتنوع مجالاتا للظهور ، ومن ثم فإن زيادة العناصر الملونة فى بعض الاشخاص كانت عاملاً من عوامل الملاءمة للبيئة المدارية التى ثبت صلاحيتها على مرور الزمن عن طريق الوراثة والاختيار الطبيعى .

وعلى الرغم من أهمية لون البشرة فى تقسيم النوع البشرى إلى سلالات إلا أنه لايمكن الاعتماد عليه بمفرده ، كأساس لتقسيم البشر وذلك لأن لون البشرة يسمح بتداخل عدة ظلال من الألوان بعضها فى البعض الآخر . فبين المجموعة الجنسية التى تتمتع بلون البشرة البيضاء يتدرج لون البشرة بها من الأبيض المشرب بحمرة إلى اللون البنى الفاتح كما أن لون البشرة البنى يتدرج من اللون النحاسى إلى البنى الداكن كما يظهر بين الحاميين والدرافيدين .

وكذلك لون البشرة الصفراء يتدرج من الأصفر الباهت إلى البنى المشرب بالصفرة كما يظهر فى مغول آسيا وبعض الأرمنيين والبوشمن والهتنتون

بينما الشعوب ذات اللون الأسود فلونهم فى العادة شوكلاتى داكن غير أن هناك تنوعات كثيرة فى القارة الافريقية .

هذا وهناك اعتقاد سائد بأن لون البشرة يميل إلى اللون الأسود كلما اتجهنا جنوباً تجاه خط الاستواء يتدرج إلى اللون الفاتح وصفات الشقرة كلما اتجهنا إلى المناطق الباردة الشمالية ، غير أن هذا القول لاينطبق على العالم الجديد وذلك لأن الهجرات الجنسية التى اتجهت إليه ذهبت فى وقت كانت الجماعات البشرية قد اكتسبت صفاتها الجنسية العامة .

2. شكل الشعر ولونه

ينقسم الشعر من حيث نسيجه إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

1- الشعر المستقيم : وهو الشعر السائد لدى معظم الجماعات المنحدرة من الأصل المغولى والتى توجد على وجه الخصوص بالقارة الآسيوية .

2- الشعر المموج أو المجعد: الذى يميز السلالات القوقازية وينتشر فى أوروبا وغربى آسيا وشمال شرق أفريقيا والهند واستراليا ومناطق أخرى كثيرة متفرقة فى العالم .

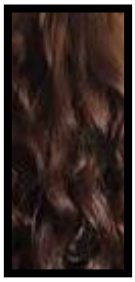

3- الشعر الصوفى المفلفل : الذى يميز المجموعة الزنجية عن غيرها من المجموعات وفيه تكون كل شعرة ملتفة حول نفسها كحبة الفلفل.

ويمثل الشعر المفلفل ميزة فى مناطق الغابات الحارة الرطبة

إذ أن الفراغات الموجودة بين تجمعات الشعر تسمح للعرق بالتبخر من فروة الرأسى ولعل خير مثل للشعر المفلفل جماعات
البوشمن التى تعيش الآن فى صحراء كلهارى بعد أن كانت تحتل فيما مضى منطقة واسعة ويمتاز الأقزام أيضاً بالشعر المفلفل ولهذا فإن بعض الأنثروبولوجيين يرون أن الأقزام والبوشمن من أصل مشترك واحد رغم أن درجة تفلفل شعر الأقزام أقل من البوشمن .

وهناك احتمال أن الشعر الصوفى انتشر من مكان واحد غير أن الفرض الأكثر قبولاً هو الانتشار من مناطق متعددة بالنطاق المدارى وذلك عن طريق الطفرة المتوازية .

وقد حاول البعض الربط بين شكل الشعر والمناخ حيث ذهبوا إلى القول بأن هناك تأثير غير مباشر بينهما ، فالشعر الصوفى مثلا يرجع شكله إلى شدة تجعد الشعر الصغير وكثافته ، ومن ثم فنمو الشعيرات الصغيرة على هيئة دوائر نتج أساساً بسبب خمول عضلات الجلد فى مناخ حار رطب بينما فى حالة الشعر المستقيم فيمكن الربط بين شكله وطبيعة المناخ القارى الجاف فى المناطق التى يسود بها . أما عن الشعر المموج فهو وسط بين النوعين السابقين وهو يتراوح فى درجة تموجه بين الضحل الموجات مثل شعر الأوروبيين والشعر البالغ التجعد كشعر جماعات الفدا بالهند .

لايمكن التسليم بتأثير العوامل البيئية وحدها على شكل الشعر إذ أن شكل الشعر يتحكم فى تكوينه أولاً وقبل كل شئ عدد من الوحدات الوراثية التى تعطى مجالاً كبيراً لظهور الطفرات . فعند اختلاط أو تزاوج الزنجى بالأبيض نلاحظ أن كلا من لون البشرة وشكل الشعر يورث مستقلاً عن الآخر بمعنى أنه ليس ثمة ارتباط بينما . كما أنه إذا ماحدث اختلاط بين المغولى والزنجى

يسود الشعر المغولى الخشن المستقيم على الشعر الصوفى بينما الشعر القوقازى المستقيم الناعم لايتغلب على غيره من الأنواع .

أما عن لون الشعر فيبدو أنه أقل أهمية من ناحية شكل الشعر إذ لانجد تفاوتاً فى لون الشعر إلا بين سلالات المجموعة القوقازية التى يمتاز بعضها بصفات الشقرة بألوانها المعروفة الأصفر أو الذهبى أو البنى الفاتح . أما سلالات المجموعة الزنجية والمغولية فيسودها لون الشعر الأسود اللهم إلا فى حالات الاختلاط بالمجموعات النوردية .

يتوقف لون الشعر على نوع المادة الملونة الموجودة بالشعر والمشابهة لتلك التى تعطى الجلد لونه ففى حالات الشقرة نلاحظ أن المادة الملونة تنحصر فى الطبقة الوسطى من الشعرة بينما فى حالة الشعور السوداء تتغلغل المادة الملونة إلى الطبقة الداخلية للشعرة .

لايمثل المناخ عاملاً أساسيا فى تفسير لون الشعر مثل لون البشرة فعلى الرغم من أن الشقرة مقصورة على سكان شمال أوروبا وعلى المهاجرين من تلك المناطق الا أن المغول الذين يعيشون فى بيئات باردة مماثلة فى سيبيريا وجرينلند ذو شعر أسود كهؤلاء السكان الذين يعيشون فى المناطق المدارية .

بجانب شكل الشعر ولونه نلاحظ درجة نمو شعر اللحية والجسم يختلف أيضاً من سلالة إلى أخرى فينمو بغزارة بين أفراد المجموعة البيضاء القديمة كالاستراليين والأينو وأيضاً بين أفراد المجموعة القوقازية غير أن نموه قليل عند الزنوج والمغول . والخلاصة أن شكل الشعر صفة يمكن أن تورث كما أنها لا تتأثر بالبيئة سريعاً ومن ثم يمكن الاعتماد عليها فى تصنيف البشر إلى جانب الصفات الأخرى أما لون الشعر فقيمته محدودة فى تصنيف

البشر وأن كان صفة مميزة لمجموعة جنسية واحدة تضم السلالة الشمالية أو النوردية .

3. لون العين وشكلها

يعتبر لون العين من أبرز الصفات السطحية فى الوجه وتنقسم العين من حيث اللون إلى مجموعتين أحدهما العيون السوداء والأخرى العيون الفاتحة الملونة والتى يدخل تحتها العيون الزرقاء بدرجاتها المتفاوته والعيون الخضراء بدرجاتها أيضاً والعيون الرمادية ، ثم العيون البنية التى لها السيادة فى هذه المجموعة . وأغلب العيون الملونة تقترن بصفات الشقرة وذلك على النقيض من العيون السوداء التى تصاحب صفات السمرة والتى يدخل تحت نطاقها العيون العسلية بدرجاتها المتفاوتة .

وإذا كانت العيون الفاتحة الملونة صفة مميزة للسلالات الشمالية والسلالات التى اختلطت بها فان العيون العسلية هى الأخرى صفة سائدة عند المجموعة المغولية بينما المجموعه الزنجية تمتاز بالعيون السوداء الداكنة إلى جانب لون بياض العين المشوب بكدرة والذى يميل إلى اللون الأصفر والذى تظهر به فى بعض الأحيان عروق حمراء . غير أن هذا التقسيم لايمكن الاعتماد عليه كليةً فى تمييز المجموعات البشرية الكبرى أو السلالات الرئيسة إذ أنه نتيجة للاختلاط والتزاوج نجد أن لون العين الواحد يظهر فى أكثر من سلالة .

ولعل خير مثل على ذلك ظهور صفات العين الزنجية فى بعض سكان السودان وشرقى إفريقية . هذا بالاضافة إلى أن سلالة البحر المتوسط التى تنتمى إلى المجموعة القوقازية والتى تتميز معظم سلالتها بالعيون الفاتحة

الملونة ، تظهر بها العيون السوداء والعسلية جنباً إلى جنب . ويبدو أنه مع تقدم السن يصبح لون العين فى بعض الأحيان أكثر سمرة كما يظهر أيضاً اختلافات فى اللون بين الجنسين فلون عين المرأة يكون أكثر سمرة أو داكنا ع الرجل الذى ينتمى إلى نفس السلالة وفى نفس السن .

وعيون الزنوج السوداء ترجع إلى كثافة المادة الملونة فى الطبقة الخارجية من حدقة العين ، بينما فى حالة العيون الفاتحة الملونة أو البنية فى السلالات البيضاء تتركز المادة الملونة فى الطبقة الوسطى من حدقة العين وترى من خلال الطبقة الخارجية الخالية من المادة الملونة . وفى العيون الزرقاء تنحصر المادة الملونة فى الطبقة السفلى "الداخلية" لحدقة العين ولذلك فانها تظهر زرقاء من خلال الطبقة الخارجية لحدقة العين . هذا ويبدو أن كثافة المادة الملونة فى عيون الزنوج وقلتها فى عيون المغول هى أهم مايميز عيونهم عن عيون القوقازيين البنية الداكنة

أما فيما يختص بشكل العين فهناك نوعان فقط أحدهما مغولى والآخر غير مغولى وأهم مايميز العين المغولية عن غيرهما هو ثنية الجفن الأعلى الذى أعطى للعين المغولية انحرافهما المعروف والتى تختلف درجة انحرافهما من سلالة إلى أخرى داخل المجموعة المغولية الكبرى ، ويبدو أن ظاهرة انحراف العين ظاهرة مشتركة بين المغول وبين بعض الجماعات الأخرى فهى صفة سائدة بين البوشمن ويربط بعض الباحثين ظهور العيون المنحرفة فى البوشمن بظهور طفرة متوازية ، والبعض الآخر يرى أن لون البشرة الأصفر والعين المنحرفة لدى البوشمن تشير إلى اختلاطهم بالعناصر المغولية . أما عيون المجموعة الزنجية فهى تمتاز باتساعها وابتعاد كل واحدة عن الأخرى وعدم وجود اقتران بين الحواجب، بينما عيون المجموعة

القوقازية عادية فى شكلها غير أن السلالة الشمالية تمتاز بالعيون الضيقة . والخلاصة أن أهمية شكل العين فى تصنيف السلالات تظهر على وجه الخصوص بالنسبة للمجموعات المغولية.

4. صفات أخرى : هناك بعض الصفات الجسمية الأخرى أقل أهمية والتى يمكن استخدامها فى تقسيم النوع البشرى إلى سلالات ولعل من أهم هذه الصفات شكل الأذن وغلظة بعض أجزاء الجسم كالشفاه مثلاً فقد لوحظ أن الزنوج الإفريقيين والميلانيزيين هما المجموعتان البشريتان الفريدتان اللتان تمتازا بلون البشرة الأسود والشعر الصوفى والشفاه السميكة وذلك على الرغم من اختلاف فصائل دمائهما الأمر الذى لايشير إلى أنهما انحدرا من أصل مشترك ومن المحتمل أن تكون هذه الصفات قد ظهرت نتيجة للاختيار الطبيعى فى البيئات المدارية . أما عن تعليل كيفية وجود الشفاه الغليظة بين المجموعتين فهذا أمر ليس بالسهل . أما عن شكل الشفاه فى المجموعة القوقازية فتمتاز بأنها دقيقة بينما شفاه المغول وسط بين الزنوج والقوقازيين .

وقد تشير الأذن أيضاً فى بعض الأحيان إلى اختلافات جنسية فالزنوج على سبيل المثال يمتازون بالأذن القصيرة العريضة بينما آذان البوشمن والهتنتوت تمتاز بأنها قصيرة كالزنوج وعريضة وفى نفس الوقت صغيرة جداً. أما القوقازيون فيمتازون بصفة عامة بالآذان الطويلة الضيقة بينما آذان الأستراليون والسلالات المغولية أطول وأضيق من آذان المجموعة القوقازية . ومن الصفات الجسمية الأخرى التى تميز بعض الجماعات البشرية صفة كبر العجز لدى نساء البوشمن .وتمثل مستودع طبيعى تستمد منه النساء الماء والطعام فى أوقات المجاعات كما أن ظهوره على وجه الخصوص عند

نساء البوشمن دون رجاله جعل البعض يرى أنه ربما كان له علاقة بين الغذاء والحمل .

ثالثاً : فصائل الدم

تعتبر فصائل الدم من أهم العوامل الوراثية فى الإنسان ، إذ درست على نطاق عالمى سليم والسبب فى ذلك يرجع فقط إلى أن طريقة وراثتة سهلة وبسيطة ولكن أيضاً لأهميته فى النواحى الطبيعية والعلاجية . فمنذ اكتشاف أن نقل الدم يتوقف على تحديد مجموعة الدم التى ينتمى إليها كل انسان ومعظم مستشفيات العالم تحتفظ بقوائم تبين فصائل الدم المختلفة للمرضى والمستوطنين فى نطاق خدماتهم .

ففى السنوات الأولى من القرن الحالى اكتشف لاندستير أن عملية نقل الدم

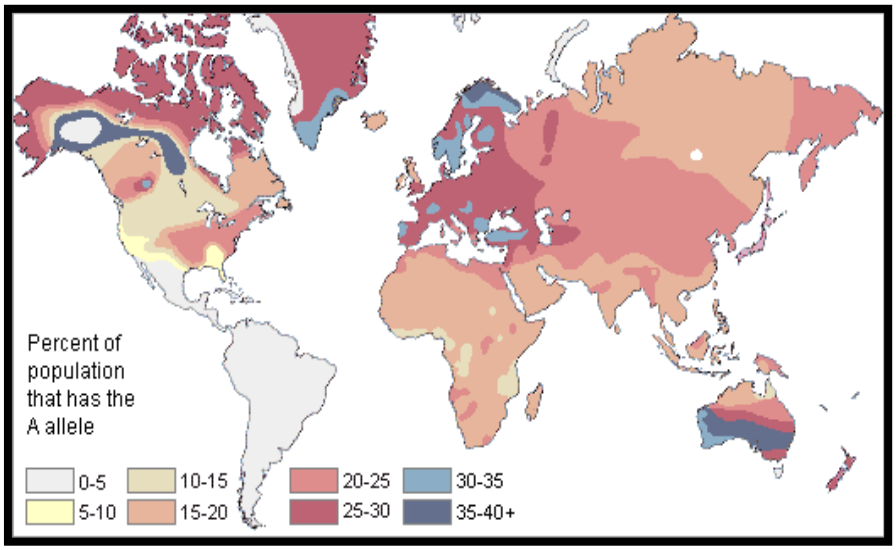

من شخص لآخر قد تؤدى فى بعض الأحيان إلى الوفاة بعد تكوين جلطة دموية فى المريض فى حين أنها فى بعض الحالات الأخرى تكون ناجحة . وبناء على ملاحظاته وتجاربه تمكن لاندستير من تقسيم نوع الدم إلى

مجموعات أو فصائل مختلفة هى "أ" (A) ، و"ب" (B) ، و"أب" (AB) ، "و" (O) لكل منها عوامل وراثية خاصة بالتجلط ، ووجد أن نقل الدم من فرد ينتمى إلى إحدى المجموعات إلى آخر دمه من نفس الفصيلة لايؤدى إلى حدوث جلطة وتكون عملية النقل ناجحة كما وجد أن فصيلة الدم " أب " تستطيع أن تستقبل الدم من أى فصيلة إذ أن اصحابها لايتأثرون عند نقل أى نوع من الدم إليهم ولذلك فإن الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الفصيلة يعرفون باسم " آخذين "، بينما الأفراد ذوو الدم من نوع " و O يستطيعون أن يعطوا دمهم لأى فرد فى أى مجموعة أخرى ، أما فصيلة الدم "أ" فلا يمكن نقلها لأحد الأفراد الذين ينتمى دمهم إلى مجموعة الاخذين العامين . وبالمثل لايمكن نقل دم فرد من مجموعة "ب" إلى افراد ذوى دم من مجموعة "و" أو " أ" ولكن فى نفس الوقت تستطيع هذه المجموعة أن تعطى أفراد المجموعة " أب " والمجموعات الرئيسية لفصائل الدم يرتبط وجودها بالانتيجين الموجود بكرات الدم الحمراء فى الدم فحينما تختلط الخلايا الحمراء بالسيريم فى أى فرد ولأى مجموعة تلتصق الكرات الحمراء مع بعضها أو تتجلط تبعا لفعل نوع فصيلة الدم الموجودة فى السيريم . هذا وتنقسم المجموعات الرئيسية

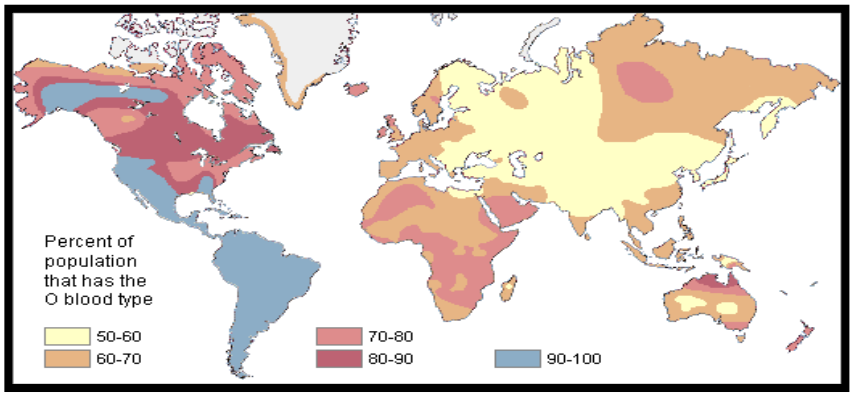

لفصائل الدم إلى مجموعات فرعية فعلى سبيل المثال فصيلة الدم "أ" تنقسم إلى قسمين فرعيين هما A1 أو A2 ولكل منهما خصائصه الوراثية الخاصة التى تساعد على دقة تحديد فصيلة الدم التى ينتمى إليها الفرد ،

وفى خلال الحرب العالمية الاولى لوحظ وجود اختلافات فى توزيع فصائل الدم بين شعوب العالم ولذلك فقد درست مجموعات الدم فى الإنسان فى جميع أجزاء العالم فى خلال الأربعين عاماً الأخيرة ، وقد وجد من نتائج هذه الدراسة أن دم كل مجموعة بشرية فيما عدا بعض السلالات البدائية التى تفقد العاملين أ ، ب – هو خليط من المجموعات الاربع المعروفة – غير أنه لوحظ أن هناك تركيزاً فى بعض المناطق لفصائل معينة من الدم .

وقد لوحظ أن مراكز تجمع فصائل الدم أ ، ب توجد فى وسط القارات وفى مراكز تجمع السكان الكبيرة بينما فصيلة الدم و O فأكثر هامشية من النوعين السابقين بمعنى أنها توجد فى مناطق هامشية بالنسبة لمجموعة فصائل الدم أ ، ب رغم أن فى كل الجماعات البشرية تقريبا توجد بها أكثر من فصيلة دم واحدة .

وحتى وقت قريب لم يكن لدينا أى دليل يشير إلى أن فصيلة معينة من الدم لها ميزات عن غيرها ولكن فى الوقت الحاضر أمكن معرفة أن بعض فصائل الدم بمثابة حماية لبعض الأمراض فقد لوحظ أن فصائل الدم " و ، أ " تكون مصاحبة لبعض الأمراض ولاسيما الامراض النفسية ، كما أن بيتنكوفير وبيكريش اكتشفا فى 1960 أن هناك علاقه قوية بين الجدرى وبين فصيلة الدم " و" والطاعون . وقد اعتقدا بناء على تجاربهما أن سبب ظهور نسبة كبيرة من فصيلة "أ" فى غرب أوروبا وفصيلة "ب" فى الهند ربما

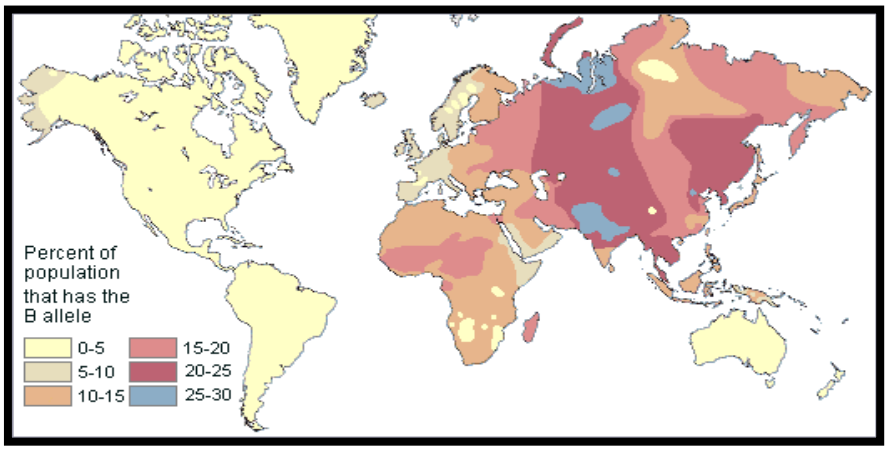

توزيع فصيلة الدم **B** فى العالم

يرجع لعامل اختيار جاء عن طريق امراض الجدرى والطاعون ، إذ أن فى حقيقة الأمر أن نسبة فيصلة الدم "ب" ربما أخذت تزداد تدريجياً فى وقتنا الحاضر فى آسيا رغم أنها دائما فى جميع جهات العالم اقل من فصائل الدم "o" .

وقدرت نسبة فصائل الدم الرئيسية الثلاثة (أ ، ب ، و) الموجودة فى العالم على التوالى 21.5 بالمئة ، 16.2 بالمئة ، 63.3بالمئة بمعنى أن افراد ذوى المجموعة (و) هم الغالبية فى كل سلالة وذوى المجموعة (أ) موجودون بنسبة كبيرة فى حين أن ذوى المجموعة (ب) ويلحق بهم المجموعة (أب) فيعتبرون أقل انتشاراً . ففصيلة الدم (و) تتركز على وجه الخصوص فى المناطق الهامشية من العالم فى دول شمال غرب أوروبا وجنوب غرب افريقية ، وبعض أجزاء من استراليا وبين بعض المجموعات المنعزلة كالباسك مثلا وبين معظم القبائل الموجودة فى شمال أمريكا وأيضاً بين الهنود الأمريكيين فى وسط وجنوب أمريكا ، أما بالنسبة لفصيلة الدم (أ) فهى تتركز فى أوروبا ولاسيما فى اسكندیناوه وفى نطاق جبال الألب

والبرانس والكربات ، وفى غرب آسيا وبين الموريان الاصلييين فى جنوب استراليا كما أن أقصى درجة لتركيز هذه الفصيلة تظهر بين قبائل البلاكفوت الهندية فى ولاية ألبرتا .

أما فيما يختص بتوزيع فصيلة الدم الفرعية (أ) فلها اهمية خاصة بينما لاتظهر إلا فى أقل من 10 بالمئة من سكان أوروبا وتبلغ نسبة ظهورها بين اللاب إلى أكثر من 33 بالمئة كما أن نسبة ظهورها فى الزنوج تشبه إلى حد ما نسبة ظهورها بين الأوروبيين وفى نفس الوقت تختفى تماما بين السكان الأصليين فى شرق آسيا وأمريكا وجزر الهند الشرقية .

فى حين تتركز فصيلة الدم (ب) فى وسط آسيا وشمالى الهند وفى مصر ووسط إفريقية ، بينما فى أوروبا تقل نسبتها كلما اتجهنا غربا وبعدنا عن الحدود الآسيوية إذ يعتقد أن فصيلة الدم (ب) قد دخلت إلى أوروبا عن طريق موجات متتابعة من الغزاة الآسيويين وذلك فى خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس الميلادى حتى القرن الخامس عشر الميلادى .

ونسبه هذه الفصيلة بين الباسك تقل عن 3% رغم أنهم يمثلون بقايا أسلاف الهنود الأوروبيين الذين وفدا من آسيا إلى أوروبا كما أن فصيلة (ب) لا تظهر على الإطلاق بين سكان أستراليا الأصليين وبين الهنود الأمريكيين رغم أنه من المعروف أن الهنود الأمريكيين من أصل مغولى نزحوا من آسيا ومن ثم فان اختفاء فصيلة الدم (ب) أمر مستغرب ويرجع بعض الباحثين هذا إلى الاختلافات العشوائية التى حدثت فى خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة عقب انعزال الهنود الأمريكيين عن الأم الكبرى آسيا ويفترض البعض الآخر أن الهنود الأمريكيين قد عبروا مضيق بهرنج ووصلوا إلى أمريكا قبل أن تكتمل ظهور فصيلة الدم (ب) فى آسيا

وفى محاولة شرح التوزيع الجغرافى الحالى لفصائل الدم يجب أن نضع الاعتبار أمرين " أولهما أن فصيلتى الدم (أ) ، (و) كانت لهم السيادة فى بادئ الأمر وأن فصيلة (ب) كانت نادرة بمعنى أن المجموعة المغولية كانت التأكيد هى أخر المجموعات الجنسية الكبرى التى بدأت تظهر بها صفات خاصة مميزة لأفرادها وهى التى توجد بها أعلى نسبة لفصيلة الدم (ب) .

ثانيهما : أن فصائل الدم الثلاث الرئيسية (أ) ، (ب) ، (و) توجد فى أى مجموعة جنسية فى العالم بدرجات متفاوتة ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نعتمد على هذه المجموعات فى حد ذاتها للتمييز بين السلالات البشرية ، غير أن لتوزيعها أهمية كبرى إذا ما درست إلى جانب علاقتها بمجموعات الدم الأخرى ، فالإسكيمو الذين يعيشون فى جرينلند يشبهون إلى حد كبير من حيث توزيع فصيلتى الدم (أ) و(و) الأستراليين الأصليين غير أنهم يختلفون عنهم اختلافاً واضحاً فى فصائل الدم (م) و (ن) وفصيلة الدم (ن) ترتفع نسبة وجودها على وجه الخصوص بين سكان جزر المحيط الهادئ والأستراليين والأينو ، بينما ترتفع فصيلة الدم (م) بين الهنود الأمريكيين . وترتفع نسبة فصيلة الدم (م) فى المنطقة الممتدة من دول شرقى البحر البلطى إلى روسيا الأوروبية ثم إلى جنوب شرقى آسيا ، بينما تتركز أيضاً فصيلة (ن) بين بربر شمال افريقية .

تختلف السلالات عن بعضها البعض فى مجموعتها الدموية اختلافاً نسبياً فقط ، فليس هناك سلالة واحدة ذات نوع خاص من الدم وسلالة أخرى كل أفرادها من نوع آخر من الدم ، بل هناك مناطق أو مراكز تتجمع فيها فصيلة من فصائل الدم بحيث يكون لها هنا الغالبية على الفصائل الأخرى حيث تظهر فى جميع الأفراد ، ومراكز أخرى يقل فيها هذا التوزيع ، ثم بين

المنطقتين مناطق ثالثة يظهر فيها التدرج بين الصفات، إذ أن المجموعات تتداخل مع بعضها جغرافياً ولايمكن وضع حداً فاصل للتفرقة جغرافياً بين فصائل الدم المختلفة .

فصائل الدم فى البقايا الحفرية :

يمكن معرفة فصائل الدم فى بعض الموميات والهياكل العظمية والتى مازالت موجودة بأنسجتها مادة الانتيجين . أما الهياكل العظمية الشديدة التحجر والتى فقدت كل أجزائها العضوية وحل محلها بعض المعادن فلا يمكن معرفة فصيلة الدم بها ولذلك فان طرق البحث عن فصائل الدم فى البقايا العظمية اقتصرت فقط على تلك البقايا الهيكلية التى يرجع عمرها فقط إلى بضعة آلاف من السنين ومما هو جدير بالذكر أن الوسائل المختلفة التى تستخدم لمعرفة فصائل الدم فى الحفريات تقتصر فى التعرف على المجموعات الرئيسية للدم وهى (أ) ، (ب) ، (و) .

تمثل النتائج التى توصل إليها البحث بشأن فصائل دم الحفريات كانت عامه بمعنى أنها لم تستطع التوصل لوضع شخص معين فى سلالة بعينها ولكنها ساعدت فقط عل تمييز بعض السكان عن بعضهم وذلك إذا كان هناك عدد كاف من الهياكل أو العظام ، ومن ثم فإن قيمة الوسائل محدودة بالنسبة للحفريات القديمة ، ومجموعات الدم (أ) ، (ب) ، (و) تساعد فقط على تتبع أصول السلالات وطرق هجراتها خلال الألفى سنة الماضية . أما إذا امتدت الملاحظة والتجارب لبحث فصائل الدم الفرعية فى الهياكل المختلفة لأمكننا أن نتعرف على الأصول السلالية فى فترة أطول من الزمن.

– تحليل الحامض النووى DNA:

الحمض النووي هو الشفره الجينيه للانسان وهي تعرف أصول الانسان وعرقه من بين جميع البشر ويتم معرفتها عن طريق أخذ عينه من دم الانسان ثم رؤية جيناتها بالمجهر طبعا كل عرق له جينات مختلفه عن العرق الآخر والأعراق المختلطه تظهر بجينات مختلطه،وإن كان استخدامه حالياً فى تصنيف البشر محدوداً لتكلفته العالية وعدم شيوع ثقافته بين دول العالم الثالث أو النامى.

والرأى النهائى لفصائل الدم والصفات الأخرى التى تستخدم فى تصنيف البشر إلى سلالات هو أنه من الصعب أن نختار صفة بعينها ونحاول أن نتخذ منها وحدها معياراً نقسم به البشر إلى سلالات فرعية حيث أنه قد لوحظ أثناء دراسة هذه الصفات سواء ماكان منها ظاهرياً أو مستترا أن هناك كثيراً من حالات الشذوذ التى لا تخضع للقاعدة العامة والتى تجعلنا دائما فى حيرة رغم المحاولات العديدة التى تبذل من جانب الانثروبولوجين لشرح هذا الشذوذ ، ولذلك يلجأ البعض إلى البيئة لعله يجد فيها منفذاً للمشكلة ويتخذ البعض الآخر من الوراثة والعزلة سنداً قوياً للبرهنة على أن التباين فى الصفات أمر ضرورى وطبيعى ، بينما يميل فريق ثالث إلى أهمية شرح عامل الزمن فى استقرار وظهور الصفات الجنسية المختلفة . ويصل الجميع إلى نتيجة واحدة وهى أننا لا نستطيع أن نضع فواصل قوية بين التنوعات الموجودة تحت الصفة الواحدة ، كما أننا يجب ألا نسرف فى محاولتنا لتصنيف النوع البشرى إلى مجموعات سلالية متمايزة فى صفات جسمية أو وراثية معينة ، إذ لا يوجد اتفاق فى التوزيع الجغرافى لأى صفتين من الصفات التى استند عليها علماء دراسة الإنسان فى تمييز السلالات بعضها عن البعض .

ولعل المطلع على خرائط توزيع الصفات الجنسية الموجودة فى كثير من كتب الأنثروبولوجيا يدرك مبلغ خطورة وأهمية النقطة السابقة . فإذا ما أخذنا صفة الرأس وهى من الصفات المحببة لدى علماء الأنثروبولوجيا فى تصنيفهم نجد أن هذه الصفة غير متباينة مثل صفة مجموعات الدم حيث نلاحظ اختلافات عديدة فى الرأس داخل المجموعة الواحدة . فتظهر أشكال الرأس الطويلة والمتوسطة والمستديرة فى معظم أوروبا كما تظهر مجموعات الدم الأربع فيها أيضا وهكذا إذا ما حاولنا أن نقسم الأوروبيين تبعاً لمجموعات فصائل الدم فيمكننا أن نميز سلالة غربية تضم سكان شبه جزيرة إيبريا والفرنسيين والإنجليز الذين يشتملون على نسبة صغيره من مجموعة الدم (ب) وسلاله شرقية والتى أغلبية أفرادها ذات مجموعة الدم (ب) وتشمل الفنلنديين والروس والبولنديين ، وسلالة وسط ثالثة ذات نسبة متوسطة من مجموعة الدم (ب).

وبالنسبة لشكل الرأس يمكن تمييز سلالة وسط أوروبا التى يتصف أصحابها بالرؤوس المستديرة وبطبيعة الحال لانستطيع مباشرة أن نفضل أحد هذين التصنيفين عن التصنيف الآخر لسبب أو لآخر إذ أن العوامل الوراثية التى تتحكم فى الصفات البشرية المختلفة يختلف بعضها عن الآخر اختلافاً بيناً .

وإذا ما أخذنا شكل الأنف نجد أيضاً أنه ليس ثمة اتفاق بين توزيعها الجغرافى وبين توزيع غيرها من الصفات فحقيقةً أن شكل الأنف له أهمية كبيرة فى تمييز المجموعة الزنجية التى تمتاز بالأنوف العريضة إلا أن هناك تفاوتاً كبيراً فى شكل الأنف داخل المجموعة القوقازية فهناك الأنف المستقيم أو المعقوف أو المقعر كما أن هناك الأنف المستقيم والرفيع.

لاينطبق طول القامة فى توزيعه مع مجموعات الدم أو شكل الرأس وشكل العين بل نجد أن طول القامة صفة عامه تميز القارة الأفريقية عن غيرها من القارات ، كما نجد اختلافات كبيرة فى طول القامة بين أى مجموعة جنسية تعيش فى منطقة محدودة ذلك بالإضافة إلى أن طول القامة ازدادت زيادة تدريجية خلال المائة سنة الأخيرة فى معظم الدول المتحضرة وذات بسبب التغذية والعناية الصحية فطول القامة صفة لا تميز إلا سلالة واحدة من البشر وهى الأقزام .

أما عن لون البشرة فكغيرها من الصفات الطبيعية الأخرى لا يمكن الاعتماد عليها فى التقسيم إذ وجدنا أن لون البشرة يسمح بتداخل عدة ظلال من الألوان بعضها فى البعض الآخر ، إننا لا نستطيع أن نضع حدا فاصلاً بين السمرة والسواد فى لون البشرة ذلك إلى جانب أن كثيراً ما توجد مجموعة تنتمى إلى سلالة واحدة وفى نفس الوقت يتميز أفرادها بألوان بشرة مختلفة .

ونجد اختلافا آخر فى التوزيع إذا ما درسنا الصفات الجنسية الأخرى مثل شكل العين وذلك لأن العوامل الوراثية التى تتحكم فى صفات السلالات البشرية على سطح الأرض مركبة ومتباينة ، ومازال توزيع النوع الإنسانى إلى سلالات واضحة محدودة أمراً صعباً ، ومن ثم إذا ما قلنا أن مجموعتين من البشر يختلفان عن بعضهما من وجهة السلالة فليس من السهل تحديد مدى الاختلاف فقد يكون ظاهراً بدرجة يسهل معرفته وأحياناً يكون فى صورة مبهمة غامضة لا يمكن لها توضيحاً .

فالسلالات تتداخل مع بعضها جغرافياً ولا يوجد حد فاصل إلا عند وجود الحواجز الطبيعية كالصحراء الكبرى . أما مناطق الاتصال بين سلالتين أو أكثر فموضع سؤال حيث لا يمكن التفرقة بين السلالات لأن الصفات بها

مندمجة وكلما زاد من اتصال منطقتين انتشرت الصفات السلالية الوسيطة وصعب التميز بين السلالات .

الفصل الثالث

التصنيف السلالي للجنس البشري

حاول العلماء في منتصف القرن الثامن عشر تصنيف البشر إلى عدة أقسام معتمدين في ذلك على الأسس والقواعد التي وضعها علماء النبات والحيوان في تصنيفهم لعالم النبات ، مثل محاولة "لينيوس Linnaeus" في تقسيمه للنبات .

وظهرت أولى المحاولات لتقسيم البشر سنة 1740م ، وذلك عبر أربع مجموعات :

(1) الأوروبيون : وأهم ما يميزهم المرح والابتكار وتحكم التقاليد والطقوس فيهم

(2) الآسيويون : غلاظ القلب محافظون على أفكارهم .

(3) الأفارقة : يهتمون بالخرافة ويتسمون بالمكر ولايهتمون بالنظافة.

(4) الهنود الأمريكيون : يجمعون من صفات الأوربيين والآسيويين .

يبدو واضحاً أن هذا التصنيف لم يرتكز على أسس أو صفات سلالية معقولة تعطي له صفة علمية مقبولة ، فكلها صفات علمية مقبولة ، فكلها صفات عامة يمكن أن تكون موجودة في فرد أو شخص ولاتتصف بها مجموعة كاملة ، ويبدو فيها التحامل واضحا ، ولايمكن اعتبار هذه الصفات أسس لتصنيف البشر إلى مجموعة بشرية .

ظهرت أول محاولة علمية لتصنيف البشر سنة 1775 م على يد عالم النبات أيضا "بليمنباخ Blemenbach" حيث وضع في اعتباره عند تعريفه للسلالة كل الصفات البشرية واستطاع أن يتعرف على التفاوت في الصفات المتدرجة بين المجموعات البشرية المختلفة مثل لون البشرة وشكل الشعر

وشكل ولون العين وطول اقامة وغيرها ، وتبعا للون البشرة استطاع تصنيف البشر إلى خمس مجموعات أطلق على كل مجموعة اسم "سلالة"وهي : القوقاز (البيض) ، المغول (الصفر) ، الأثيوبيون (السود) ، الأمؤيكيون (الحمر) ، الملايويون (السمر).

وخلال القرن التاسع عشر تقدمت وسائل المعرفة واستخدمت وسائل حديثة في مقاييس البشر ليس لدى الأحياء فقط بل امتدت إلى الهياكل البشرية ، واستخدمت الوسائل الاحصائية في معرفة مدى الاختلافات السلالية الموجودة بين المجموعات البشرية ثم صنفت هذه المعلومات واستخدمت بصورة أكثر دقة في تمييز سلالات معينة ، مما جعل النتائج التي يمكن الوصول إليها موضوعية نسبيا وتقترب من الواقع إلى حد ما .

ومع بداية القرن العشرين بدأعلم الوراثة ينمو ويتطور نتيجة للأبحاث التي اعتمدت على التقدم في وسائل القياس ، فاستثمر علماء الإنسان "الأنثروبولوجيون" هذا التطور في معرفة الفروق السلالية الموجودة بين المجموعات البشرية ، وإن كانت المشكلة الكبرى التي واجهت العلماء عدم فهم الطريقة التي تورث بها الصفات ، فالصفات السطحية تتحكم فيها الوراثة بصورة اكبر من بعض الصفات الهيكلية ، وفي كل الأحوال تلعب البيئة دورا مهما ولا يمكن إغفاله تصنيف البشر خاصة العوامل المناخية وأيضا دور الغذاء .

فإذن هناك صفات دائمة تتحكم فيها وتحددها الوراثة وصفات أخرى مؤقتة وهي نتيجة مباشر لظروف البيئة وطبيعة الغذاء ، ومن الممكن أن تتحول الصفات المؤقتة إذا أثبتت صلاحيتها واستمرت فترة طويلة إلى

صفات دائمة وتنتشر بين المجموعة البشرية التي تحماها وذلك عن طريق الاختيار الطبيعي .

وهناك أيضا مشكلات أخرى تبدو عند تصنيف البشر إلى سلالات كبرى وذلك عند تقسيم السلالات إلى مجموعات فرعية أصغر ، حيث يكتشف هناك صفات سلالية تخرج بهذه المجموعة الفرعية من السلالة الكبرى سواء كانت قوقازية أو زنجية أو مغولية ، وهنا يلجأ العلما لتحليل الصفات المركبة داخل هذه المجموعات ربما يؤدي ذلك إلى إيجاد علاقة بين أفراد هذه المجموعة .

وفي كل الأحوال يوجد في كل سلالة بعض الجماعات الذين يخضعون للنموذج الوراثي وهؤلاء يمكن وضعهم تحت مجموعة كبية وهناك أيضا بعض الأفراد يمكن وضعهم في سلالة فرعية معينة نتيجة لتميزهم ببعض الصفات السلالية الوراثية .

وضع عالم الوراثة "بويد Boyd" (1950م) مشروعا لتقسيم البشر إلى سلالات معتمدا في ذلك على الاختلافات الموجودة بين فصائل الدم وهي صفة وراثية اصلية ، وعن طريق اختبار سلسلة مختلفة من عينات الدم وجد أن بعض المجموعات تتميز بفصائل دم معينة وعلى أساس ذلك أمكن تصنيف المجموعات البشرية إلى عدة سلالات متشابهة في فصائل الدم .

يخضع التوزيع الحالي لفصائل الدم لعدة عوامل أدت إلى تفاوتات سلالية بين المجموعات البشرية وأهم هذه العوامل الطفرة والاختيار الطبيعية ثم الاختلافات العشوائية ، ومن ثم تكمن هنا صعوبات عدة ، حيث تترك الطفرة أحيانا بعض الصفات المتشابهة بين مجموعتين منعزلتين ومتباعدتين

جغرافيا ،وفي هذه الحالة تكون معرفة نوع فصائل الدم لها أهميتها في تعليل النتائج التي ترتكز على التشابه في الصفات السلالية .

فعلى سبيل المثال هناك تشابه بين زنوج أفريقيا والميالنيزيون (المحيط الهادي) والبابون (نيو غينيا) في لون البشرة الأسود والشعر المفلفل والأنف العريض وبعض الصفات الاخرى التي تدلل على انحدار من أصل مشترك بالرغم من التباعد الجغرافى بين أوطانهم ، وأكد الاختلاف فصائل الدم بين كل مجموعة منهم على أن الطفرة المستقلة هي المسئولة عن هذه الصفات عاونها في ذلك عوامل الاختيار الطبيعي حيث لاتوجد صلة قرابة بين زنوج أفريقيا والبابون والميالنيزيون .

خلاصة القول في عملية تصنيف البشر إلى مجموعات سلالية مدى الصعوبة التي تواجه الباحثين في هذا المجال مهما استخدم من وسائل حديثة لتحديد السلالات وذلك نتيجة لعدة عوامل متباينة مثل الاختلاط المستمر والتزاوج بين البشر ، وكذلك دور البيئة والغذاء .

فقد خطت البشرية في نهاية القرن العشرين خطوات واسعة في مجال بحوث الوراثة وذلك عندما ثم التوصل إلى تحليل الحامض النووي "الدنا DNA" والذي عن طريقه يمكن فك رموز غامضة في عمليات الوراثة ، وأخيرا التوصل إلى فك شفرات الخريطة الوراثية البشرية "الجينوم " ويمكن أن تساهم هذه الانجازات العلمية في وضع أسس أكثر دقة لتصنيف البشر إلى سلالات .

التطور التاريخي لتصنيف البشر :

قام العلماء منذ نهاية القرن التاسع عشر بعدة محاولات لتصنيف البشر إلى سلالات بشرية معتمدين في ذلك على عدة أسس مختلفة ومعايير

متباينة ، ويأتي تصنيف "دنكر Deniker" (1898م) ، كأول هذه المحاولات "وسونياكول Cola.S" كآخرها (1963م) وبينهما عدة تصنيفات ، أهمها "هادون Haddon" (1927م) ، "وفون ايشكتد Eickstedt" (1933م) ، و"هوتون Hoooton" (1947م) وسوف يتم اختيارثلاثة نماذج من هذه التصنيفات يمكن أن تلقي الضوء على المعايير التي اتخذت كأسس لتصنيف البشر .

أولا : تصنيف دنكر Deniker , J :[1]

يعد أول تصنيف اعتمد على أسس الأنثربولوجيا الطبيعية ، واعتمد دنكر في تصنيفه هذا على أساس شكل الشعر ولونه ولون العين وشكل الأنف وشكل الرأس ، وعلى هذا استطاع أن يميز ست مجموعات أوسلالات رئيسية وتنضوي تحتها عدة سلالات فرعية ، والسلالات الرئيسية .

(1) مجموعة الشعر الصوفي والأنف العريض :

تنقسم هذه المجموعة على حسب لون البشرة إلى قسمين : الأولى تمتاز بلون البشرة الصفراء والرأس الطويل والقامة القصيرة وتشمل البشمن والهتنتوت والذى يتصفون بكبر العجز Steatoptgia والمجموعة الأخرى تتسم بلون البشرة الداكن ، ويتفاوت فى هذه المجموعة طول القامة فهناك الطويل جدا والمتوسط كما يتفاوت كذلك فى شكل الرأس ، وبندرج تحت هذه المجموعة الأقزام الآسيويين ، الزنوج ، البانتو والميلانزيين .

(2) مجموعة الشعر المجعد أو المموج :

1. Deniker, J., The Races of Man, Paris, 1900.

تنقسم بدورها إلى قسمين : أصحاب البشرة الشوداء والأنف المعتدل والرأس العريض ويمثلهم "الاشوريين "، والقسم الأخر أصحاب البشرة الداكنة ويشملون الأثيوبيين ، والاستراليين والدرافديين .

(3) مجموعة الشعر الأسود والعيون الداكنة :

يندرج تحتها أصحاب البشرة البيضاء العاجية والشعر البنى والبشرة السمراء والمميزة للهنود الأفغان ، وأصحاب البشرة الزيتوتية ويختلف أفراد هذه المجموعة فى شكل الألف وطول القامة .

(4) مجموعة الشعر الأصفر والعيون الملونة :

يتسم أفراد هذه المجموعة باللون الفاتح والبشرة البيضاء المشرية بالحمرة ، ويختلفون فى شكل الشعر ، حيث يكون أحيانا أشقر كما هو الحال عند النورنيين ، أو الشعر المستقيم الكستنانى اللون فى جماعة الفستولا .

(5) مجموعة الشعر المستقيم الأسود والعيون الداكنة :

وضع دنكر تحت هذه المجموعة جماعات الأينو والأندونسيين والبولنزيين ، وإن كانت هناك تفاوتات بين أفراد هذه المجموعة من حيث كثافة الشعر (الأينو) والأنف الكبير المقعر (البولنزيين) والبشرة الصفراء قليلة الشعر (الأندنوسيين).

(6) مجموعة الشعر السبط :

يندرج تحت هذه المجموعة "المغول "والتى ضمت تحتها خمس سلالات غرعية وهى الهنود المريكيون القدماء (الجنوبيون)، الأمريكيون الشماليون أصحاب البشرة الصفراء النحاسية ومعهم هنود أمريكا الوسطى ، المغول الشماليون والمتوسطون ذو بشرة صفراء وعظام الوجنات البارزة والعين المنحرفة والرأس العريض ، المغول القدماء وبشرتهم الوجنات ، أخيرا

الإسكيمو واللاب وهى السلالة الفرعية الخامسة ، ويتسما بالبشرة الصفراء الداكنة والقامة القصيرة والرأس الطويل .

بالرغم من اعتماد دنكر على شكل الشعر والعين كمعايير أساسية إلا أنه اعتمد أيضا على بعض الصفات المساعد ة أو الثانوية النسبة الرأسية وطول القامة ، وقد نال هذا التصنيف من النفد الكثير حيث إن النماذج البشرية فى هذا التصنيف لا تظهر بها أى وحدة سلالية بل على العكس تم تجزئة بعض السلالات مثل سلالة البحر المتوسط أو جماعات الفستولا .

ويتسم هذا التصنيف بالتفاصيل المسهبة للسلالات الفرعية الموجودة في أوروبا وتقسيمها إلى عدة مجموعات فرعية مثل السلالة الدينارية ، سلالة الأوربيون الغربيون ، الأوربيون الشرقيون ، الأوربيون الشماليون ، الايبريون ، التبتون ..... ،وتأتي أهمية هذا التصنيف في طرحه لفكرة المجموعات السلالية الكبرى واستخدام عدة أسس ومعايير لتصنيف البشر إلى ست سلالات .

ثانيا : تصنيف هادون Haddon , A:[1]

اعتمد هادون في تصنيفه على شكل الشعر كمعيار أساسي في تصنيف البشر إلى ثلاث سلالات رئيسية كل منها يتسم بنوع معين من الشعر ، بالإضافة لشكل وطبيعة الشعر استعان هادون ببعض الصفات المساعدة كشكل الرأس ولون البشرة وطول القامة في عملية تقسيم المجموعات الثلاث الكبرى إلى سلالات فرعية .

اولا : أصحاب الشعر الصوفي

1 . Haddon, A., Races of Man, Cambridge, 1927.

(1) الشعر الصوفي لمجموعة الأقزام الشرقية "النجريتو" وتضم هذه المجموعة :

(أ) "الأندمان" الشعر القصير جدا ، لون البشرة برونزي وأسود ، القامة 148 سم ، الأنف مستقيم ، الشفاه ممتلئة ... ، ويعيشوا في جزر الاندمان (شرقي الهند) .

(ب) السيمانج : الشعر القصير ، لون البشرة شوكلاتي ، القامة 152سم ، الوجه مستدير ، الأنف مفلطح ... وموطنهم في سومطرة وشبه جزيرة الملايو .

(ج) الإيتا : الشعر القير الأسود ، البشرة بنية فاتحة ، الرأس العريض ، الأنف مفلطح ... ويعيشوا في جزر الفلبين .

(د) التابيرو : الشعر القصير الأسود الغزير ، لون البشرة بني مائل للصفرة ، القامة 149سم ، الرأس متوسط ، الأنف عريض ، ويتركزون في نيو غينيا.

(هـ) البابوان : الشعر الأسود الطويل ، لون البشرة شوكلاتي أو بني فاتح ، القامة متوسطة ، الرأس الطويل ، وينتشر البابوان في مساحات شاسعة في نيو غينيا وجزر ميلانزيا وبعض أقاليم استراليا وتسمانيا .

(و) الميلانزيون : الشعر الصوفي واحيانا شديد التموج ، لون البشرة شوكلاتي أونحاسي ، القامة القصيرة أو المتوسطة ، الرأس الطويل ، الأنف العريض ، ويتركزون في جزر نيو كاليدنيا ونيوغينيا والجزر المجاورة .

(2) **الشعر الصوفي للزنوج الغربيون (النجريللو)** :

الشعر القصير جدا ولون البشرة يميل إلى الأصفر ، وطول القامة 138سم ، الرأس متوسط ، الأنف مفلطح عريض ... ويتركزون في غابات الكنغو .

(أ)البشمن : الشعر القصير المفلفل ، لون البشرة ما بين الأصفر والزيتوني ، طول القامة 152سم ، الرأس متوسط ، عظام الوجنات بارزة ، العين مغولية ، وانحصر وجودهم في صحراء كلهاري .

(ب) الهتنتوت : الشعر يشبه شعر البشمن ، لون البشرة أصفر أو بني ، القامة 160سم ، عظام الوجنات بارزة ، الأنف مفلطح ، ويجاوز البشمن في مناطق نفوذهم .

(ج) زنوج السودان الغربي : لون البشرة البني الداكن أو الأسود ، القامة الطويلة ، الرأس الطويل ويتركزون على الساحل الغربي لأفريقيا .

(د) زنوج شرق السودان : لون البشرة الأسود الداكن ،طول القامة 177سم ، الرأس الطويل ، الجبهة المتقهقرة ، الأنف العريض ، ويعيش هؤلاء الزنوج في شرق السودان وأهم قبائلهم الشلوك ، الدنكا ...

(هـ) البانتو : الشعر الصوفي ، لون البشرة البني أو الأسود ، القامة الطويلة ، الرأس الطويل والمتوسط ، ويعيش البانتو في وسط وجنوب أفريقيا وقد اختلطوا بالجماعات القوقازية المتاخمة لمواطنها .

ثانيا : الشعر المموج :

يندرج تحت أصحاب الشعر المموج عدة مجموعات فرعية وهي :

(1) **أصحاب الرؤوس العريضة وأبرزصفاتهم :** لون البشرة الداكن والقامة القصيرة والمتوسطة ويمثلهم جماعات ماقبل الدرافيديين ، مثل السكاى فى شبه جزيرة الملايو والفدا فى سيلان وقبائل غابات الهند (الكادير ، البانيان ...) وذلك بشمال ووسط الهند ، والأستراليون الأصليون المستقرين فى غابات أستراليا .

(2) **الأنف الطويل والمتوسط** : ويندرج تحتهم الدرافديون أصحاب الشعر الكثيف شديد التجعيد ، لون البشرة الداكن ،ويستقرون فى جنوب الهند ، ثم الحاميون أصحاب الشعر البنى الداكن المجعد ، القوام النحيف ، القامة المتوسطة ، ويمثلهم جماعات الجالاوالبجا والهدندوة بنى عامر والبشاريون وينتشرون مابين جنوب شرقى مصر والقرن الأفريقى .

(3) **لون البشرة المتباين والشعر الأسود** : ويقع فى إطار هذه المجموعة الهنود الأفغان أصحاب الشعر الأسود المموج ،الرأس طويل أو متوسط والأنف المستقيم أو المحدب ... وتوجد هذه الجماعات فى أفغانستان وشمال غرب الهند وبإقليم البنجاب ، وهناك أيضا النزيوت أو الأندنسيون ، أصحاب الشعر الأسود ، والقامة القصيرة ، لون البشرة بنى مائل للصفرة ... ويتركزالنزيوت فى جزر الهند الشرقية وجنوب الصين .

(4) **لون البشرة الفاتح والشعر الأسود والقامة المتوسطة** : ويوضع تحت هذه المجموعة الأوروبيون والإفريقيون أصحاب الشعر الأسود والقامة المتوسطة وعظام الوجنات العريضة ، العيون السوداء وتنتشر هذه الصفات بين سكان الجزائر ومصر والحبشة وشمال إيطاليا والبرتغال وبعض المواقع في جنوب أوروبا .

(5) **الساميون ، وصفاتهم** : الشعر الأسود ، الأنف المستقيم أو المحدب ، يندرج تحت الساميون مجموعتين : البدوذو القامة المتوسطة والرأس الطويل ، ويسكنون شبه الجزيرة العربية ، أما المجموعة الأخرى فتشمل قبائل حمير أصحاب القامة المتوسطة ويعيشون في جنوب الجزيرة العربية .

(6) **سلالة البحر المتوسط** : أصحاب الشعر الأسود المموج أو المجعد لون البشرة الأبيض ، القامة متوسطة ، الأنف مستقيم ، العيون الداكنة ،

وتنتشر هذه المجموعة في شبه جزيرة أيبريا والحوض الغربي للمتوسط وجنوب كل من إيطاليا واليونان ومناطق من الجزر البريطانية .

– **مجموعة الرؤوس المتوسطة :** وتنضوي على عدة مجموعات هي :

(**1**) **سكان شمال أسبانيا :** أصحاب البشرة البيضاء ، الشعر الأسود ، القامة المتوسطة ، لون الشعر بني داكن ، الأنف الضيق .

(**2**) **سلالة البحر المتوسط الأطلسية :** متوسطة القامة ، الشعر الأسود ، الرأس المتوسط وتنتشر هذه المجموعة في شبه جزيرة البلقان ، وجبل طارق وخليج بسكاي .

(**3**) **النورديون :** لون البشرة أبيض مشرب بالحمار ، القامة الطويلة ، الشعر الأشقر ، الأنف ضيق ، الرأس المتوسط ، الوجه الطويل ، ينتشرون في شبه جزيرة اسكندناوة وشمالي أوروبا .

(**4**) **الأينو :** لون البشرة أسمر فاتح ، الشعر الأسود القامة المتوسطة ، الرأس المتوسط ، الوجه العريض ويسكطنون جزر الكوريل وجزيرة سخالين .

– **مجموعة الرؤوس العريضة :**

تحتوي هذه المجموعة على عدة سلالات فرعية أهمها :

– **الأوروبيون الآسيويون :** يندرج تحتهم معظم الأوربيين أصحاب الرؤوس العريضة المنحدرين من السلالة الألبية خاصة الجماعات التي تعيش في الهضاب فيما بين جبال الهمالايا إلى مرتفعات وسط أوروبا .

وأهم هذه الجماعات ، الألب الكاربايتون في منطقة فرنسا الوسطى ، ومرتفعات الجوار والفوج والأردن وكذلك جماعات الفستولا ، وأيضا سلالة البامير (الإيرانيون) والأناضوليون والآرمن.

ثالثا : الشعر السبط (المستقيم) :

ينقسم أصحاب الشعر المستقيم على حسب شكل الرأس إلى ثلاث سلالات هي :

(1) **مجموعة الرؤوس الطويلة** : ويمثلهم الإسكيمو أصحاب الشعر المستقيم ، القامة المتوسطة ، الوجه العريض ، عظام الوجنات البارزة ، وينتشر الإسكيمو شمالي أمريكا الشمالية وجرينلند .

(2) **مجموعة الرؤوس المتوسطة** : أصحاب البشرة السمراء مائلة للصفرة ، الشعر الأسود ، القامة القصيرة والمتوسطة ، الرأس عريض ، العيون المنحرفة ، ويندرج تحتهم عدة جماعات مثل الساموييد ، اللاب ، الونجوس ، الشوكش ، وموطنهم سيبريا .

وأيضا الصينيون : يتصفون بالرأس المتوسط ، الأنف المتوسط ، القامة المتوسطة ، ويمثلهم سكان الصين .

(3) **مجموعة الرؤوس العريضة** : الشعر الأسود الكثيف ، لون البشرة الأبيض المائل للصفرة ، القامة الطويلة والمتوسطة ، عظام الوجنات البارزة ، العيون ليست مغولية ، وأهم مايمثل هذه المجموعة قبائل الياقوت (التتار) ، شعوب تركستان ، (القرغيز ، الكازاك ....) جماعات شرق القوقاز .

– **المغول (التونجوس)** : شعر خشن مستقيم ، لون البشرة أصفر نحاسي ، القامة المتوسطة ، الوجه العريض ، وأهم هذه الجماعات المانشو ، الهازارا ، الكوريون .

– **الباريوان (مغول الجنوب)** : الشعر الأسود ، لون البشرة الأصفر أو النحاسي ، القامة القصيرة ، الرأس العريض ، الوجه العريض ،الأنف القصير ، العيون المنحرفة ، ويعتبر سكان حوض نهر هوانجهو خير نموذج لهذه المجموعة .

– **البولنزيون :** الشعر المستقيم ، لون البشرة الداكن ، الرؤوس الطويلة أو المتوسطة ، عظام الوجنات البارزة ، الأنف المستقيم ، وتنتشر بينهم بعض الصفات المغولية .

يبدو في تصنيف هادون تشابه كبير مع التقسيم السابق – دنكر – والاختلاف بينهم في الاعتماد الأخير على شكل الشعر والأنف في تصنيفه للبشرة إلى ست مجموعات في حين اعتمد هادون على شكل الشعرولون البشرة كأساس لتصنيف البشر إلى ثلاث مجموعات كبرى .

ثالثا : تصنيف سونيا كول S, Cola:[1]

يعد هذا التصنيف أخر تقسيم سلالي للبشر في القرن العشرين (1963م) ، ويعد من أهم التصنيفات حيث أضافت "مسز كول" سلالة رابعة : فبالإضافة للثلاث سلالات الكبرى التقليدية (الزنوج– القوقاز – المغول ..) رأت أن هناك سلالة رابعة اطلقت عليها المجموعة البيضاء القديمة أو المجموعة الاسترالية ،وهي بهذا أبرزت مجمعة قائمة بذاتها كانت مسار خلاف شديد بين العلماء في تصنيفها ووضعها تحت أي مجموعة .

اعتمدت كول في تصنيفها هذا على عدة معايير مثل بعض الصفات الهيكلية "شكل الرأس ، طول القامة ، النسبة الوجهية" وأيضا بعض الصفات السطحية مثل لون البشرة وشكل الشعر ولونه ، وغيرها وياتي أهمية هذا التصنيف في اعتماده على فصائل الدم في إيجاد التباينات والتشابهات بين المجموعات البشرية .

أولا : المجموعة القوقازية : انقسمت في هذا التصنيف إلى أحد عشر مجموعة :

---

1 . Cola, S., Races of Man, London, 1963, pp, 9-25.

(1) **طلائع البحر المتوسط** : تسود بينها فصيلة الدم O ويمثلهم الباسك في شمال أسبانيا وشمال غرب فرنسا .

(2) **سلالة البحر المتوسط الأصلية** : القامة المتوسطة ، الرأس الطويل ، وهم العرب والأسبان.

(3) **الإيرانيون والأفغان** : الرأس الطويل ، الأنف الطويل ، الشعر الغزير ، ويندرج تحتهم :

(أ) سلالة البحر المتوسط الأصلية : تظهر بينهم صفات الشقرة وتبدو صفاتهم في بربر شمال أفريقيا والأسبان والانجليز .

(ب) السلالة الدينارية : الرأس المستدير الكبير ، الأنف المعقوف ، ونتظكهر هذه الصفات في سكان شبه جزيرة البلقان .

(ج) السلالة الأرمنية : الأنف المعقوف ، الرأس المفلطح ، الشعر الغزير ، توجد هذه السلالة في وسط أفريقيا وشمال تركيا .

(4) **النورديون** : القامة الطويلة ، صفات الشقرة ، الرأس الطويل ، الوجه الطويل ، وتبدو هذه السمات في سكان اسكيندناوة .

(5) **الألبيون** : الرأس المستدير ، الأنف العريض ، ويتركزون في شمال إيطاليا وسويسرا وشرق فرنسا .

(6) **البلطيقيون** : الرأس الطويل ، البشرة الفاتحة ، يتركزون حول بحر البلطيق وشمال روسيا.

(7)**اللاب** : القامة القصيرة الأرجل قصيرة جدا ، الرؤوس مستديرة ، يسكنون شمال السويد .

(8) **هنود البحر المتوسط** : لون البشرة الفاتح ، الرأس الطويل ، ويعتبر الهندوس (في الهند) خير مثال لهذه المجموعة .

(**9**) **القوقاز الجنوبيون :** وهم سكان جنوب الهند ، ويستثنى منهم الفدا ، وتشبه صفاتهم الجماعات السابقة مع اختلاف في فصائل الدم .

(**10**)**القوقاز الشماليون :** وهم بربر شمال أفريقيا وصفاتهم السلالية هي نفس صفات سلالة البحر المتوسط الأطلسية مع اختلاف اللغة (الساميةهنا)

(قوقازى)

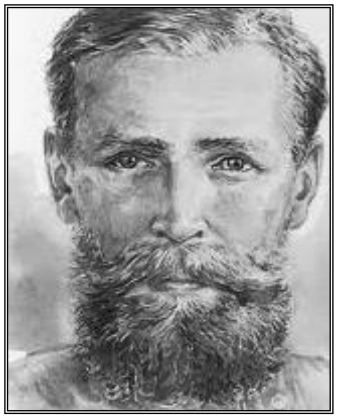

(**11**) **القوقاز الشرقيون :** أصحاب اللغات السامية والحامية سواء شمالي أفريقيا (مصر) أو القرن الأفريقي (الصومال – أرتريا – أثيوبيا) .

ويبدو في تصنيف القوقاز استخدام كول للمعايير الثقافية عند تقسيمها للمجموعات الحامية والسامية ، وكذلك المتحدثون بالدرافيدية وغيرها في شبه القارة الهندية .

ثانيا : المغول :

قسمت هذه السلالة إلى خمس مجموعات هي :

(**1**) **المغول الحقيقيون :** الشعر المستقيم ، الرأس العريض ، الوجه العريض ، الأنف الصغير الغائر ، العيون المنحرفة وهذه الصفات المغولية الأصلية والتي تظهر على جماعات الأوستياك والساموييد (شمال آسيا)

وينقسم المغول الحقيقيون إلى ثلاث سلالات فرعية وهي :

(أ) الإسكيمو

(ب) اليابانيون والكوريون

(ج) سكان شمالي الصين .

(2) **الأتراك** : اختلطوا مع القوقاز فحدث تعديل في صفاتهم الوراثية وينتشرون بوسط آسيا .

(3) **سلالة الهمالايا** : تمثل خليطا قوقازيا مغوليا .

(4) **السلالة الأندونيسية** : تنتشر في جنوب شرق آسيا ، وتبدو فيها المسحة الزنجية مع الصفات المغولية السائدة .

(5) **الهنود الأمريكيين** : يحملون بعض الصفات المغولية ، حيث هاجروا إلى العالم الجديد قبل اكتمال هذه الصفات .

ثالثا : الزنوج :

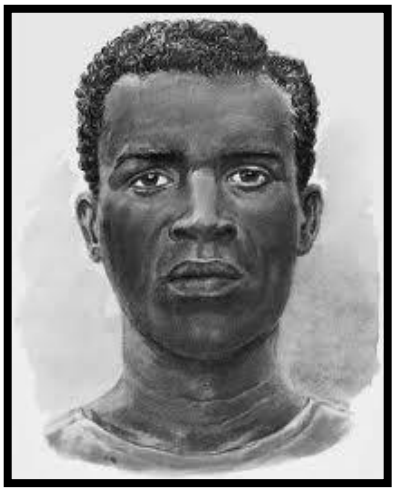

ينقسم الزنوج إلى ثلاث مجموعات كبرى هي :

(1) **الزنوج الحقيقيون** : ويندرج تحتهم :

(أ) جماعات البانتو : ويمثلهم زنوج غرب أفريقيا واختلطوا شرقا بالقوقاز وجنوبا بالبشمن والهتنتوت .

(ب) الجماعات النيلية المتزنجة : توجد في أعالي النيل وإقليم بحيرة فكتوريا.

(ج) الحاميون النيليون : في شرق أفريقيا وتزيد بينهم الدماء القوقازية

(2) **الاقزام (النجريللو)** : يتركزون في أفريقيا الاستوائية وخاصة في حوض الكنغو ، وينقسم الأقزام إلى قسمين :

(أ) أصحاب الوجه الطفولي : الرأس مستدير ، الوجه عريض ، الأنف الأفطس .

(ب) أصحا بالبشرة الفاتحة : الرأس طويل ، الوجه طويل ، الشعر الغزير.

(3) **البشمن والهتنتوت** : أطلقت سونيا كول على هذه المجموعة اسم السلالة "الخويسانية" وهي التي كانت سائدة في أفريقيا الاستوائية قبل السلالة الزنجية ثم انزوت في صحراء كلهاري

وتعد إحدى المجموعات القديمة.

رابعا المجموعة البيضاء القديمة :

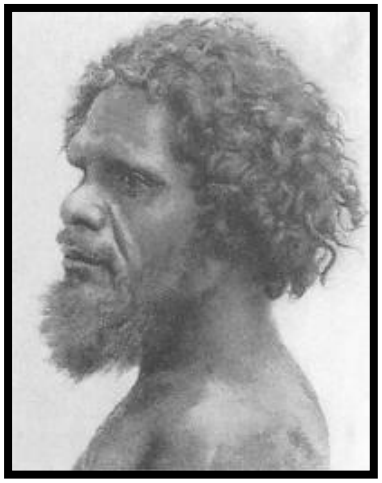

تعد هذه السلالة الإضافة التي قدمتها سونيا كول في تصنيفها واحتار العلماء في تصنيف مجموعات هذه السلالة ومن ثم حلت هذه المشكلة بإفرادهم في سلالة مستقلة تحتوي على خمس سلالات فرعية وهي :(أ) الأستراليون الأصليون : يعيشوا منعزلين في بعض مواضع استراليا ونيوغينيا وتسمانيا .

(ب) أسلاف اليابانيون : ويستقرون في جزر الكوريل وسخالين .

(ج) الفدا : يستقر الفدا حاليا في جزيرة سيلان وجنوب الهند .

(د) الميلانزيون :

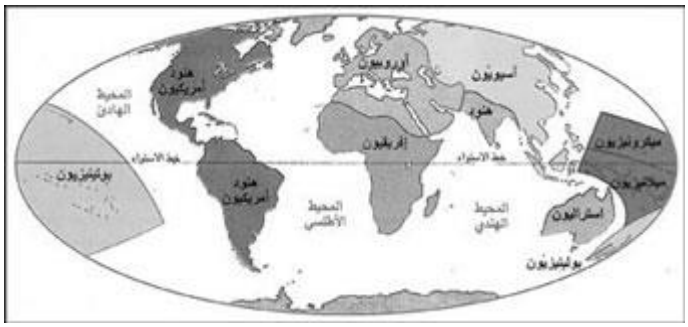

يتوزعون بأرخبيل ملاينزيا في المحيط الهادي .

(هـ) البولنزيون : ينتشرون بأرخبيل بولنزيا في المحيط الهادي .

ويعد هذا التصنيف السلالي من أفضل التصنيفات البشرية حيث يتسم بالسهولة ، واستطاع حل مشكلات المجموعات القديمة التي لم يحسم أمرهم في التصنيفات السابقة ، بالإضافة – وهذا هو المهم – استخدامه لفصائل الدم وهو معيار يتسم بالدقة مقارنة بغيره من المعايير .

ولكن إجمالا لم يستطيع أى تصنبف وضع تعريف محدد وقاطع للسلالة مهما كانت القواعد والمعايير التى استخدمها سواء كانت هيكلية أم سطحية بل حتى فصائل الدم ، فهناك كثير من الأمور لم يتم حسمها أو حتى تفسيرها سواء التشابهات بين المجموعات المختلفة والتى يرجعها العلماء إلى دور البيئية أو الغذاء وأحيانا دور الطفرة والاختيار الطبيعى وأيضا الاختلافات العشوائية .

فالسلالة ما هى إلا فرض حاول العلماء بكل الوسائل تحديده علميا وبوسائل محددة حتى لايترك الأمر لتأويلات ثقافية أو حضارية أو حتى تفسيرات عنصرية تصنف البشر وتميزهم حسب اللون والعرق والدم وهو ماحدث فعلا خلال المراحل التاريخية المختلفة .

الفصل الرابع

التصنيف السلالى والتفرقة العنصرية

حاول الإنسان منذ بداية الحضارات القديمة أن يقدم تفسيرا وفهما للنوع الذى ينتمى إليه وتعليل التباينات التى تبدو على الجنس البشرى من اختلاف اللون (الأبيض –الأسود – الأصفر – الأحمر ...) أو اختلاف اللغات واللهجات والثقافات ، فذهب فى ذلك إلى تعليلات شتى منها ما هو أسطورى أو ذاتى فظهرت فكرة التمييز والخصوصية فى فكر كل حضارة

وخلال العصر الحديث أهتم العلماء المتخصصين فى دراسة الإنسان بالبحث عن وسائل علمية بعيدة عن التفسيرات الذاتية والنزعات المتطرفة ، وذلك عبر طرق متعددة وأكثر من قاعدة سلالية لتقسيم الإنسان إلى ثلاث أو أربع مجموعات بشرية كبرى (القوقاز ، الزنوج ، المغول ، المجموعة القديمة)، كما اتضح سالفا .

ويعد التصنيف السلالى محاولة اجتهادية وتقريبية ولاتمثل خطوطا فاصلة بين البشر بعضهم البعض ، حيث يتضح من الدراسات التفصيلية لكل مجموعة أن هناك تنوعا جنسيا واضحا بين أفراد السلالة الواحدة أو حتى المجموعات الصغيرة داخل السلالة ذاتها ، وينطبق ذلك على فصائل الدم التى تعد أهم الأسس وأكثرها دقة في تصنيف البشر ، وبالتالي بقية المعايير مثل طول القامة وشكل الرأس والأنف وكذلك أيضا لون البشرة والتي تعد الركيزة الأساسية للعبودية وسياسة الفصل والتمييز العنصري التي عرفت منذ القدم واستمرت حتى العصر الحديث .

وقد شهد العالم بعد مرحلة الكشوف الجغرافية تقدم وسائل المواصلات وارتباط أطراف الكرة الارضية الأربع بوسائل النقل الحديثة وأيضا وسائل الاتصال المتقدمة ، مما ساهم في عملية الانتشار Diffusion البشر وفك قيود العزلة عن الإنسانية ونجم ذلك الاختلاط السلالى مما أوجد مجموعات

بشرية "مولدة" تحمل صفات سلالية مشتركة من بين المجموعات السلالية و الكبرى مما أدحض فكرة النقاء السلالي التي ارتكزت عليه بعض الأفكار المتطرفة والعنصرية خلال المراحل التاريخية المختلفة .

فالعزلة Isolation أصبحت في مناطق نائية من الكرة الأرضية مثل الغابات الاستوائية (الكنغو – بورنيو– نيوكوبار ...) او في بعض المناطق الجبلية الوعرة (الهيمالايا ،الأنديز ...) فهذه الأقاليم بعيدة عن الاحتكاك وتيارات الهجرة ، فجعلت من سكانها فى معزل عن بقية السكان مما عرضها للتدهور والانقراض ، مثل التسمانيون الأصليون (جزيرة تسمانيا) والذين انقرضوا تماما في سبعينيات القرن الماضي ، أو البشمن والهتنتوت (صحراء كلهاري) في سبيلهم للانقراض ومثلهم الإسكيمو (جرينلند) والبابوان (جزيرة نيو غينيا) .

ارتكزت بعض دعاوي العنصرية والتمييز – بالإضافة للون البشرة –هناك التمييزالدينى وعلى أسس انثروبولوجية أو حتى بيولوجية مثل الفروق الجنسية والعقلية ودرجة الذكاء والحالة النفسية بالرغم من أن هذه المعايير تتحكم فيها عدة عوامل متباينة ولا دخل للتركيب السلالي بها . فالاحتكاك الحضاري وزيادة فرص التعليم وكذلك استغلال الامكانيات الاقتصادية بصورة حسنة ، كل ذلك يساهم في تطور أي مجموعة سلالية بغض النظر عن صفاتهم سواء كانت بيضاء أو سوداء أو حتى صفراء ، أم كانت دمها " ABأو O أو A ...." وغير ذلك ، فالقضية هنا ليست مرتبطة بجنس معين أو سلالة بذاتها بل بمستوى حضاري وتقدم تقني .

وقد ظهرت فكرة الجنس أو السلالة الآرية Aryan Race فى أوروبا خلال النصف الأول من القرن العرشين ، وهى فكرة عنصرية أرتكزت على

تمييز الجنس الأرى (الألمانى بصفة خاصة) وتفوقة غقليا وحضاريا عن بقية الأجناس البشرية الأخرى فى بقية العالم .

ويقدم ازدهار الحضارات القديمة ماينـاقض الفكر الآرى ، حيث نشأت الحضارات القديمة فى إقليم البحر المتوسط (المصرية – الفينيفية – المينوية ...) وهو إقليم يتسم بالاختلاط البشرى بين مجموعات متباينة سلاليا وليست بقية ، لأن النقاء لـيس واردا علـى الإطـلاق خاصـة بعد فتوحـات الإسكندر الأكبـر خـلال الألـف الأول قبـل المـيلادى ، وفـى العصـر الحـديث هنـاك حضـارات ازدهرت خـارج النطـاق الآرى كمـا هو الحـال فـى اليابـان أو حتـى الصين حديثاً وهما ينتميان للجنس الأصفر والذى كان يحتل مرتبة متدنية فى التصنيف البشرى عند الآريين .

فجميع السلالات البشرية وكذلك كل الأفراد بلااستثناء يملكون إمكانات جسـدية وعقليـة ونفسـية تسـتطيع أن تنجـز لـو تـوافرت لهـا فـرص التعلـيم والاحتكاك الحضـارى ، فليس هنـاك تميز جنسـى فـى عمل مـا وعـدم تميز لمجموعـة أخـرى فـى نفـس المهـارة ، فالأسـاس هنـا التكـافؤ فـى التعلـيم والإمكانات والمهارات المكتسبة وليست الفروق السلالية .

. أسس التمييز العنصرى :

تتعدد أبعاد مشكلة التمييز العنصرى وتأخذ جوانب مختلفة وإن ارتكزت فـى المقام الأول علـى حـاجز اللـون والفروق الأنثريولوجيـة علـى أسـاس أن بعض المجموعات البشرية أدنى فى المرتبة من مجموعات سلالية أخرى تبعا لاختلاف اللون ، ووصل الأمر فى هذا المجال على اعتبار العنصر الأسود (الزنـوج خاصـة) ليسوا مـن جنس البشر ، وإنمـا نـوع آخـر مـن المخلوقـات لايدخل فى عداد الإنسانية .

وهناك جانباً ثانيا للتمييز العنصرى وهو الاختلافات الثقافية والدينية بين الأجناس البشرية ، وينظر البعض إلى العادات والتقاليد والميراث الثقافى لعديد من المجموعات البشرية نظرة دونية تعبر عن الازدراء والاستخفاف ، ويأتى الجانب الاجتماعى كآخر جوانب التمييز حيث تطبق فكرة التمييز داخل المجتمعات ، وذلك عن طريق تصنيف المجتمع إلى عدة طبقات اجتماعية مختلفة ، اعتمادا على أساس اللون أو العرق أو الدين أو حتى الفروق الاقتصادية ، ويندرج تحت الإطار الاجتماعى العوامل السياسية المختلفة ، وتمثل هذه الأسس الركيزة الأساسية "التمييز Discrimination"وترتبط هذه الجوانب ارتباطا وثيقا .

. التطور التاريخى للعنصرية :

انتشرت هذه الفكرة منذ القدم سواء كانت بالمجتمعات الحضارية أو المجموعات البدائية ، ففى مصر القديمة وعلى جدران المعابد أو النقوش القديمة توجد إشارات لممارسات عنصرية وإن كانت سياسية فى المقام الأول ، ففى نص مصرى قديم يرجع للملك سيزوستريس الثالث (1489ق.م) والذى عثر عليه مكتوبا على نصب تذكارى عند التسلال الثانى ، وكان به مرسوماً من حاكم جنوب مصر يحذر فيه من مرور أى زنجى وعبوره الحدود ...لغرض التجارة أو الشراء ...والزنجى الذى يحاول عبور هذه النقطة سوف توقع عليه أشد العقوبات ...وإن كان هذا الحظر لم يقتصر على الزنوج بجنوبى مصر بل امتد إلى سكان الصحراء (دشرت) وكذلك التحنو أو التمحو .، وكان ذلك رغبة فى حماية البلاد من الأجانب .

يزداد الأمر صعوبة فى الحضارة الإغريقية ، حيث انقسم المجتمع الإغريقى إلى طبقات متعددة منها الآسياد والعديد ، بالإضافة إلى النظر

لأجناس الأخرى نظرة دونية ووصفهم بالبرابرة Barbarism، ونفس القول ينطبق على الحضارة الفارسية ويشير هيرودت (450ق.م) إلى أن الفارسيين كانوا يعتبرون أنفسهم أسمى مرتبة وأعلى شأنا من غيرهم .

أما الحضارة الرومانية فقد شهدت أوضح صور التمييز العنصرى حيث انقسم المجتمع الرومانى إلى قسمين أساسيين : الأحرار وطبقة العبيد ، أما سكان المستعمرات الرومانية فكانوا فى مرتبة وسطى بين هذا وذاك ، وشهدت الحضارة الرومانية ثورات متعددة بسبب القهر والتمييز وتأتي ثورة العبيد بقيادة "إسبارتاكوس" النموذج الشهير في هذا المجال .

جاءت الأديان السماوية جميعها لتحقق المساواة بين البشر ونفي فكرة التمييز العنصري ، إلا أن ذلك لم يتحقق ، فاليهود حرموا على أنفسهم الاختلاط "بالأغيار" واعتبروا جميع أطفال اليهود من أمهات غير يهوديات أقل شأنا من نظرائهم المولودين من أمهات يهوديات ، وكانت الممالك الإسرائيلية القديمة مهد العنصرية الأولى ، ولازال اليهود حتى الآن يشكلون جماعات منعزلة غير مختلطة مع غيرها معتبرين أنفسهم "شعب الله المختار" ، ويستبيحون أرض ودم ومال غيرهم.

وإن كانت الديانة المسيحية وتعاليمها تؤكد على المحبة والتسامح ، إلا أن الأوروبيون ظلوا فترة طويلة يعتبرون الرقيق والعبيد من الجنس البشري ، لدرجة صدور مرسوم بابوي سنة 1455م يسمح باسترقاق الزنوج والهنود الحمر ، مما أدى إلى موجة عاتية من العبودةي شملت العناصر الزنجية في المقام الأول .

وجاء الإسلام قاضياً على كافة أشكال التفرقة العنصرية مؤكدا على أن الإنسان مكرم في كل الاحوال "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿الإسراء ٧٠﴾ كما يقول الله سبحانه وتعالى ، ويقول

أيضا " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "الحجرات(13) ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ....." وغير ذلك من تعاليم الإسلام إلا أن ذلك لم يمنع من بعض الممارسات العنصرية التي كانت تمارس بعض أوجه التمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين .

. الكشوف الجغرافية والتمييز العنصري :

بدأت سياسة التمييز العنصري خلال العصر الحديث مع القرن الخامس عشر الميلادي حيث حركة الكشوف الجغرافية الكبرى سواء في العالم القديم (الكشوف الأفريقية والأسيوية) أو اكتشاف العالم الجديد (استراليا والأمريكتين) ، وايجاد طرق تجارية بحرية جديدة بين الهند والصين من ناحية أوروبا من ناحية أخرى (طريق رأس الرجاء الصالح) .

وبالرغم من النهضة العلمية والفكرية في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر والتي شاهدت زيوع أفكار فلسفية مثالية نادت بالمساواة والعدل وذلك على لسان المفكرين "فولتير وجان جاك رسو وماري فو..." وأيضا قيام الثورات الكبرى التي رفعت لواء المساواة كالثورة الفرنسية والثورة الأمريكية إلا أن كل هذا لم يحجم ظاهرة الرق والتمييز العنصري حيث شهدت هذه المرحلة أوج ازدهار ظاهرة الفصل والتمييز العنصري في عديد من أقاليم العالم سواء الجديد منها أو القديم .

ساعدت الثورة الصناعية التي شاهدتها أوروبا والولايات المتحدة خلال العصر الحديث على زيادة الرق ، حيث دخلت الآلهة في الصناعات مثل صناعة الغزل والنسيج مما ساعد على التوسع في زراعة القطن في العالم

الجديد خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأدى هذا بدوره إلى جلب المزيد من الأرقاء إلى مزارع القطن بالجنوب الأمريكي .

وعندما ظهرت نظرية تشارلز دارون : "البقاء للاصلح Survival the fittest" والتي نشرها في كتابه "أصل الأنواع" (1859م) ، رحب به الأوربيون ترحيباً شديداً واتخذوا من هذا الشعار مبدأ أسآسيا لهم ، حيث اضطهدوا الشعوب الملونة وانتشرت "الدارونية الاجتماعية Social Darwinsm " والتي تركز على الاختيار الاجتماعي حيث تنتقى المجتمعات الأصلح والأقوى ليقود هذه المجتمعات وهو بطبيعة الحال الرجل الأبيض فله حق البقاء ولغيره الفناء لأنه غير صالح للبقاء .

وخلال الحرب العالمية الثانية نادى الألمان بسيادة الجنس الآري واستنت القوانين التي تركز عليها السيادة مثل قوانين "نورمبرج Nuremberg law" (1935)التي انتزعت من غير الألمان حقوقهم المدنية (مثل اليهود ، العرب ، الغجر ..) .

. لون البشرة والتمييز :

يمثل الحاجز اللوني أوضح صور التمييز العنصري التي مورست خلال العصر الحديث ، هذا الفصل كثر استعماله وشاع بصورة كبيرة بعد مرحلة الاستعمار الحديث وأصبح العالم ينقسم إلى عالمين الأول أبيض والآخر دون ذلك ،وأصبح حاجز اللون متحكماً في مصادر الشعوب المستعمرة – بفتح الراء– وسيطرة أقلية بيضاء على مقاليد الأمور في الدول التي استعمرتها أرضا وشعبا .

وفي العالم الجديد مثُل حاجز اللون أبشع صور التمييز العنصري ففي الولايات المتحدة الأمريكية كانت مكاتب الإحصاء الفيدرالي تعد أي شخص

زنجي مادام أحد أجداده كان زنجياً حتى ولم تبد على هذا الشخص أي ملامح زنجية وعلى هذا الأساس أصبحت كل الأجناس المختلطة زنجيا أو "هاسبنك Hasbanic" ويحفل التاريخ الأمريكي بسجل طويل من الممارسات العنصرية بسبب اللون لم تستطيع كل القوانين التي وضعت في حل هذه المشكلة والتي لاتزال حتى الآن تمارس بصورة أو بأخرى .

تعد قارة أفريقيا النموذج المثالي للممارسات العنصرية المرتبطة باللون وخاصة أنها تمثل القارة السوداء ، أصل الزنوج ومصدر الرقيق إلى دول أوروبا والعالم الجديد ، وقد ارتبط الاستعمار الأوربي لأفريقيا بالعنصرية ، فجميع الدول الاستعمارية كانت تعامل الشعوبالمستعمرة معاملة سيئة جدا بدعوى أن هذه الشعوب ليست متحضرة وبربرية وليست لها قانون ولا أخلاق ، بل كان ينظزلهذه الشعوب بانها ليست ممن نوع البشر ولاتنتمي للإنسانية ، وهكذا نمت فكرة التميز الأوربي والانحطاط الأفريقي .

وقد ساعد على ذلك بعض الآراء الدينية التي أصدرها المبشرون كإعلان المجلس الكنسي في مدينة الكاب (1892م) بأنه لا مساواة في الدولة أو الكنيسة للزنوج ، حيث أن قوانين الكنيسة لا يمكن أن تطبق على الزنوج ، وهكذا أصبح التصنيف اللوني مجازاً دينياً ودنيوياً وبدأ تقسيم البشر إلى أبيض وأسود ، وتكرس ذلك في كل المستعمرات الأفريقية وخاصة البريطانية والتي كانت فيها التفرقة العنصرية أشد وطأة من أي منطقة أخرى.

وقد مورست ضد البشرية ثلاثة أشكال من التفرقة العنصرية وهي :

. **التمييز العنصري Racial Prejudice** : ويكون موجه ضد مجموعة جنسية محددة كالزنوج أو الهنود الحمر ، وأحيانا إلى البشرية كما طبقها الألمان قديما والصهاينة حالياً حيث اعتقدوا أنهم أرقى وأفضل من غيرهم

ويـؤدي التمييـز العنصـري إلـى مشـكلات عنصـرية مثـل النازيـة والفاشـية والصـهيونية

. **الاضطهاد العنصري Racial Discrimination** : وهو شعور ينتاب الفئة التي يمارس ضدها التميز كالزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية أو سكان جنوب أفريقيا – قبل التحرر – حيث كانت تسيطر الأقلية البيضاء على كافة القـوى السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة ممـا ينتـاب الـوطنيين شـعور بالاضـطهاد ، ومـن ثـم تكـون العلاقـة بـين الطـرفين غيـر سـوية وتـؤدى إلـى العنف حيث تطالب الأغلبية بتغيير الأوضاع المعكوسة .

. **الفصـل الاجتمـاعي Segragation** : ويعـد محاولـة لتجنـب التـوتر بـين الأقلية المسيطرة والأغلبية المضطهدة ، ويكون الفصل جزئياً أي مقصورا علـى المنـاطق السـكنية أو وسـائل المواصـلات والمنـاطق الخدميـة ، أمـا الفصل الكلى فيطبق على كافة مناحي الحياة من عمل وسكن وخدمات وغيرها وهو إضطهاد عنصري قاسي ، طبقته الولايات المتحدة الأمريكية علـى الهنـود الأمـريكيين بإنشـاء معـازل خاصـة بهـم ، وطبـق كـذلك فـي جنوب الأفريقيا حيث معازل السود وتطبق حاليا – وبكل قوة – إسرائيل ضد الفلسطينيين .

أولاً . التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا (نموذجا تاريخيا)

أبـرز نمـوذج فـي تـاريخ البشـرية فـي ممارسـة سياسـة الفصـل العنصـري وتطبيق التمييز العنصري بكافة صوره العنيفة والقاسية ، حيث كانت ثلاثية الأبعاد "تمييز ، إضطهاد ، فصل" .

يرجـع تـاريخ العنصـرية فـي جنـوب أفريقيـا إلـى القـرن السـابع عشـر حيـث وصـل الأوروبيـون إلـى منطقـة جنـوب أفريقيـا، فقـد تمكـن البرتغـالي "ديـاز

Dias" مـن اكتشـاف منطقـة "الكيـب" بهـذا الإقلـيم وتـوالي وفـود العناصـر الأوروبية المختلفة بعد ذلك ، وتم تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1652م والتي كانت بمثابة تجمع للمهاجرين الأوروبيين في أفريقيا.

بدأ الاستعمار الهولندى بجنوب أفريقيا كأول العناصر الأوروبية الوافدة ، وعرفوا باسم البوبر Boers أى جماعات الزراع الهولندين ، وتوغلوا داخل

أرض جنـوب أفريقيـا بعيـدا عـن منطقـة الـرأس ، ثـم اصـطدموا بجماعـات البشمن والهتنتوت حيث أبيد كثير من البشمن وأنعزلوا فى صحراء كلهارى ،أما الهتنتوت فتحولوا إلى عبيد لدى الهولنديين .

وتمثلت الإرهاصات الأولى للعبودية في العلاقة بين الهولنديين والسكان الأصليين ، حيث كانت علاقة السيد بالعبد ومن ثم أوكل للوطنيين المهن الأدنى ، وأدت طبيعة الهجرة الهولندية والتي اقتصرت فقط على الذكور مما اضطر الهولنديون إلى التزاوج من نساء الهتنتوت ونتج عن ذلك اختلاط جنسي وظهور سلالة مولدة عُرفت باسم "الملونيين" أو "الرحبوت ".

أما قبائل البانتو مثل "الزولو و الأكزوزا" اتجهت تحت ضغط الأوربيون من الشمال إلى الجنوب الشرقي حيث استوطنوا منطقة ناتال على طول الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا ، وتقابلوا هناك مع بقايا من البشمن والهتنتوت الذين فقدوا أراضيهم ، ثم توالى انتشار البوير .

تنازلت هولندا عن منطقة جنوب أفريقيا لانجلترا سنة 1814 م ومن ثم خضع كافة السكان (البوير ، البانتو ، البشمن ، والهتنتوت)للحكم البريطاني وركز الإنجليز عل إضعاف سلطة البوير في هذا اقليم ليتم السيطرة عليهم ، وقد وجهت إنجلترا ضربة قاصمة للبوير وذلك بإلغاء تجارة الرقيق سنة 1834م مما أفقد الهولنديين عبيدهم المعتمدين عليهم كلية في الزراعة .

ترك البوير مستعمرة الكيب تحت السيطرة الإنجليزية واتجهوا في هجرة كبرى تجاه الشمال إلى الترنسفال وناتال حيث عبروا نهر الأورنج وذلك بداية من سنة 1834م ،وهناك تجاوروا مع قبائل البانتو مما أدى إلأى قيام حرب "الكافير kaffir Wars" والتي انتهت بسيطرة إنجليزية على كل أراضي البانتو مع الاعتراف باستقلال البوير في الأورانج والترنسفال(1854م) .

كانت الهجرات الأوروبية لجنوب أفريقيا – والعالم الجديد أيضا – تتكون عناصرها من العناصر الإجرامية والعاطلين والمحكوم عليهم بالنفي مما كان يعطي تفسيراً للعنف الذي كان يمارسونه ضد الوطنيين ،وبعد اكتشاف الماس في الأورانج سنة 1867م بدأ مغامرو أوروبا في الوفود إلى جنوب أفريقيا ،وساعد على ذلك أيضا اكتشاف الذهب في الترنسفال مما جعل جنوب أفريقيا محط أنظار الأوروبيين بل والآسيويين وبصفة خاصة الهنود الذين توافدوا إلى الإقليم ، وأدى ذلك إلى نشوب حرب بين البوير والإنجليز سنة 1899م انتهت بانتصار الإنجليز وسيطرتهم على أقاليم البوير ، ثم

تكوين اتحاد جنوب أفريقيا سنة 1910م والذي ضم أربع ولايات "الترنسفال ، الأورانج ، الكيب ، ناتال" تحت سيطرة الانجليزية .

. المجموعات البشرية بجنوب أفريقيا :

تعد جنوب أفريقيا اشد بقاع العالم تعقيدا من الناحية السلالية بسبب تعدد العناصر السلالية واختلاف حضارتهم وثقافتهم ، ويمكن تحديد العناصر السلالية بجنوب أفريقيا في أربعة عناصر أساسية :

(1) الأصليون (الأفارقة) **(2) الأوربيون**

(3)الآسيويون **(4)الملونون**

(1) السكان الأصليون :

يندرج تحتهم البانتو والبشمن والهتنتوت ، ويمثلوا العناصر الأصلية أصحاب الأرض وتعد أقدم العناصر وأكثرها إلا أنها تعرضت للتناقص نتيجة لحروب الإبادة التي تعرضت لها من قبل العناصر الأوروبية وعدم استطاعتهم ملائمة الظروف الجديدة ، وكانوا يشكلوا نسبة 70% من حجم السكان .

ويعتبر السكان الأفارقة أكثر الفئات تضررا من سياسة الفصل العنصري والتمييز ،والتي مورست ضدهم في أبشع صورة ، من حيث العمل واالسكن والحقوق المدنية وكانوا يسكنون في معازل خاصة بهم تعرف باسم "المخصصات Reserves" تكون بعيدة تماما عن سكن الأوروبيين وبمناطق نائية تماما .

وبالرغم من أن البانتو كانوا يشكلوا النسبة الأكبر من السكان إلا ان نصيبهم في ملكية الأراضي الزراعية لم تكن تتجاوز 10% من المساحة الكلية وحوالي 13% من مساحة المراعي في البلاد .

أدى ذلك إلى هجرة كثير من الأفارقة إلى مزارع البيض أو العمل في مدن التعدين والصناعة وخلف هذا الاحتكاك كثيراً من المشكلات الاجتماعية ومع تطبيق سياسة الفصل العنصري صدر قانون سنة 1911م والذي حدد طبيع العمل لكل عنصر وفرض على الأفارقة حمل تصاريح للمرور بالمدن وتصاريح أخرى للتأخير عن معازلهم .

(2) الأوروبيون :

شكل الأوروبيون حوالي 20% من سكان جنوب أفريقيا ، و يشكل الأوروبيون في هذا الإقليم خليط إنجليزي وألماني وفرنسي بالإضافة للبوير (الهولنديون) حيث حدث اختلاط وتزاوج بين كل هذه العناصر الوافدة ، ويجمع بينهم الإيمان المطلق بسياسة التمييز والتفرقة العنصرية ضد السكان الأصليين .

إستأثر الأوروبيون بكل مقاليد السلطة واحتكارهم كافة المناشط الاقتصادية حيث استولوا على أكثر من 80% من مساحة الأراضي الزراعية ، وتولت الشركات الغربية استثمار كافة مناجم الذهب في الترنسفال والماس في الأورانج استغلال العمالة الإفريقية بصورة بشعة وغير إنسانية على الإطلاق تحت ظروف عمل غاية في الصعوبة ومناجم غير آمنة تماما .

فكان اتجاه الأوروبيين نحو الوطنيين اتجاه عدائي بدا في مناهج الدراسة التي يتلقاها الأطفال البيض في مدارسهم حيث يلقنوا كراهية العنصر الأسود ، ومن ثم ينمو الأطفال على عنصرية شديدة تجاه الأفارقة ،و الذين يعاملوا معاملة غاية في السوء لاتقارن حتى بما يحدث في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية .

(3)الآسيويون :

يشكل الهنود أغلب العناصر الآسيوية والذين وفدوا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1860م) حيث الحاجة إليهم في زراعة القصب بإقليم ناتال وإحلالهم بدلا من قبائل الزولو الوطنية والتي لم تنجح في هذا المجال .

انتشر الهنود في بداية استقرارهم بجنوب أفريقيا بإقليم ناتال ثم ما لبثوا أن انساحوا إلى الأقاليم الأخرى بالترنسفال والأورانج ، بالرغم من مقاومة البوير لهم والقوانين التي تحول دون تملكهم الأراضي ولتحديد مناطق إقامتهم ، وقد عانى الهنود من سياسة التفريق العنصري التي طبقت على الأفارقة ، واضطهدوا من قبل الانجليز حيث طبقوا عليهم الحاجز اللوني .

كافح الهنود كثيرا في سبيل إلغاء قوانين الفصل العنصري التي تطبق عليهم ساعدهم في ذلك وجود الزعيم الهندي "المهاتما غاندي" بجنوب أفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى (1914م) ، وسمح للهنود باصطحاب أسرهم من الهند ، ولكن بالرغم من ذلك إلا أن الفصل العنصري ظل مطبقا على الآسيويون بصور متعددة .

(4) الملونون :

يطلق عليهم "أنصاف المولدين Half Cases" يشكلون حوالى 8% من جملة السكان ، يتركز معظمهم في إقليم الكيب ، وهم خليط من تزاوج الأوربيون خاصة – الهولنديون – مع القبائل الوطنية ، ولايتمتع الملونون بامتيازات الأوروبيين بالرغم من أن الأفارقة ينظرون إليهم كأوروبيين في حين يرى الأوروبيون أنهم في مرتبة متدينة عنهم ، إلا أنهم أحسن حالاً من الأفارقة الأصليين خاصة من الناحية الاقتصادية وأيضا سياسة الفصل العنصري .

. نهاية سياسة الفصل العنصري :

شـهد القـرن العشـرين عـدة تغيـرات سياسـية أثـرت علـى الأوضـاع السياسـية بـالكرة الأرضـية ويـأتي فـي مقدمـة هـذه الأحـداث إنهيـار الاتحـاد السوفيتي (1991م) وتوحيد ألمانيا (الشرقية ، الغربية) ، تفكك الكتلة الشرقية ، وكـان أثـر هـذه الأحـداث كبيـرا فـي جنـوب أفريقيـا ، حيـث ضـغط العـالم بصـور متعـددة علـى نظـام الحكـم العنصـري بجنـوب أفريقيـا ، مثـل المقاطعـة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى الرياضة ، فاضطر إلى التسليم بحق الأغلبية في الحكم ، وأجريت أول انتخابات حرة في تاريخ جنوب أفريقيا ، فاز حزب المؤتمر بقيادة الزعيم الراحل "نلسون مانديلا".

ونصب "مانديلا" كأول رئيس من السكان الوطنيين بعد مئات السنين من النضال يمثله مانديلا ذاته والذي سجن لمدة تزيد على ربع قرن في سجون النظـام العنصـري السـابق ، وبسـيطرة الأغلبيـة علـى الحكـم ثـم الـتخلص مـن كافة القوانين التي كانت تكرس للعنصرية الشديدة المتركزة على أساس اللون .. واللون فقط ، خلافا لكل المعايير الدينية والأخلاقية .

. التفرقة العنصرية ومؤتمر ديربان 2001 :

عقدت الأمـم المتحـدة مـؤتمراً ضـد العنصـرية فـي مدينـة ديربـان بجنـوب أفريقيـا وذلـك خـلال شـهر سـبتمبر 2001 ، وهـدف المـؤتمر إلـى مكافحـة العنصـرية ومناهضـة العبوديـة ، وقـد انعقـد المـؤتمر بجنـوب أفريقيـا بصـفة خاصـةً حيث شهدت أبشع صور الرق والعبودية في التاريخ الإنساني ، وقد تنـاول المـؤتمر وقـائع الـرق تاريخيـاً ومـا يمـارس حاليـا مـن مظـاهر الـرق والعبودية في المجتمعات الحديثة ، وتأتي أهمية المؤتمر في القضايا التي تم

طرحها ونسبة الحضور الدولي الذي زاد على 160 دولة ، بالإضافة لحوالي ثلاثة آلاف منظمة غير حكومية في مجال حقوق الانسان .

وكان مكان انعقاد المؤتمر ذى دلالات خاصة فجنوب أفريقيا مارست فيه الأقلية البيضاء العنصرية ضد الوطنيين خلال مرحلة نظام الفصل العنصري ، وتعد سجلا مثاليا لكفاح الشعوب ضد العنصرية ، ويعد حاليا نموذجا تطبيقيا للتعايش بين العناصر المتعددة في سلام ومودة بعد القضاء على التفرقة العنصرية .

وكانت أهم موضوعات المؤتمر الرق والعبودية والاستعمار بوصفها جرائم ضد الانسانية وكان المؤتمر فرصة للتذكير بمآسي العبودية والتمييز خلال مرحلة الاستعمار الأوروبي لقارة أفريقيا وما خلفه من متاعب ومشكلات للتأكيد على أن الفقر الذي يعاني منه الأفارقة حاليا نتيجة لهذه المرحلة التي عاشتها أفريقيا تحت نير الاستعمار .

وكان الأفارقة يطمعون خلال هذا المؤتمر في أن تقدم الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية إعتذارا صريحاً واضحاً عن استعمارها واستعبادها لأبناء القارة ولم توافق الدول الغربية على هذا المطلب وان اعترفت ضمنا بالمعاناة الجماعية التي سببتها تجارة الرقيق التي تمت عبر الأطلسي وشملت أكثر من 25 مليون أفريقي مات أكثر من ثلثهم خلال المرحلة الطويلة إلى العالم الجديد ، وطلبت العديد من الدول الأفريقية (نيجيريا – السنغال – غانا ...) تعويضات مالية مناسبة إلا أن هذا الأمر قوبل بالرفض.

والقضية التي أثارت جدلاً وجعلت الولايات المتحدة واسرئيل ينسحبا من المؤتمر هي الممارسات الإسرائيلية في فلسطين وسياسة التمييز والاضطهاد

العنصري الذي تقوم به الدولة العبرية ضد العرب ، من مصادرة للأراضي وإقامة المستعمرات اليهودية الخالصة ، وكذلك الإبادة الجماعية والقتل العشوائي وكافة صنوف التمييز العنصري ضد العرب في الأراضي المحتلة من ناحية طبيعة العمل وقيمة الأجور والحرمان من كافة الحقوق المدنية .

فالتمييز العنصري الذي يمارسه اليهود ضد العرب يرجع تاريخه للممالك الإسرائيلية القديمة والتي ترتكز على نصوص توراتية مزورة منذ عهد "يوشع" حيث يذكر السفر المنسوب له على سحق "الأغيار" وإبادتهم جميعا والاستيلاء على الأرض والأموال وغيرها .

وعلى الرغم من أن المنتدى الحكومي لم يوصم حكومة اسرائيل بالعنصرية كما طالبت شعوب أفريقيا وآسيا ، إلا أان المنظمات غير الحكومية – ثلاث آلاف منظمة – أكدت في بيانها الختامي على أن إسرائيل تمارس أبشع صور التفرقة العنصرية وتعد هي النموذج العالمي الآن في هذا المجال بعد انهيار نظام جنوب أفريقيا العنصري والذي كان حليفا قويا لها إبان حكمه ، لذلك أكدت هذه المنظمات على أن اسرائيل دولة عنصرية تمارس كافة أساليب التمييز من إبادة جماعية Genoside وتصنيف عنصري Discrimination وعزل عنصري Segragation الأحداث في فلسطين .

ثانياً : الزنوج والتفرقة العنصرية بالولايات المتحدة الأمريكية:

نجح المستعمرون الإنجليز فى بدايات القرن السابع عشر فى استثمار الإمكانات الجغرافية لمنطقة فرجينيا لزراعة الدخان حيث التربة الرملية الخصبة وكميات الأمطار المعتدلة والموزعة توزيعاً جيداً طوال فصل النمو ، وقد مثلت التجارة فى الدخان إحدى عوامل الاستقرار بفرجينيا الساحلية ،

وقابلت المستقرين مشكلة تتمثل فى قلة الأيدى العاملة بسبب قلة كثافة السكان ، ولما كانت العمالة المطلوبة يجب أن تكون رخيصة ولا يشترط أن تكون ماهرة ، فاتجهت الأنظار إلى أفريقيا ، وذلك لتلبية الطلب المتزايد على الدخان فى أوروبا .

تزايد عدد الزنوج الوافدين من أفريقيا إلى أمريكا خلال منتصف القرن السابع عشر ، حيث وصل عدد الأفراد من مائة (100) فرد فقط (1619م) إلى ثلاثمائة نسمة سنة 1649م ، وخلال قرن ونصف تزايدت أعدادهم لتلبية طلبات عملية الزراعة المتزايدة والتى لم تقتصر على الدخان بل امتدت إلى الأرز والنيلة والقطن والتى توسعت بسرعة على طول الساحل متجهةً إلى الجنوب ، وأصبح من الواضح أن السكان البيض لن يفوا بحاجة العمل لزراعة هذه المحاصيل ،وظهرت المجتمعات الزنجية خلال هذه المرحلة المبكرة فى عدة تجمعات بكلٍ من كارولينا وفرجينيا وجورجيا وآلاباما. .

. المشكلة الزنجية :

ظهرت مشكلة الزنوج فى الولايات المتحدة بعد الحرب الأهلية الأمريكية (1861–1865) والتى كان أحد أسبابها مشكلة التفرقة العنصرية التى كان يمارسها الجنوبيون على الزنوج وتصاعدت حمى رفض العبودية بولايات الشمال بدءاً بولاية فيرمونت (1777) ونيويورك(1799) ثم نيوجرسى (1805) ، حيث انتشرت مبادئ "الكويكرز" أو "الصحابيون" ، وكان هذا تمهيداً لنشوب الحرب الأهلية الأمريكية و الدعوة للانفصال الإقليمى بين الشمال والجنوب.

وفى أعقاب الحرب الأهلية مباشرة لم يجلب زنوج جدد من أفريقيا، ولكن الزيادة الطبيعية وارتفاع معدلات مواليد الزنوج أدت إلى مخاوف البيض فى فرجينيا ونورث كارولينا من سيادة الزنوج وانقلاب معادلة الأغلبية البيضاء وسيادة العنصر الزنجى مما يؤدى إلى مشكلات عرقية وقيام ثورات واحتجاجات زنجية على أوضاعهم المعيشية السيئة وهو ما ظهرت بوادره فى عديد من الولايات ، خاصةً بعد نهاية الحرب الأهلية وفرار كثير من زنوج الجنوب إلى الولايات الشمالية التى حرمت الرق كليةً .

أصبح الزنوج يمثلون مشكلة للإدارة الفيدرالية وفكر البعض فى إعادتهم إلى أفريقيا مرة أخرى ، وفعلاً تم إنشاء دولة ليبيريا (1821) بواسطة جمعية الاستيطان الأمريكية ، ولكن لم يتقبل كثير من الزنوج أنفسهم هذه الفكرة ، ونادت آراء أخرى بترحيلهم من الولايات المتحدة الأمريكية وتوطينهم بإحدى جزر الكاريبى(هايتى) أو تخصيص موطن لهم فى جزء من ولاية لويزيانا .

وقد ساد اعتقاد حينذاك بقلة أهمية الاعتماد على الزنوج كعمالة زراعية ، وفكرت السلطات الفيدرالية إلى تحويلهم إلى المناطق الحضرية المتطورة ، وأصبحت مشكلة الزنوج تمثل إحدى القضايا الشائكة التى تهدد المجتمع الأمريكى ، فأصدرت الحكومة الأمريكية قانونا يحظر استيراد عبيد جدد وذلك سنة 1808م فى محاولة منها لمواجهة المشكلة.

أدى اختراع آلة حلج القطن بواسطة "إيلى وتينى Whitney، E" فى بداية القرن التاسع عشر إلى اتساع وامتداد زراعة القطن لمناطق جديدة ، فانتشرت زراعته بصورة كبيرة على طول الساحل الجنوبى ، مما تطلب مجدداً استخدام العمالة السوداء الرخيصة .

فى منتصف القرن التاسع عشر (1850م) تغير النمط السكانى للزنوج فى الولايات الجنوبية ، نتيجة لتركز السود ، وبدأت حركة ترحيل على امتداد مئات الكيلومترات من كنتكى وفرجينيا إلى آلباما ومسيسبى وما بعدها جنوباً حيث انتشرت زراعة القطن ، وكان هذا يعنى استمرار تجارة الرقيق بالرغم من منعها .

أصبح الزنوج مركزين سنة 1860م بفرجينيا الساحلية حتى شمال جورجيا وآلباما ودلتا المسيسبى ثم تنسى وخليج المكسيك ، وانتشروا أيضاً بأجزاء من تكساس وفلوريدا ، وزادت نسبة الزنوج فى بعض من هذه المناطق أكثر من 50% ، ويلاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين توزيع الزنوج سنة 1860م ونفس التوزيع بعد مائة عام (1960م) .

. التفرقة العنصرية ضد الزنوج :

سادت مظاهر الحظر والقهر ضد الزنوج فى المجتمع الأمريكى سنة 1890م وخاصة فى الجنوب وذلك فيما عرف باسم "قوانين جيم كرو Jim Crow Laws" والتى أدت إلى الفصل العنصرى بكافة جوانب الحياة مادياً واجتماعياً وبالنواحى الصحية والتعليمية ، بل شملت وسائل المواصلات والأماكن العامة ، وكان لكل ذلك انعكاساته المكانية حيث أصبحت عناصر النشاط كلها مرتبطة بمبدأ الفصل والتمييز العنصرى.

تزايد الاضطهاد الأبيض ضد الزنوج فى الجنوب مع توالى الوفود الرجل الأبيض من أوروبا إلى أمريكا وتزايد تيار هجرة السود من الجنوب إلى الشمال ، وإن كانت هذه الهجرة ليست كبيرة بسبب طول الرحلة وما يلاقيه الزنجى الهارب من مطاردات تصل لحد القتل فى أحيان كثيرة ، بالإضافة

إلى أن إمكانات الزنوج المهاجرين كانت قليلة ومحدودة، ومن ثم بقى الجنوب هو معقل وموطن زنوج الولايات المتحدة الأمريكية.

. حركة الزنوج داخل أمريكا :

مع بداية الحرب العالمية الأولى (1914م) أصبح الزنوج محرومين تماماً من كافة الحقوق المدنية فى الجنوب وأصبحت المناطق الزنجية تمثل نموذجاً سيئاً فى الخدمات الأساسية من صحة وتعليم ... ، بل طال التمييز العمالة ، حيث كان متوسط الأجر اليومى للعامل الزنجى فى آلباما ما بين 50–60 سنتاً فى اليوم ، فى مقابل 30–40 سنتاً فى الساعة وليس اليوم للعامل الأبيض بولايات الشمال .

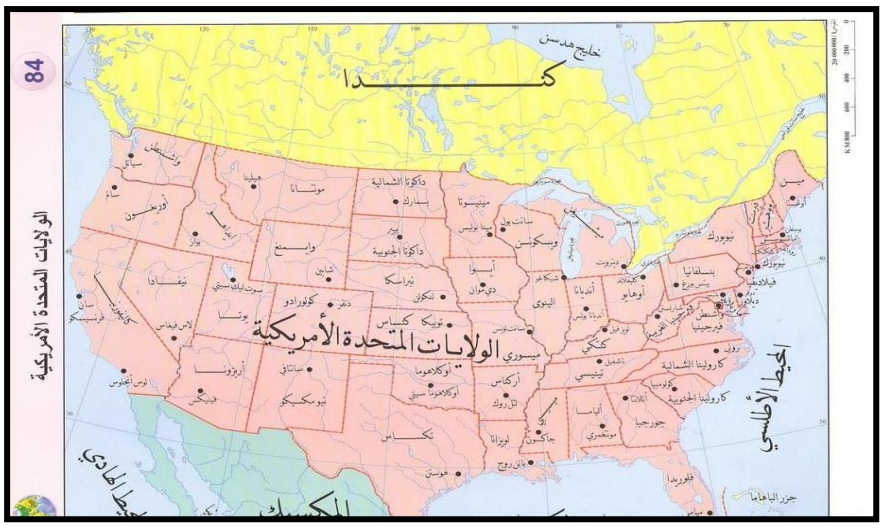

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (1918) وبداية حركة التصنيع القومى مما تطلب الإقبال على العمالة السوداء فى هذا المجال ، ظهر تيار هجرة من الجنوب إلى الشمال ، وأصبح السود يتركون الجنوب بأعداد كبيرة

متجهين إلى الشمال خلال العشرينيات حيث القلب الصناعى بشمال شرقى أمريكا .

وإن تعرض هذا التيار للانحسار فى مرحلة الكساد العالمى الذى تأثر به العالم خلال الثلاثينات ، ثم ما لبثت أن ازدادت الهجرة مرة أخرى خلال الأربعينات والخمسينات ، وفى سنة 1960م كان حوالى 40% من حجم السود بأمريكا يعيشون خارج ولايات الجنوب ، فى حين كانت النسبة 10% فقط سنة 1900م.

تطورت الهجرات الزنجية من الجنوب إلى بقية أجزاء الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان الجنوب يحتوى على أكثر من 90% من مجموع زنوج أمريكا (1870م) فى حين أصبحوا 60% فقد سنة 1960م.

وازدادت نسبتهم فى كل من الشمال الشرقى 3.3% فقط (1870) إلى أكثر من 16% سنة 1960م ، ولم تكن نسبتهم تتعدى 0.1% فى الغرب ووصلت إلى 5.7% سنة 1960م ، أى أن أكثر من 40% من حجم الزنوج أصبحوا يعيشون خارج الولايات الجنوبية فى حين كانت لا تزيد على 5% فقط فى نهاية القرن التاسع عشر .

أما توزيع الزنوج بين الريف والحضر فقد شهد تطوراً كبيراً وبصفة خاصة منذ العشرينات (1920) حيث بدأ تيار الهجرة الحضرية يبلغ مداه بين الزنوج .

والملفت للانتباه إلى أن السود الأمريكان أصبحوا أكثر معيشة فى الحضر من نظرائهم البيض ، ففى سنة 1960 كان 73% من مجموع الزنوج سكان حضر ، بينما كانت نسبة البيض حوالى 69.5% ، وظل الجنوب الأمريكى يحتفظ بأكثر من 90% من جملة الزنوج كسكان ريف ، وفى الجنوب كان

حوالى 95% من سكانه البيض يندرجون ضمن سكان حضر ، وعلى ذلك كان السود أكثر سكان المدن فى دولة تمثل الحضرية فيها نسبة كبرى من جملة السكان .

شكلت الهجرات الجنوبية من قبل السود إلى مدن الشمال ظاهرة واضحة جلية وقد استقرت هذه الجماعات فى مناطق معينة ومواضع محددة ، مثلت تركزا لهم داخل هذه المحلات الحضرية "Black Getto" ، وكانت ظاهرة سائدة فى المدن الأمريكية التى وصلوا إليها (هارلم بنيويورك على سبيل المثال) ، وكانت مناطق استقرارهم تتصف بالقدم وغالباً ما يكون قلب المدينة "Down Towm" موضع تركزهم بالمدن الكبرى ، ولا تزال هذه الظاهرة سائدة حتى الآن.

تبدو أحياء الزنوج داخل المدن الأمريكية ذات كثافات سكانية عالية جداً ، وجاءت هذه الكثافات العالية بسبب تيار الهجرة المتزايد وما يقابله من حركة سريعة لإسكانهم ، ومن ثم ظهر مبدأ الفصل العنصرى والسكنى حتى بمدن الشمال التى حملت لواء تحرير العبيد ، وصاغت قوانين الحقوق المدنية وخاضت حرباً أهلية فى سبيل تطبيق هذه المبادئ ، إلا أنها لم تستطع أن تطبق هذه المبادئ داخل نطاقها.

نتج عن ذلك ظهور التزاحم السكنى الشديد" Over Crowding" وما صاحبه من تدهور الظروف البيئية والصحية مما جعل لجان الحقوق المدنية ومنظمات حقوق الإنسان تصدر تقريراً سنة 1959م تندد فيه بمستوى معيشة الزنوج وانحطاط خدمات الإسكان الخاصة بهم مدللةً على ذلك بافتراضها تطبيق معدلات الكثافة والتزاحم فى حى هارلم الخاص بالزنوج فى مدينة

نيويورك على جملة سكان البلاد فإنه يمكن استيعاب بقية سكان أمريكا قاطبةً فى ثلاثة أقسام إدارية فقط من أقسام نيويورك الخمسة.

أما الجنوب فلا يختلف الوضع كثيراً فيه عن مدن الشمال من حيث تدنى المستوى والدخول المنخفضة وممارسة التفرقة فى أبشع صورها بكافة مناحى الحياة ، وهناك بعض السود لم يبرحوا الجنوب قط ، ومستوى المعيشة هناك متدنى للغاية وإن كانت هناك فئات أخرى تشارك الزنوج فى هذه المعاناة (الأسبان– الآسيويون مثلاً) .

تشكل نسبة الزنوج أكثر من 12% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث بلغ جملة السكان (2000م) حوالى 280 مليون نسمة، منهم 224 مليون من البيض بنسبة80% ، و34.6مليون زنجى ، و21.4 مليون نسمة من الأجناس الأخرى بنسبة ، ولا زال الزنوج يعانون من صور متعددة من التفرقة العنصرية والتى وضعت بذورها منذ مشكلة الرقيق خلال القرن السابع عشر .

ولم تفلح القوانين التى تؤكد على الحقوق المدنية لهؤلاء السكان بدءاً من "إعلان الحقوق Declaration of Rights" الذى أعلنه الكونجرس القارى بأمريكا الشمالية ، ثم حظر تجارة العبيد فى الإمبراطورية البريطانية (1807م) والتى كانت مورداً رئيسياً لأمريكا ، ثم تحرير العبيد أنفسهم سنة 1863 ، بواسطة الرئيس الأمريكى إبراهام لنكولن Lencolen" الذى اكتسب لقب "محرر العبيد" ودفع حياته ثمناً لذلك (1865م) .

وتم التصديق على قانون الحقوق المدنية للسود سنة 1866م ، ولم يغير ذلك من الأمر كثيراً ، حيث ظلت التفرقة كما هى بكل أنحاء الولايات المتحدة .

ويتواصل دعاة الحقوق المدنية من السود فى المطالبة بحقوق قومهم فى حياة كريمة خالية من التعصب والتمييز ، وتبنى هذه الدعوة "مارتن لوثر كنج" أحد زعماء السود وأبرز دعاتهم ، حيث بدأ حملته سنة 1963م، واستجاب الرئيس الأمريكى "حينذاك" "جون كيندى Kennedy" فأصدر عدة قوانين مدنية لصالح الزنوج تمنع الفصل والتمييز بكافة أشكاله ، ولكن دون جدوى ، حيث أُغتيل "كنج" فى إبريل سنة 1968 على يد أحد المتعصبين البيض.

لاتزال هذه المشكلة حتى الآن تعد واحدة من أخطر المشاكل التى تواجه الولايات المتحدة ، وانطبع لدى الزنوج شعور قوى بالمرارة والظلم دفعهم للبحث عن حقوقهم المسلوبة فى وطن اشتركوا فى بنائه حتى وصل إلى أن يكون القوة العظمة الوحيدة والمتحكم فى السياسة الدولية ، فاتجه العديد منهم إلى العنف وحمل السلاح لتحقيق هذا الهدف مما جعلهم عرضة للاضطهاد ، وفريق آخر سلك طريق الدعوة بطريقة سلمية (كنج- جيسى جاكسون) .

ويتطرف فريق ثالث من السود لدرجة المناداة بالانفصال عن الولايات المتحدة وتكوين دولة مستقلة بالجنوب الأمريكى تكون وطناً لكل الزنوج فى أمريكا الشمالية ، ولا شك أن هذه المشكلة سوف تؤثر على العلاقات الداخلية بأمريكا ، وأيضاً بعلاقتها الخارجية وبصفة خاصة بالأقطار الأفريقية.

. التفرقة والمجتمع الأمريكى حالياً :

قدم مكتب الإحصاء الأمريكى تصنيفاً للأعراق التى تشكل المجتمع هناك فى أحدث أرقامه لسكان الولايات المتحدة (2000م)280 مليون نسمة ، يشكل البيض(الأنجلوساكسون) نسبة 70% ، والزنوج 13.3% ، ثم الأقلية

ذات الأصول اللاتينية "الهاسبينك" حوالى12% (11.7 %) ، أما الآسيويون فيشكلون 5% ، ويتبقى الهنود (السكان الأصليين) والإسكيمو بنسبة 1% فقط .

وتشير التقديرات السكانية لعام 2050م حيث سيرتفع حجم "الهسبينك" ليصل إلى 100 مليون نسمة ، بنسبة 25% من حجم سكان أمريكا حينذاك (حوالى 394 مليون نسمة) ، وأن البيض فسيحتفظون بالأغلبية ولكن بنسبة 53% فقط ، فى حين ستتوقف نسبة الزنوج عند رقم 14% ، وستقفز نسبة الآسيويون إلى 8%.

وهذه الأرقام تثير كثيراً من القلق فى المجتمع الأمريكى ، والذى تلعب فيه العرقية والإثنية دوراً مهماً فى تشكيل حجم العلاقات داخل هذا المجتمع ، والتى كانت حتى فترة قريبة تدور حول ثلاثة أعراق (بيض –سود – مخلطين)[1]، أما حالياً فهناك ما يزيد على ثلاثين جماعة عرقية على الأقل.

والعلاقة بين هذه الأعراق معقدة ومركبة حيث يتسم المجتمع الأمريكى بالهرمية وقاعدته الأساسية العنصرية ، و ارتبط بكل عرق صفة ملازمة له ، فالزنجى دائماً "قاتل مغتصب" ، والمكسيكى "تاجر مخدرات" ، والكوبى "متعصب" ، والعربى المسلم "إرهابى"... ، وهكذا .

تعمقت نظرة الكراهية والتمييز ضد العرب والمسلمين واقترانهم بصفة الإرهاب بصورة متطرفة فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر (2001م) ليس فقط على المستوى الشعبى ورجل الشارع الأمريكى والتى تجلت أعلى صوره فى القتل والتهديد ومهاجمة التجمعات الإسلامية

([1]) المخلطين : سواء بتزاوج زنجى– أبيض ، أو أبيض – هندى ، أو زنجى – هندى ، ويطلق على هذه المجموعات السلالات المركبة .

وأماكن عبادتها بل تعدى ذلك كله فى الإجراءات الفيدرالية التى وضعتها الحكومة الأمريكية نفسها ووصفت من قبل منظمات حقوق الإنسان بإنها عنصرية وتكرس التمييز ضد فئة بعينها من خلال الطرد والحجز والتفتيش القهرى المهين فى المطارات والسكن .... .

وقد اقترح عديد من المفكرين الأمريكيين بعض الأفكار التى تعالج هذه المشكلات مثل إغلاق الحدود فى وجه المهاجرين الجدد للحد من تزايد العرقيات ، إلى أن تستطيع أمريكا موازنة نفسها داخلياً ، ولكن هذا الحل غير عملى حيث أن أمريكا لا تستطيع أن تستغنى عن المهاجرين الذين بمثابة الدماء الجديدة التى تبعث الحياة فى هذا المجتمع ، وبالتالى تستمر أيضاً مشكلات التفرقة والتمييز داخل امريكا .

وإن كان إعمال القانون وشيوع ثقافة المساواة يحد كثيراً من عمليات التفرقة العنصرية بسبب اللون وبفضل حركات التحرر وحقوق الإنسان استطاعت جنوب أفريقيا إنهاء هذه المشكلة الكبرى ، وإن كان الوضع يختلف كثيراً عن الولايات المتحدة والتى تحتاج لأجيال متعددة تكون متقبلة لفكرة المساواة فى الحقوق والواجبات .

وتعطي خريطة توزيع البشر على أقاليم العالم صورة مغايرة لفكرة نقاء السلالة وايضا تعطي دليلا على طرح فكرة العنصرية حيث ينتشر الجنس البشري في كل بقاع المعمورة دونما حواجز بشرية ولونية اللهم إلا محددات البيئة ونظم الغذاء ويأتي قبل ذلك العوامل الوراثية .

الفصل الخامس

التوزيع الجغرافي للأجناس البشرية

أولاً

السلالات البشرية
في قارة آسيا

تتصل آسيا بشرياً اتصالاً وثيقاً بكل من أفريقيا وأوروبا حيث يؤلف شمال آسيا مع أوروبا منطقة واحدة تتشابه جغرافيا ، فجبال الأورال لم تكن حاجزا في وجه الهجرات البشرية خاصةً أن هذه الجبال تختفي في الجنوب وتترك بينها وبين بحر قزوين فرجةً واسعةً ساهمت الاتصال بين أوروبا

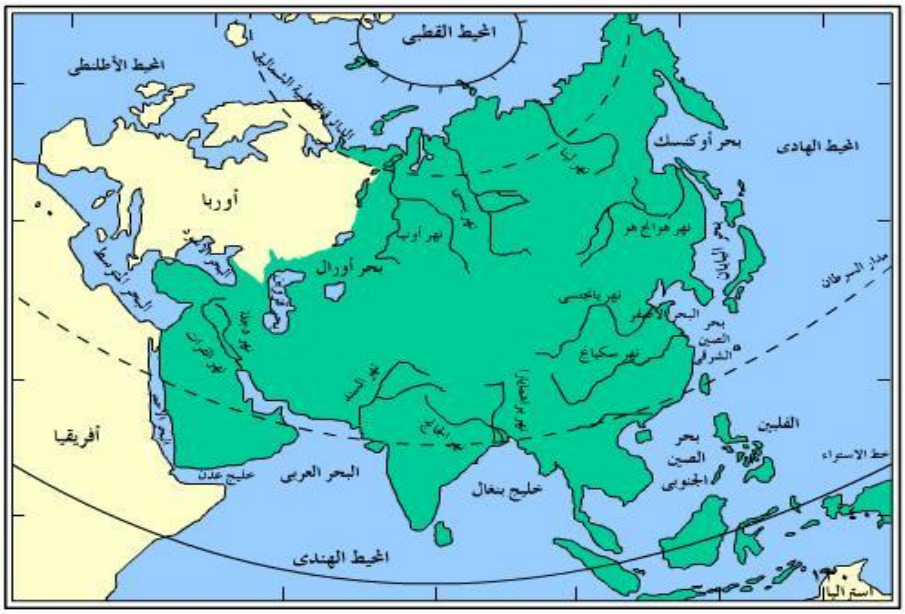

وآسيا أما الصلة بين آسيا وأفريقيا فإن الشواهد تدل على أن أفريقيا عمرت بشريا عن طريق آسيا التي كانت بمثابة الخزان البشري الذي مد أفريقيا بالأجناس الحالية التي اتخذت طريقها إلى أفريقيا عبر باب المندب جنوباً أو المدخل الشرقي لمصر .

وترتبط آسيا بأمريكا الشمالية عن طريق جزر ألوشيان والتي تمثل قنطرة أو نقطة الوثوب عبرها الإنسان من آسيا إلى أمريكا الشمالية ويعتبر مضيق بيرنج أضيق الحواجز المائية التي فصلت القارتين ويؤدي تجمدها فترة كل

عام إلى سهولة الاتصال بين القارتين ومن المؤكد أن الأمريكيتين عمرت سلالياً عن طريق ذلك المسلك .

وقد كانت آسيا مهداً لأجناس قديمة عمرت القارة مثل أسلاف النورديين ذوو الرؤوس الضيقة وكانوا يستقروا في وسط آسيا ثم انتشروا شرقا وعبروا مضيق بيرنج ثم أمريكا واتجهوا أيضا غربا حتى شمال غرب أوروبا ، وفي العصر الحجري الحديث تميز أسلاف النورديون وأصبحوا جنساً مستقلاً ويمثلهم سكان جنوب بيكال وجنوب سيبريا وروسيا وكذلك النورديون في شمال أوروبا .

استقرت كذلك المجموعات المغولية ذات الرؤوس العريضة حول الهضبة الوسطى وإن كان الجنس المغولى الحقيقى توزع فوق ذات الهضبة نفسها ثم انتشروا فى السهول المجاورة ، وأيضا انتشرت مجموعة ذات رؤوس عريضة ولكنها ليست مغولية وأنما يطلق عليها الجنس الألبى ذو القامة الطويلة وكان انتشارها بين جبال هندكوش شرقاً حتى بريتالى فى الغرب.

وفى جنوب آسيا انتشرت مجموعة ذات رؤوس ضيقة ذات بشرة سمراء وانتشرت هذه المجموعة شرقا وغربا ويمثلون أسلاف الأندونيسيين والدرافديين فى الهند ، وكذلك كانت هناك مجموعة ماقبل الدرافديين ومنهم الفدا فى جنوب الهند وسيلان والساكاى فى ملقا، أما الزنوج فانتشروا فى جنوب آسيا فى مرحلة تاريخية مبكرة إلا أنهم أصبحوا منحصرين فى أقزام الأندمان والسيمانج .

(1) جنوب غربى آسيا :

يشمل هذا الإقليم شبه الجزيرة العربية وفلطسين وسوريا والعراق وتتشابه في البيئة الطبيعية وكذلك في التاريخ الجنسي وقد قامت بذلك الإقليم

حضـارات متميـزة ترجـع للألـف الخـامس قبـل المـيلاد ففـي العـراق ازدهـرت حضـارة السـومريين ذو الـرؤوس العريضـة وكـذلك البـابليون الـذين اختلفوا عـن السـومريين فـي طـول الـرأس ممـا حـدا بـبعض البـاحثين إلـى القـول بـأن أهـل سومر وافدين من هضبة ايران حيث كان سكانها عراض الرأس .

وقد اتصف سكان هذا الإقيم في الألف الأولى قبل الميلاد بطول الرأس (بحـر متوسـط) ، وتظهـر فـي جنـوب الإقلـيم وشـماله الغربـي بعـض مـن تـأثيرات الـرأس العـريض (جـنس ألبـي) والوافـدة مـن هضـبة أيـران وآسـيا الصغرى .

وفـي الحجـاز بشـبه الجزيـرة العربيـة تتعـادل نسـبة طـول الـرأس مـع نسـبة العرض وتظهر الأنف العريضة بين الحجازيين مما حدا إلى الاعتقاد بظهور تأثيرات زنجية ، وفي جنوب شبه الجزيرة العربية تسود الرأس العريضة أو ما يعرف بالعنصر الألبي ، وبناءاً على ذلك يختلف سكان شبه الجزيرة العربية في الشمال والغرب عن الجنوب والشرق فبينما يسود الرأس الطويل (بحر متوسط) أحد الجوانب نجد سيادة الرأس العريضة (الألبي) على الجانب الآخر ومصدر الرأس العريض في شبه الجزيرة مجهول وإن كانت الآراء ترجح وفودهم من هضبة إيران عبر الخليج العربي ، ويلاحظ أيضاً وجود أثر زنجي واضح في سكان السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب .

يتدرج طول القامة بين سكان شبه الجزيرة العربية من القامة القصيرة في الجنوب إلى القامة الطويلة في الشمال ، فعرب اليمن متوسط قامتهم161سم ، أما سكان الحجاز تتسم قامتهم بالتوسط ثم تصل إلى 174سم في شمال الحجاز ، وتعد البشرة الغامقة هي السائدة في كل شعوب المنطقة ، وتمثل

شبه الجزيرة العربية الموطن الأساسي للساميين وإن كانت هناك بعض العناصر الحامية استقرت بها على السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية .

أما سوريا وفلسطين فقد استقرت بهما عناصر بشرية قديمة مثل الآكاديون في بداية الألف الرابعة ق.م ، وأيضا الكنعانيون خلال الألف الثالثة ق.م ، ويبدو أن هناك ارتباطاً بينهم وبين الفينيقيين الذين هاجروا من الخليج العربي إلى سواحل سوريا حوالي 2000ق.م .

واستقر بها كذلك الآراميون في نفس الفترة ونتج عن ذلك الاستقرار أن دخل فلسطين العبرانيون والمواب والأمون لهذه المنطقة ،وفي خلال الألف الأولى قبل الميلاد وفد هذا الإقليم النبطيون .

وتتصف العناصر السامية في هذه الجهات بالشعر الأسود ،والوجه البيضاوي، الأنف المستقيم والمحدب وينقسم سكان هذا الإقليم إلى شعبتين:

– البدو ويتصفون بالقامة المتوسطة (166سم) والرأس الطويل (النسبة الرأسية – 75) وموطن هؤلاء البدو التخوم الشمالية لشبه الجزيرة العربية .

– والشعبة الأخرى : الحميريون ويتصفون بتوسط القامة (162سم) وتوسط الرأس (+79) ، ويعتبر الساميون جنساً وسطاً بين الحاميين من ناحية والبحر المتوسط من ناحية أخرى وقد خرجوا من شبه الجزيرة العربية في الألف الرابع ق.م منتشرين في فلسطين والعراق والساحل الشامي .

ويمثل اليهود الحاليون خليطا من الساميين والآرمن والبحر المتوسط حيث أن الوجه الآرمني المستدير هو السائد بين أفراد هذا الخليط الثلاثي ، وتسود أحيانا بينهم الصفات الشقراء نتيجة اختلاطهم بالنورديين ، وإن كانت بعض الآراء ترجع صفة الشقرة هذه إلى العموريين الذين يرجع أصلهم إلى النورديين .

. آسيا الصغرى :

ينتسب سكان سواحل آسيا الصغرى إلى مجموعة البحر المتوسط و المجموعة الألبية التي تسود هضبة أرمينيا ، وقد كانت تسود آسيا الصغرى جماعتين من عراض الرأس تنسب إلى العنصر الأرمني ومنهم الحيثيون الذين سيطروا على بابل 1926 ق.م ، كما تمكنوا من الاستقرار والتوغل جنوبا حتى مصر .

.كردستان :

ينقسم سكانها إلى فئتين : الكرد الغربيون ويتصفون بالرأس الطويل (75) وتبدو بينهم صفات الشقرة نتيجة اختلاطهم بالترك والآرمن ، أما الكرد الشرقيون فأعرض رأسا وأغمق لونا ، ويمكن اعتبار الكرد منحدرين من أسلاف النورديين.

وفي بلاد النهرين (العراق) وصل السومريون بحضارتهم الراقية إلى منطقة رأس الخليج العربي في حوالي 4000 ق.م ويتكون أصحابه من مجموعتين الأولى تنتمي إلى مجموعة البحر المتوسط وتتصف بالرأس الطويل والأنوف المستقيمة والشفاه الرقيقة أما المجموعة الأخرى ذات رأس عريض وبروز الوجنات ومن العناصر التي دخلت العراق الكاسيون (1746ق.م) وهم من طلائع الغزوات

الآرامية ويتكونون من عدة أجناس تندرج تحت مجموعة أسلاف النورديين وقد أدخل الكاسيون الحصان معهم إلى بلاد مابين النهرين.

وأيضا وفد الميتانيون إلى شمالي العراق بحوض الخابور وحول بلخ وذلك خلال القرنين (22 – 21 ق.م) ولم يؤد وفود هذه العناصر إلى تغيير الصفات السلالية حيث كان الدم السامي يتغلب ويمتص الدماء الدخيلة .

. هضبة إيران :

توجد مجموعتين من الشعوب في هذا الإقليم :الطاجيك المستقرون وهى المجموعة القديمة ويمثلهم البارزى ، ثم مجموعة : الفرس بالإضافة إلى أقليات من الأكراد والعرب والأرمن ، ويعتبر الطاجيك السكان الأصليون وينحدرون من أصل ماقبل الدرافديين وفد أسلاف النورديين من منطقة السهوب الأوروبية التى تقع شمالى إيران وقد عرفوا لاحقا باسم الميديين والفرس ، وقد كان لاختلاط الساميين أثرها فى تعديل شكل الفرس .

ويمكن التمييز بين نوعين من العنصر الفارسى الأول طوال الرأس نحاف القامة وشعر الجسم كثيف أما الآخر فهم اللورى أطول قامة وبشرتهم أغمق وشعر أسود والرأس أكثر طولا والوجه بيضاوى ويمكن اعتبارهم من مجموعة البحر المتوسط .

. أفغانستان :تمثل موطن الجنس الهندى الأفغانى والذين يتصفون بالشعر الأسود المموج والبشرة السمراء والقامة المتوسطة (166–175سم) والرأس متوسط الطول (73– 75) والتقاطيع المنتظمة والأنف بارز ستقيم أو محدب والعيون السوداء وتنتشر هذه المجموعة فى بلوخستان وجنوبى أفغانستان وشمال غرب الهند .

أما فى شمال أفغانستان فيوجد الهازارا ذو القامة الطويلة والرأس العريض (85)، الأنف المتوسط (80)، وتبدو عليهم مسحة مغولية خاصة طائفة البامير التى تستقر شمالى أفغانستان.

وينتشر البامير في اتجاه شمالي شرقي حتى منشوريا ، ويحتمل أنهم وفدوا إلى شمال أفغانستان مع حملات جنكيزخان خلال القرن 13م .

. الهند :

تتعدد أجناس الهند تبعا لتعدد أقاليمها الجغرافية ففي هضبة الدكن يوجد مجموعتين جنسيتين ما قبل الدرافديين ذوالرأس الطويل والقامة القصيرة (157,5سم) والبشرة السمراء الغامقة والشعر المموج المجعد ومنهم جماعات الساكاى أوالسينوي المتواجدة حاليا جنوب شبه جزيرة الملايو ، أما في الهند يوجد منهم سكان الغابات الهندية ذو الشعر شديد التجعد مثل الكادير ،البانيان ، البهيل ....

وكانت جماعات ما قبل الدرافديين تنتشر قديما في مساحة أكبر من الهند ووصل البعض منهم إلى مرحلة حضارية متقدمة ، وقد تحسنت صفات هذه المجموعة نتيجة اختلاطهم بالدرافديين حيث أصبح الأنف أضيق (73) والقامة أطول (164) .

أما المجموعة الثانية بهضبة الدكن منهم الدرافديون ذو الشعر الممـوج الغزير والبشرة السمراء والقامةالمتوسطة (163) والرأس المتوسطة (73 – 76) والأنف المتوسط (77)، ويطلق اسم الدرافيدي على العنصر الرئيسي من سكان الدكن في جنوب الهند ، وقد وصل الدرافديون سنة 200ق.م عن طريق البر عبر بلوخستان أو عن طريق البحر عبر المحيط الهندي .

وفي سيلان تنتشر جماعات الفدا وهم ينتمون إلى جماعات ما قبل الدرافديون وصفاتهم السلالية : الشعر الطويل الأسود الخشن الممـوج أو شديد التجعيد ، والبشرة السمراء الغامقة ، القامة القصيرة (153) والرأس شديدة الطول ، ويرى الباحثون أن رأس الفدا أصغر الرؤوس البشرية حيث تبلغ النسبة الرأسية حوالي (70.5) بالإضافة إلى الجبهة المتقهقرة والوجه العريض والشفاه الرقيقة والأنف عريض الفتحة .

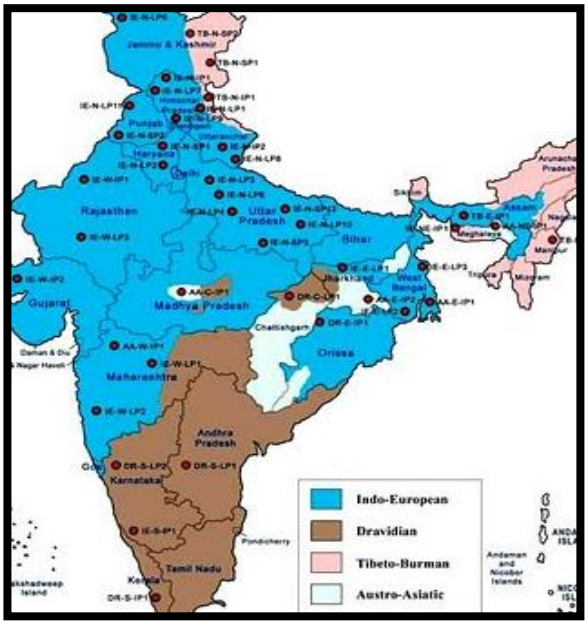

وعلى الساحل اختلط الفدا ببعض العناصر الأخرى حيث أصبحوا أطول قامة وأعرض رأسا من الأصليين ويمثلهم التاميل المستقرون بالقسم الشمالي من سيلان وهم يشبهون سكان جنوب الهند .

أما في سهول الهند ينتشر الآريون منذ الألف الثانية ق.م ، ومن هذه العناصر الجات والجبوت ذو الصفات التالية : لون البشرة أسمر خفيف ، القامة الطويلة (70 – 175) ، والوجه الطويل ضيق ، الأنف بارز مستقيم طويل ، وهناك جماعات الشودا والخاتيرى ولايختلفوا عن سابقيهم إلا في طول القامة (166) ، وقد دخلت هذه العناصر إلى الهند عن طريق الممر الشمالي الغربي .

ويسود العنصر الهندي الأفغاني بسهول هندوستان وهذا العناصر طويل الرأس ضيق الأنف وقد اختلطت هذه العناصر بأخرى وافدة من الشمال الغربي والتي اكتسبت منه الهند الصفات القوقازية في حين تظهر الصفات المغولية في شمال شرقي الهند ويتفق ذلك مع الوضع الجغرافي لشبه القارة الهندية .

وبجبال الهملايا توجد ثلاث مجموعات سلالية تنتمي للجنس الهندي الأفغاني تتصف ببياض البشرة وضيق الأنف والرأس المتوسط والمجموعة الثانية تحمل دماء الدرافديين أما المجموعة الأخيرة فتحمل الصفات المغولية وتتوزع هذه الجماعات جغرافياً مع النظام العام لتوزيع المجموعات الأخرى بالهند فالجماعات التي تنتمي إلى العنصر الهندي الافغاني تسكن السفوح الجنوبية للهند تجاه الغرب أي بالقرب من منفذ وفودها غرباً مثل جماعات البالتي والكانت ، أما الجماعات التي تحمل الصفات المغولية فتقع في سفوح الهمالايا الجنوبية الغربية حيث الاتصال المغولي ومنها جماعات البوتيا والمودمي والليمبو وتتركز هذه الجماعات في نيبال وكلها جماعات يغلب عليها الطابع المغولي (الرأس العريض + 80 ، الأنف العريض 75 ، القامة المتوسطة 160سم) .

. جنوب شرقى آسيا :

يحتوي ذلك الإقليم على عدة وحدات جغرافية متسعة مثل شبه جزيرة الملايو والهند الصينية ثم جزر الهند الشرقية ، ويحتوي ذلك الإقليم على ثلاثة مجموعات سلالية وهي النجريتو Negrito ثم النزيوت Nesion (الأندونسيون) وأخيرا الباروان Pareoan وهم المغول الجنوبيون .

أما عن النجريتو أو الأقزام الآسيويون ذو الشعر الأسود النادر على الوجه والجسم والبشرة السوداء ، القامة القصيرة (145 – 150سم) ، الرأس العريض (80 – 83) ، الوجه العريض الشفاه الغليظة غير المقلوبة ، الأنف العريض . ومن أهم عناصر النجريتو سكان جزر الإندمان وجماعات السيمانج في وسط شبه جزيرة الملايو وشرق سومطرة .

والنزيوت أو الأندنيسيون فيوصفوا بالشعرالأسود المموج والبشرة السمراء الخفيفة والقامة القصيرة (154 – 157سم) ، الرأس المتوسط (76 – 78)عظام الوجنات بارزة الأنف المفرطح وأحيانا محدب (البابوان) ، وتنتشر هذه الجماعة في مناطق العزلة الجبلية في تلال آسام ومنهم جماعة المويس والناجا .

أما عن المغول الجنوبيين أو الباروان فقد وفدوا من جنوب الصين

وخاصة من منابع اليانجتسي ويمثلهم جماعات الثاي ، السياميين واللاؤ في كمبوديا وسكان بورما ، ويتصفوا بالشعر الأسود والبشرة الصفراء أو الزيتونية و النحاسية ، القامة القصيرة (160) الراس العريض (80 – 85) وجه عريض ، عظام الوجنات بارزة ، أنف قصير مفرطح ، والعين المغولية ذات الثنية المعروفة بهم .

. منخفضات آسيا الشمالية

وتشتمل على القسم الغربي من سهول سيبريا وتتلاقى هنا السهول الآسيوية والأوروبية وينقسم سكان هذه السهول إلى مجموعتين ، الأولى رعوية متنقلة والأخرى زراعية مستقرة ، وتتحدث هذه الجماعات اللغة التتارية فيما عدا الجزء الجنوبي الشرقي حيث تسود اللغات الهندأوربية ، ومن هذه الجماعات الرعوية القرغيز الذين يسكنون سهول سيبريا وينتشرون حتى جبال التاي ، أما الجماعات الزراعية المستقرة الأزبك في سمرقند وبخارى وطقشند.

والصفات السلالية لهذه الجماعات : توسط القامة (163 – 165) ، ويتدرج لون البشرة مابين الأصفر والأسمر الفاتح والأبيض ، والشعر ما بين المستقيم والمموج لونه قاتم ، تنتشر بينهم العيون الملونة ، والرأس العريض وإن كانت هناك بعض التفاوتات في شكل الرأس ،وتشكل مجموعة البحر المتوسط القزويني حوالي 75% من جملة سكان هذا الإقليم.

وكانت سيبريا موطنا لمجموعتين الأولى قديمة مثل الكورياك ، الإينو ، الجلياك ... أما السيبيريون المحدثون فيشتملوا على الساموید ، الأوستياك ، القرغيز ، الياقوت ....

وإن كان هذا التقسيم يرتكز على أساس اجتماعياً وليس سلالياً إلا أنها طريقة تسهل تصنيف هذه المجموعات جغرافياً حيث تنتشر المجموعة الأولى

في الجزء الشمالي الشرقي لآسيا حول خط عرض 60^{5} ش ، من نهر لينا حتى مضيق بيرنج ، أما المجموعة الثانية فتشمل بقية سيبريا إلى الغرب من نهر لينا .

وتتنوع الصفات السلالية لهذه المجموعات من توسط القامة (160) ، الرأس العريض وإن كانت بينهم الرأس الطويل (الكورياك) ، أما قبائل التانجوس فيتصفوا بقصر القامة (154 – 158) ، الرأس العريض ، لون الشعر الأسود .

الساموييد : يتصفوا بقصر القامة (154) ، البشرة القاتمة ، العين المغولية ، الرأس العريض، وينتشر الساموييد بين البحر الأبيض الروسي حتى مصب نهر ينسي .

. الصين :

تمثل الصين إحدى المركز الحضارية القديمة في الشرق الأقصى حيث بدأت الحضارة الزراعية حوالي (2000ق.م) وبصفة خاصة شمال مقاطعة كانشو حيث اكتشفت بعض الهياكل البشرية التى تنتمي إلى مجموعة البشرة البيضاء الآسيوية ذات الرأس المتوسط والأنف الضيق ، عظام الوجنات بارزة ، وتنتمي هذه المجموعة إلى الصينيين الشماليين ، أما في جنوب الصين فكانت هناك مجموعات أقدم ذات رأس طويل وأنف ضيق طويل ، القامة المتوسطة ، والوجه المستدير ، لون البشرة الفاتح .

ونتيجة للاختلاط في العصور التاريخية بعناصر (الترك ، التنجوس ، المغول ، المانشو) تغيرت الصفات الصينية القديمة حيث نجد الصيني الشمالي ذو رأس عريضة ، قامة متوسطة وجنوب الصين البشرة الصفراء الغامقة والرأس العريضة ، والأنف العريض والقامة القصيرة .

. منشوريا :

كان التنجوس هم العنصر السائد وإن اختلطوا حديثا بالصينيين ، والمانشو أطول قامة وأنحف عودا ورأسهم عريض وأنف ضيق نسبيا .

اليابان :

يمثل الأينو السكان الأصليون لليابان وهم صيادون مهرة ،وكانوا يحتلون الشريط الساحلي ثم انتقلوا شرقا حيث استقروا في سلسلة الجزر الممتدة من كوريل حتى ريوكيو ومن المحتمل أن تكون هذه الجزر قد اتصلت باليابسة الآسيوية إبان البلايستوسين .

أما سكان اليابان الحاليون فنسبتهم الرأسية (81)، الأنفية (73)، القامة (162سم) وينقسموا إلى قسمين : الأول ينحدر من جنس ما قبل الملايووهم قصار القامة ، ضخام الجسم ، عريضي الوجه ، أنف قصير مقعر ، عين مغولية ، بشرة داكنة ، أما المجموعة الثانية وهي أطول قامة وأنحف عود ذات وجه مستطيل وأنف بارز وعين مستقيمة وبشرة فاتحة .

ثانياً

السلالات البشرية
فى قارة أوروبا

يقترب شكل أوروبا من شبه الجزيرة ولذلك اعتبرها الباحثون محطة نهائيا للمجموعات البشرية التى تحركت طوال العصور التاريخية السابقة وقد ساعد على ذلك المسارات والمنافذ التى تربط أوروبا بقارتى أفريقيا

وآسيا سواء طريق البحر المتوسط والذى يمكن للجماعات البشرية أن تسلكه إلى أوروبا عبر بوغاز جبل طارق أو طريق تونس صقلية وأيضا عبر جزر بحر إيجه وكانت تلك الطرق هى التى استخدمتها مجموعة البحر المتوسط فى وصولها إلى الجزء الجنوبى لأوروبا وانتشرت شمالا حتى الجزر البريطانية .

وتتعدد كذلك المنافذ البرية التى تربط أوروبا بآسيا سواء عن طريق السهول الداخلية كالسهل المحصور بين جبال أورال وبحر قزوين والتى استخدمته الجماعات البشرية التى عمرت شمالى أوروبا أو السهول الداخلية والذى كانت هدفاً لمجموعة البحر المتوسط بالإضافة إلى المرتفات الوسطى

عبر هضبة الأناضول ثم مرتفعات البلقان حتى جبال الألب وكانت هذه المرتفعات هدفاً للمجموعة الألبية .

وفى العصور التاريخية السابقة كانت تنتشر بأوروبا مجموعات من الشعوب أطلق عليها الجنس الآرى وهو تعبيرلغوى وثقافى وليس تعبيرا سلالليا ، كانت تتوزع بين جبال الكربات فى البلقان غربا حتى جبال هندكوش بوسط آسيا فى الشرق ، وكانوا يتكلمون لغة واحدة هى اللغة الآرية أو الهندية الأوروبية واتسمت صفاتهم السلالية بالتشابه .

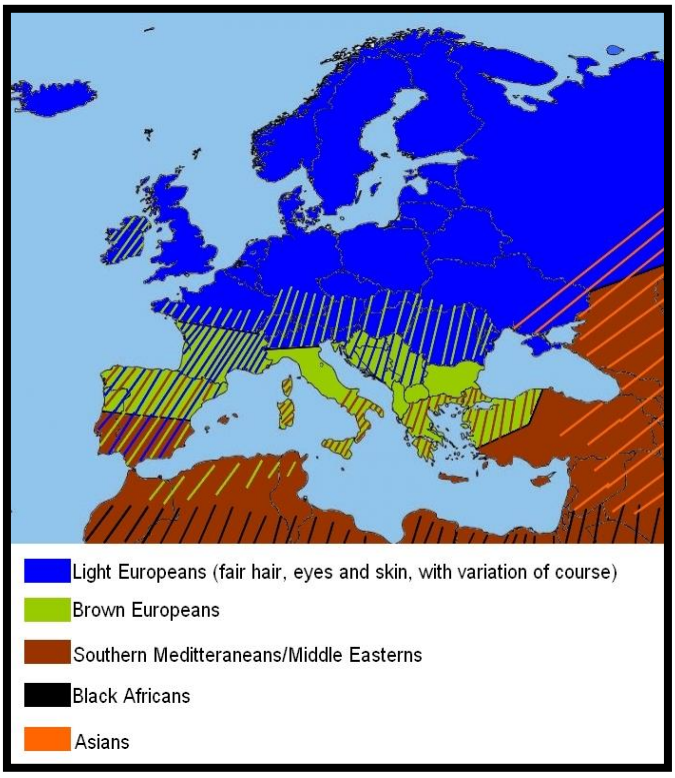

وقد انتشرت المجموعات الآرية شرقاً وغرباً وأندمجت عناصرها مع كثير من المجموعات الأخرى ففقدت سماتها الجنسية ولم يعد هناك مايطلق عليه الجنس الآرى وإن احتفظت بلغتها وثقافتها التى فرضتها على العناصر المختلطة بها فانتشرت هذه الثقافة فى أجزاء كثيرة بآسيا وأوروبا .

وتتباين الاتجاهات حول الصفات السلالية للآريين القدامى فهناك ثلاثة أراء:

أ- كانوا طوال القامة شقر الشعر بيض البشرة زرق العيون ويمثلهم حاليا التيتون والنورديون .

ب- قصار القامة سمر البشرة عريض الرأس ،ويمثلهم الكلت والسلاف .

ج- عناصر جنسية متباينة الصفات ارتبطت ببعضها برباط ثقافى ولغوى ، ويعد ذلك الرأى أقرب إلى الحقيقة حيث جمعت العناصر الآرية القديمة صفات سلالية متعددة حسب إقليمها الجغرافى الشاسع فيما بين وسط آسيا حتى غرب أوروبا فكان من الطبيعى أن تتباين أيضا صفاتهم السلالية مع التباين الجغرافى ، وإن ربطت بينهم اللغة الآرية .

وقد عمرت ثلاثة مجموعة سلالية كبرى وهى مجموعة البحر المتوسط ، والمجموعة الألبية وأخيرا المجموعة الشمالية ، وذلك تقسم جغرافية يتفق مع طريق تعمير القارة عبر تاريخها ، ويوجد فى أوروبا حاليا عناصر مغولية فى جهاتها الشرقية والشمالية ، ففى الشرق الكالموك غرب مصب الفولجا ، وفى الشمال اللاب والساموید فى اسكندیناوه بالإضافة لبعض العناصر الأخرى التى هاجرت من شرقى آسيا إلى شمال شرق أوروبا متخذة فى وصولها طريق سهول التندرا.

1- مجموعة البحر المتوسط :

دخلت هذه المجموعة أوروبا خلال الألف الخامسة قبل الميلاد وصفاتهم السلالية الشعر الأسود المموج أالمجمد ، البشرة البيضاء القامة المتوسطة (161سم) ، القوام النحيف الرأس الطويل (73-76)، الوجه الضيق ،الألف المستقيم الضيق ، العيون الضيقة.

وتركزت هذه المجموعة خلال العصر الحديث فى غرب البحر المتوسط وقد انتشرت منه خلال ذلك العصر شرقا حتى جزر بحر إيجه وارتبطت بهذه المجموعة مسميات قديمة مثل الأيبيرى – الليجورى .

أما توزيعه حاليا يقتصر على شبه جزيرة أيبريا وجزر الحوض الغربى من البحر المتوسط وجنوبى فرنسا وجنوب إيطاليا وجزر اليونان وأجزاء من الجزر البريطانية ، ويرى الباحثون أن العناصر الموجودة حاليا فى جزيرتى سردينيا – كورسيكا هى أنقى عناصر البحر المتوسط حيث لعبت العزلة دوراً مهماً فى منع اختلاطه بغيره من العناصر منذ العصور الجليدية ، ويعتبر سكان الجزيرتين أقصر سكان أوروبا .

2– المجموعة الألبية :

سلكت هذه المجموعة فى أثناء دخولها أوروبا خلال الألف الثالثة قبل الميلاد طريقين ، أولهما طريق جبال البلقان والكربات والألب ومنها توزعت فى بقية أوروبا ،أما الطريق الآخر فكانت الثغرة التى بين جبال أورال وبحر قزوين ثم إلى جبال الألب ، وقد توافدت هذه الجماعات إلى أوروبا عبر موجات متتابعة تكاتفت خلال الألف الثانية ق.م، وقد أكتسبت هذه المجموعة اسمها من جبال الألب، والتى كانت بمثابة المركز الذى توزعت منه هذه المجموعة إلى سائر أنحاء أوروبا وتصنف المجموعة ذات الرؤوس العريضة فى أوروبا تحت الجنس الألبى والذى ينتشر فوق الهضاب والجبال من الهيملايا فآسيا الصغرى ثم البلقان حتى السلاسل الألبية بوسط أوروبا .

وتقسم المجموعة الألبية إلى قسمين :

(أ)**الألبى الكرباتى :** تنتشر هذه المجموعة فى هضبة فرنسا الوسطى وجبال السفن والأردن والفوج والجورا وجبال الألب ثم جمهوريتى التشيك والسلوفاك

وشبه جزيرة البلقان وروسيا ، ويطلق على القسم الغربى من هذه المجموعة (غربى البلقان) اسم الأفيرنات أما القسم الشرقى منها يطلق عليه اسم الصقالبة ويوجد فى الإقليم الواقع جنوب بحر البلطيق وبولندا وسيليزيا العليا وسكسونيا شعبة من هذه المجموعة عريضة الرأس وإن انتشرت بها صفات الشقرة بالإضافة إلى نوسط القامة (163) وتعرف هذه المجموعة باسم الجنس الشرقى وتمثل نتيجة اختلاط الألبيون بالنورد.

والصفات السلالية للألبى الكرباتى لون البشرة أسمر كستنائى الشعر الأسود القامة المتوسطة (163)القوام العريض ، الرأس شديد العرض (85-87) ، الوجه العريض ، الأنف الضيق ، العيون العسلية .

(ب) **الألبى الدينارى :** تعد ثانى مجموعة بشرية تدخل أوروبا من حيث الترتيب

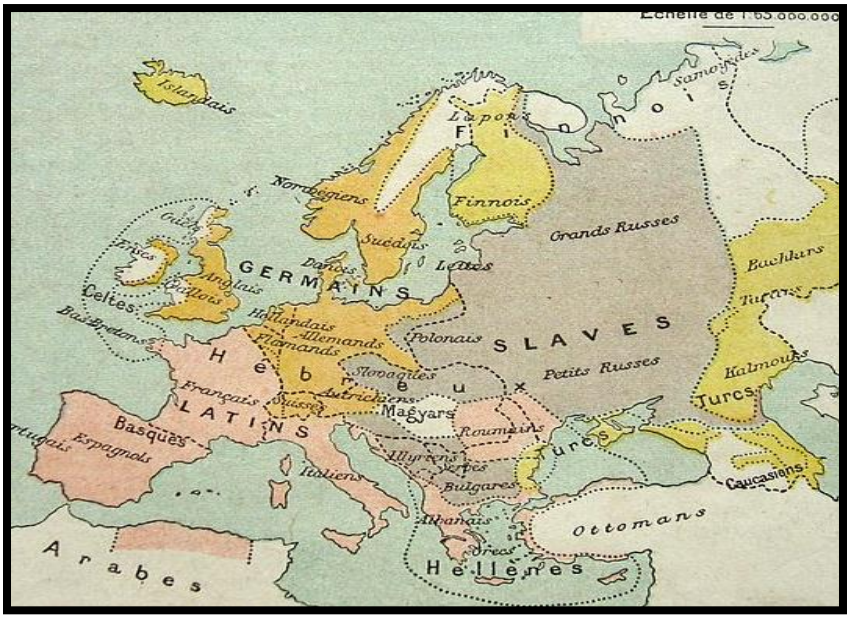

الزمنى حيث سبقتها مجموعة البحر المتوسط وقد اختلطت بها سلاليا وتأثرتا

ببعضهم البعض وأيضا اختلطت بالمجموعة الشمالية والتى وفدت إلى أوروبا لاحقا ، ولما كانت صفة الرأس العريض هى التى تسود عند عملية الاختلاط فأدى ذلك إلى وجود عدم تجانس بين السكان فهناك الرأس العريض مع الوجه الطويل في أجزاء كثيرة من وسط أوروبا خاصة في ألمانيا .

ويطلق أحيانا على المجموعة الألبية الدينارية اسم الأدرياتي وتنتشر هذه المجموعة من جبال الكربات غرباً إلى جبال الألب الدينارية وغربى اليونان فى الشرق ، أما صفاتهم السلالية الشعر الأسمر أو الأسود ، القامة الطويلة (168– 172) الرأس العريض (85 – 86) الوجه المستطيل ، الأنف الضيق المستقيم وقد أطلق خطأ على هذه المجموعة اسم الكلت وتشبه تماما لفظ الآري في كونها تعبيرات لغوية وثقافية وليست سلالية يختص بها جنس معين .

(3) المجموعة الشمالية :

تنتشر هذه المجموعات فى شمالى أوروبا بشبه جزيرة إسكيندناوه وشمالى ألمانيا وهولندا وبلجيكا ثم شمال فرنسا والجزر البريطانية واتجهت منها شعبة شكلت الأساس السلالى لجمهوريات البلطيق (لاتفيا ،استونيا ،ليتوانيا) ، وكانت هذه المجموعة في المراحل التاريخية السابقة تتركز بإقليمين الأول منطقة الاستبس في غربي آسيا وجنوب روسيا بين نهر الفولجا وبحر آرال وتعرف هذه المجموعة باسم الجنس الشمالي الأول Proto – Nordic أي أسلاف النورديين.

الإقليم التاريخي الثاني لهذه المجموعة تركز حول بحر البلطيق ولم يكتسب الجنس النوردي هنا أي صفات جديدة بل ثبتت صفاته وظهرت بشكل أوضح والتي أهمها على الإطلاق الشقرة .

تعد هذه المجموعة أحدث الجماعات البشرية الوافدة إلى أوروبا وقد سلكت أثناء دخولها طريق السهول الشمالية متتبعة مجاري الأنهار (الأودر – الألب – الراين) ومنها انتشرت إلى سائر أجزاء القارة ، وكانت هذه المجموعات تتحاشى الطرق الجبلية مستغلة الممرات في العبور والتنقل ، ولما كانت الجبال والالتواءات الحديثة تعتبر بصفة عامة حاجزا طبيعيا بين أوروبا الجنوبية وشمالها فإن الأثر النوردي يبدو ضعيفا في جنوب القارة ، ويطلق أحيانا على المجموعة الشمالية اسم التيوتوني وأيضا هذه التسمية ثقافية لغوية شأنها في ذلك الآرية – الكلتية .

أما الصفات السلالية لهذه المجموعة الشعر الممووج ، لون الشعر الأصفر أو الأسمر الفاتح أو الأحمر والبشرة البيضاء المشربة بحمرة ، القامة الطويلة (173) ، الرأس الطويلة (76–79) ، الأنف البارز الضيق المستقيم ، الذقن البارز ، العيون الملونة.

أما من الناحية الثقافية واللغوية فتسود أوروبا عموما ثلاث مجموعات لغوية كبرى هي :

1– اللغة اللاتينية : يتكلم بها سكان ايطاليا ، اسبانيا ، فرنسا ، كورسيكا ، سردينيا .

2– اللغة السلافية : يتحدث بها سكان شرق أوروبا مثل سكان يوغسلافيا السابقة وبولندا وبلغاريا ورومانيا.

3– اللغة التيوتونية : تنتشر في ألمانيا والسويد والنرويج والدنمارك

وهولندا وشمالي بلجيكا .

وقد حدث خلط كثير بين هذه المجموعات اللغوية ذات الثقافات المتباينة بين التصنيف السلالي لأوروبا مما أحدث نوعا من الالتباس والغموض ساد فترة طويلة ، إلى أن ساد التقسيم السلالي على ضوء المعايير الجنسية كما اتضح من التقسيم السابق بتصنيف أوروبا إلى ثلاثة مجموعات رئيسة (البحر المتوسط – الألبية – المجموعة الشمالية) ، وإن كان للاختلاط دوراً في انتقال الصفات السلالية بين المجموعات الثلاث .

ثالثاً
السلالات البشرية
في قارة أفريقيا

يتسم توزيع المجموعات البشرية في أفريقيا بارتباطه بالأقاليم المناخية ففى المناخ الاستوائى بحوض الكنغو وساحل غانا حيث موطن الزنوج ثم الإقليم شبه الاستوائى والمدارى حيث ينتشر جماعات من الزنوج أو المتزنجين أما فى شمالى وجنوب القارة تنتشر جماعات بيضاء فى مناخ البحر المتوسط .

أما الصحراء الكبرى التى تكون نطاقاً صحراويا متصلاً من ساحل الأطلسى غرباً حتى الخليج العربى شرقاً ، فكانت بمثابة الحاجز البشرى بين الشمال والجنوب يفصل شمال أفريقيا بتأثيره القوقازى عن أفريقيا الزنجية ، فالجنس القوقازى يسود شمال وشرقى القارة ، والجنس الزنجى بوسط أفريقيا ثم بين القسمين منطقة اختلاط تشغلها جماعات تسود في بعضها الدماء الزنجية وتسود في أخرى دماء قوقازية حسب درجة الاختلاط وكثافته .

وتمتلك أفريقيا ثلاثة مسارب خارجية عن طريقها استقبلت وأرسلت المجموعات البشرية وأولى هذه المسارب برزخ السويس والذي استخدم كباب لدخول أفريقيا وإن كان في عصر متأخر أي بعد تعمير القارة بأجناسها الرئيسة ، حيث كان هذا الممر قديماً غير ملائم لمرور الهجرات بسبب كثرة المستنقعات في مناطق البرزخ وشمالى الدلتا المصرية ، ولهذا لم يكن لهذا المعبر دور أساسي في تعمير القارة .

والطريق الثاني بوغاز جبل طارق فكان أضيق من الآن بحيث لم يزد اتساعه عن أربعة أميال ، وبالرغم من ذلك إلا أنه لم يستخدم إلا في فترة متأخرة نسبيا حيث خرجت منه جماعات أفريقية إلى أوروبا ولم يستخدمه سوى الوندال والوندال في القرن الخامس الميلادي ثم العرب خلال تخليهم

عن أسبانيا في أواخر القرن العاشر ، ويتشابه دوره مع بوغاز السويس من حيث درجة الأهمية.

أما الطريق الثالث فهو الأول من حيث الأهمية وهو بوغاز باب المندب والذي دخلت منه معظم الموجات البشرية إلى أفريقيا منذ أقدم العصور حيث كان عبورها سهلا بسبب ضيقه ، وما يرجح دخول الأجناس البشرية إلى أفريقيا عبر باب المندب بافتراض الموطن الاصلي للإنسان في جنوب غربى آسيا ووجود أقدم المجموعات البشرية بافريقيا كالبشمن ثم الزنوج.

وتتركز المجموعات القديمة بأفريقيا حاليا فى الأطراف الغربية والجنوبية للقارة حيث اتخذت من هذه المواضع أماكن عزلة وملجأً بسبب ضغط العناصر القوية الآتية من الشرق .

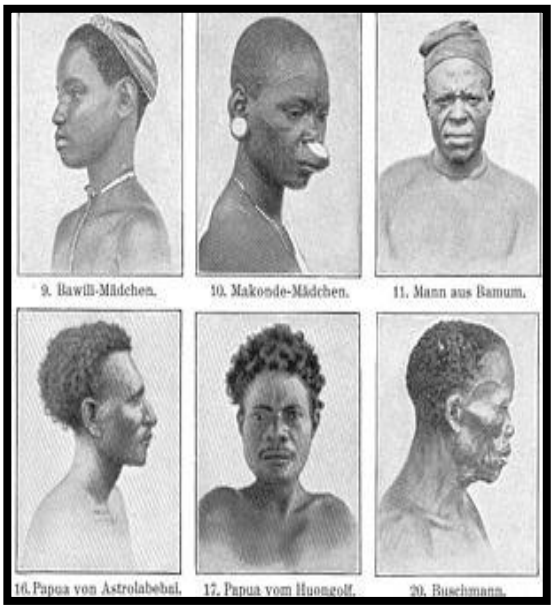

أقدم أجناس أفريقيا

نماذج من السلالة الزنجية

ويعتبر البشمن أقدم الجماعات البشرية في أفريقيا وكانوا منتشرين في أجزاء كثيرة في أفريقيا خاصة وسط وشرق القارة ثم اضطروا للتقهقر جنوبا وغربا تحت ضغط البانتو ، أما الأقزام فهم أيضا من

ثم ما لبث أن تقهقروا وانعزلوا في غابات الكنغو أمام ضغط البانتو أيضا .

وبعد ذلك دخل الزنوج أفريقيا ويحتمل أن تكون الصفات السلالية الزنجية الحالية لم يتم تكوينها إلا في قارة أفريقيا نفسها والصفات الزنجية الشعر المفلفل الفك البارز البشرة السوداء التي اكتسبها الزنوج في البيئة الأفريقية وكان القرن الأفريقي الموطأ الأول للزنوج ثم تحركوا منه داخل القارة ولم يتوغلوا شمالاً وكان أقصى أمتداد لهم فى جبال تبيستى وجنوب النوبة ، ثم دخل إفريقيا نوع أخر من الزنوج يعرف باسم زنوج البانتو وانتشر فى إفريقيا جنوبى خط الأستواء فأصبح فى إفريقيا نوعان من الزنوج البانتو – الزنوج السودانيون).

أما الجنس القوقازى فدخل إليها العنصر الحامى عن طريق باب المندب واستقروا فى القرن الأفريقى طاردين الزنوج منها إلى داخل أفريقيا وإن كان هناك اختلاط بين العنصرين ، وقد اتجه الحاميون إلى شمالى أفريقيا متتبعين ساحل البحر الأحمر فاخترقوا حوض النيل الأزرق والعطبرة ووصلوا إلى حوض النيل الأدنى ومنه إلى شمال أفريقيا .

على ذلك تقسم أفريقيا سلاليا إلى قسمين أساسيين القسم القوقازى فى الشمال والزنجى جنوبا ، ويمكن تحديد خط وهمى يفصل بين المجموعتين يبدأ من مصب نهر السنغال فى الغرب عند خط عرض 16 ^{5}ش إلى انحناء النيجر ثم بحيرة تشاد ثم يستمر فى الاتجاه شرقاً ثم يميل نحو الجنوب حتى يصل إلى أعالى بحر العرب وبذلك يحف الخط بدائرة عرض 8^{5}ش ، وإذا اقتربنا من منطقة السدود والمستنقعات ينحرف الخط شمالاً حتى دائرة عرض 10^{5}ش حيث يدور حول جبال النوبا ويستمر فى الاتجاه شمالاً حتى دائرة

عـرض12 [5]ش ويسـلك الاتجـاه الشـرقى إلـى حـوض النيـل الأزرق وحـدود هضبة الحبشة ثم ينحرف جنوبا إلى بحيرة زودلف ثم ساحل المحيط الهادى.

شمالى إفريقيا :

تمثل المجموعة الحامية أو الأثيوبية ذات البشرة السمراء والشعر الناعم والتقاطيع المتعدلة القاعدة الأساسية لسكان شمال أفريقيا وتتلوها طبقة أخرى من مجموعة البحر المتوسط ذات البشرة البيضاء ، وتبدو الرأس العريضة فى جنوب

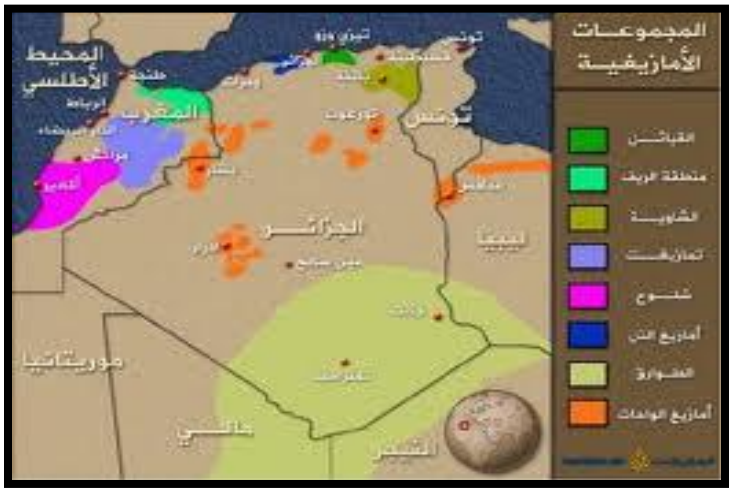

وشرقى تونس ويرجع تاريخ الرأس العريض إلى العصر الحجرى الأوسط وهم مايعرفوا باسم الباحثون عن المعدن جسب تعبير "فلير "حيث اعتبرهم جماعة تجارية جابت السواحل باحثة عن النحاس والقصدير وربما عن الذهب بصفة خاصة ، ويبدو أن هذه الجماعة خليط قديم من سكان البحر المتوسط وسكان آسيا الصغرى ، ويمثل هذه الجماعة حاليا سكان السواحل الجنوبية لأوروبا .

ويسود البربر شمالى إفريقيا وينحدر هؤلاء من مجموعة الشعوب التى كانت تعرف قديما باسم الليبيين ويعد القبائل نموذجا للبربر الحقيقيين ذوى البشرة الفاتحة والشعر الأسود والعيون الملونة أحيانا ويذكر "سيلجمان" أنه نتيجة

لصفات الشقرة بينهم يعتقد من يرى أولادهم فى سن الـ (15–16) أنهم أوروبيون ، ويرى العديد من العلماء أنهم وافدون من أسبانيا حيثث الأصول القوطية ، ويرى البعض أن هؤلاء هم أجداد النورديين وكانوا إحدى الجماعات الآسيوية التى غزت مصر بعد سنة 1300ق.م، ثم تحركت غربا ولكن التساؤل هنا هو لماذا لم تترك صفات الشقرة فى مصر أولا قبل تحركها غربا .

واستقر الفينيقيون فى الألف الثانية ق.م على سواحل تونس مؤسسين قرطاجنة (288ق.م) ويبدو أن تأثيرهم السلالى كان ضعيفا بشمال أفريقيا ، كانت للمستعمرات اليونانية والرومانية أثرها السلالى الطفيف فى المستعمرات التى أنشأتها وبصفة خاصة فى المدن ، وقد فتح العرب شمال أفريقيا ولم يحدثوا أثراً سلالياً كبيراً حيث كان شمال أفريقيا شديد التبربر من الناحية السلالية .

ويميز سليجمان ثلاث مجموعات سلالية فى شمال أفريقيا :

- **المجموعة الأولى:** ذات النسبة الرأسية (72– 73) ، توسط القامة (16205)، الوجه عريض ، عظام الوجنات بارزة ، الأنف متوسط ، الشفاة ممتلئة ، العيون سوداء وتوجد هذه المجموعة بوسط تونس وبولاية قسنطينة وجنوبى الجزائر .
- **المجموعة الثانية :** مستطيلة الرأس (74–75)، طويلة القامة (16705) ، عظام الحاجبين بارزة ،الجبهة المستديرة ، الأنف طويل ضيق ، وتسود هذه الجماعة فى وسط تونس وينتشرون فى الجزائر ويقتصر وجودهم فى المناطق الداخلية .

- **المجموعة الثالثة :** عريضة الرأس (80–90)،القامة قصيرة (أقل من 16205) الوجه عريض ، الجبهة مستديرة ، الأنف القصير العريض ، وتنتشر هذه المجموعة فى طرابلس وجزيرة جربا بتونس وتظهر أيضا فى المناطق الداخلية للجزائر ومراكش .

شرق أفريقيا :

يحتوى ذلك الإقليم على كينيا وأوغندا وتنزانيا حتى موزمبيق وزيمبابوى ، ويمثل أجداد البشمن أقدم جنس سكن هذا الإقليم ، وقد وفدت إلى هذا الإقليم هجرات حامية قديمة فاختلطت بأجداد البشمن ونقلت إليهم بعض العادات الحضارية من تربية الماشية وغيرها ، وقد نشأ عن هذا الخليط مايعرف حاليا باسم الهتنتوت

وقد تحرك أجداد البشمن والهتنتوت نحو الجنوب الغربى أمام دفع العناصر الأقوى منهم التى كانت تفد باستمرار إلى منطقة القرن الأفريقى ويمكن اعتبار جماعة الباديا بكينيا من بقايا البشمن والهتنتوت ، ثم وفد إلى شرق إفريقيا زنوج البانتو المتحدثين بلغة البانتو والفروق بين الزنوج فروق لغوية ويرى"هادون" أن زنوج البانتو تأثروا بعناصر حامية تبدو فى دمائهم خاصة تقاطيعهم المعتدلة الرقيقة نوعا ويستشهد هادون أيضا بالحرفة السائدة هنا وهي راعي الماشية وهي حرفة حامية وليست زنجية.

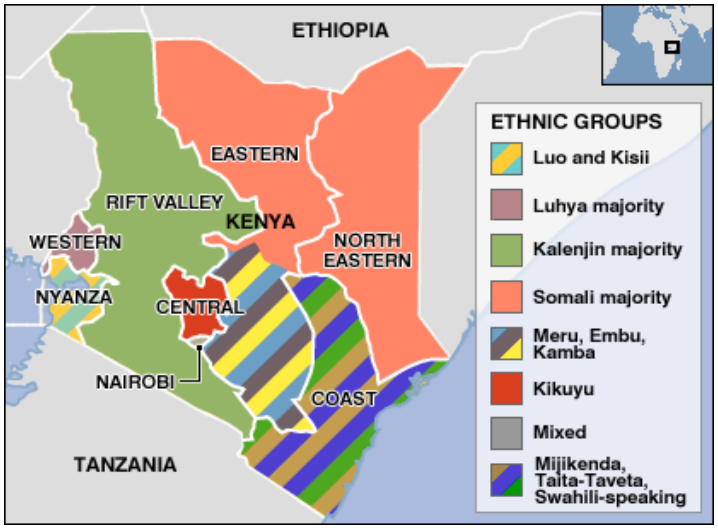

ساعد في تخفيف الدماء الزنجية في شرقى أفريقيا الأثر العربي الذي انتقل إليها خلال القرن التاسع والعاشر عن طريق التجار العرب ولكن على الرغم ذلك ما تزال الصفات الزنجية هي السائدة، ومن العناصر الزنجية أيضا في شرق أفريقيا النيليون وهم خليط زنجي حامي واستقروا شمال شرقى بحيرة فيكتوريا ويمثلهم جماعة الجالو حاليا .

وقد حدث اختلاط بين النيليين في شرق أفريقيا وبين جماعة الجالا الحامية وقد نتج عن ذلك أنصاف الحاميين ومنهم قبائل اللمبوا المنتشرة حول جبال الجون وقبائل الماساي المنتشرين حول بحيرة رودلف ، وهذه قبائل رعوية وترجح نسبة الدماء الحامي على الدماء الزنجي ، ويتصفون بطول القامة ونحافة العود ، التقاطيع المنتظمة ، الأنف بارز ضيق ،وتظهر بعض الصفات الزنجية المخففة .

أما جزيرة مدغشقر فقد كان أقدم سكانها أقزاما ينتسبون إلى أقزام آسيا الجريتو وليس أقزام أفريقيا النجريللو ثم وفد إليهم مع العصر التاريخي بعض

الجماعات السمراء من أندونيسيا وتلى ذلك تعميرها بواسطة مجموعات زنجية خليط من إفريقيا واستقروا إلى ساحل الجزيرة الغربي ثم شقوا طريقهم إلى الداخل مع دفع الشعب الأسمر أمامهم ، ثم وفدت عناصر عربية إلى

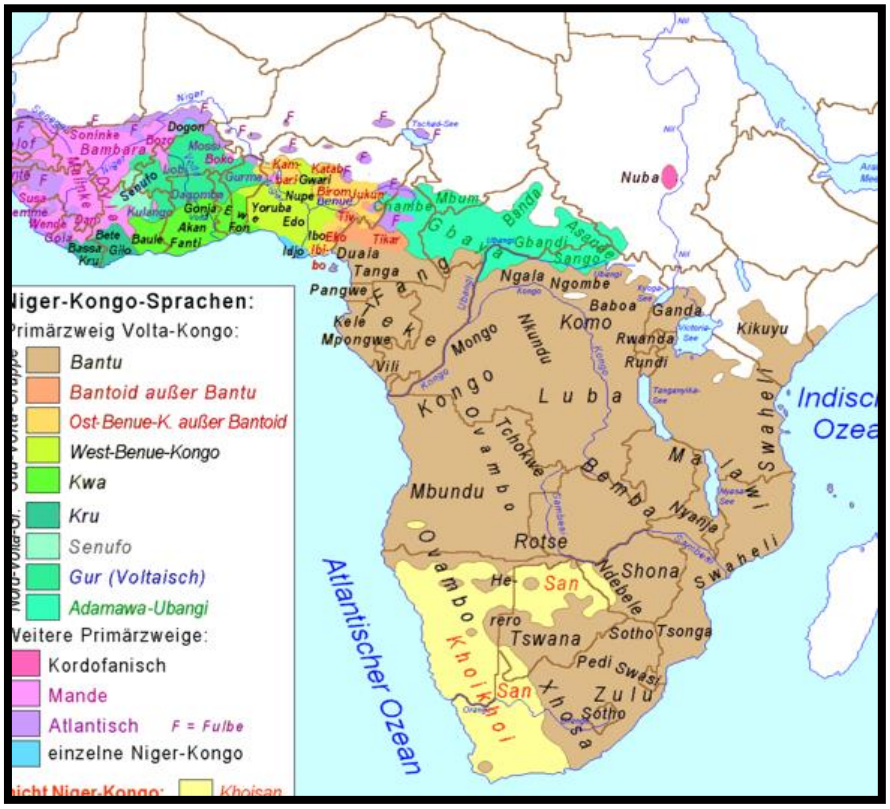

الجزيرة وقد تأسست عدة مراكز عربية على ساحل الجزيرة الشرقي خاصة فيما بين القرنين الثامن والحادي عشر ، وتأثرت مدغشقر خاصة في طرفها الجنوبي بهجرات هندية وخاصة المجموعات المعروفة حاليا باسم الهوفا وقد وفدت هذه الجماعات منذ أربعة قرون وقد أصبحوا الشعب السائد في الجزيرة

وسط أفريقيا :تنتشر المجموعات الزنجية في أفريقيا جنوب الصحراء وتمتد حتى أقصى جنوبى القارة ، ويحتوي ذلك الإقليم على عدة مجموعات النجريللو (أقزام إفريقيا) الزنوج الحقيقيون (الزنوج السودانيون والنيليون (زنوج ذو دماء حامية) وأخيرا البانتو (المتحدثين بلغة البانتو) .

يعيش أقزام أفريقيا (النجريللو) في جماعات متفرقة ومستقلة بعضها عن البعض في منطقة الغابات الاستوائية خاصة في الكونغو ، ويحيط بهم

(المجموعات السلالية الكبرى فى أفريقيا جنوبى الصحراء)

الزنوج وهناك اختلاط بين الجنسين ، وصفاتهم السلالية : (الشعر المفلفل ، شعر الوجه قليل ، لون البشرة السوداء أو النحاسي ، القامة القصيرة (136-142) ، وبروز الفك السفلي ، الشفة العليا ممتلئة وليست مقلوبة ، الذق ضيق وصغير، الأنف عريض) .

ويعد الأقزام بقايا من جنس زنجي قديم كان يستقر بأفريقيا الاستوائية وانتشرة من جنوب الصحراء حتى خط تقسيم المياه بين الكنغو والزمبيزى ومن الساحل الشرقى حتى الساحل الغربى والدليل على ذلك وجود بقايا قزمية بجبل الجون شرقى أوغندا، ولكن انحصرت هذه المجموعة حالياً فى

حوض الكنغو ، وينتشرون شرقاً حتى حدود أوغندا ، وأيضا جهة الشمال الشرقي حتى حدود بحر الغزال وغرباً حتى الكنغو والكاميرون .

انتشـر الزنـوج الحقيقيـون (السـودانيون) قـديماً فـي معظـم القـارة الإفريقيـة وانحصروا

حاليا في المجاري العليا لبحر الغزال وويلي أحد روافد الكنغو وغربي بحيرة تشاد حتى الساحل الأطلسي ثم جنوب النيجر حتى خليج غانة ، وصفاتهم السلالية (البشرة السوداء أو السمراء الغامقة ،والقامة طويلة(180) الأرجل قصيرة والأزرع طويلة ، الرأس طويلة (75.73) ، الجبهة بارزة ، بروز الفك ، الشفاه سميكة مقلوبة ، الأنف مفرطحة).

أما زنوج الغابات فهم ضخام الوجه والجسم متوسطو القامة (160)، الرأس (78) والأنف شديد التفرطح ، ينتشرون في غانا وأفريقيا الاستوائية ، وإن كانت الرأس الطويلة هي السائدة بين الزنوج إلا أن الرأس العريض يوجد بينهم وينتشر في الطرف الغربي للسودان الشرقي وأصله غير معروف وربما يمثل هجرة قديمة من جنوب بلاد العرب وهجرات في مناطق السودان الأوسط واتجهت جنوبا فعرضت الرأس في جماعات الزنوج بحوض الكنغو ، وتنتشر الرأس العريض بين المجموعات الزنجية شمالي ساحل العاج والكاميرون وبعض جهات الكنغو وجنوب بحيرة تشاد ، وقد اختلطت الدماء الحامية والتي كانت مستقرة بالقرن الإفريقي بالزنوج السودانيون فانتجت عناصر زنجية معدلة الصفات وقد تكررت هذه الهجرات كثيرا عبر العصور التاريخية منذ العصر الحجري القديم الأعلى فلاحقا .

وتمثل قبائل الهوسا شمالي نيجيريا إحدى نتائج الاختلاط الزنجي مع الدماء الحامية وتزيد بين هؤلاء الجماعات الدماء الحامية ، وكان مركز الهوسا في السنغال ثم تحركوا شرقاً في وقت متأخر واختلطت بهم دماء بربرية من شمال أفريقيا، ويتصفوا بطول القامة والشعر المجعد والبشرة

القاتمة والشعر الخفيف على الجسم والوجه ، وتعتبر قبائل التبو وهم سكان جبال تبستي نموذجا للاختلاط الزنجي والبربري والعربي حيث لون البشرة البيضاء والقسم الشمالي منهم لا يمكن التمييز بينه وبين الطوارق ، أما قسمهم الجنوبي يندمج مع الزنوج السودانيين ، والتبو مثل الطوارق يدخلون ضمن البربر المسلمين .

يعد النيليون أكثر العناصر الزنجية تأثراً بدماء الحاميين وهم يرتبطون جغرافياً بوادي النيل ولا يبتعدون عنه كثيراً ويمتدون من جنوبي الخرطوم إلى بحيرة كيوجا فيما عدا الجالو المنتشرين حتى الشواطئ الشمالية لبحيرة فيكتوريا ، ويتكلم النيليون لغة سودانية وتمثل قبيلتي الشلوك والدنكا نموذجا لجماعة النيليون حيث تبرز صفاتهم السلالية القامة الأكثر طولا +175، الرأس شديد الطول (72) ، البشرةالسوداء ، ويظهر الأثر الحامي في الشلوك حيث التقاطيع المعتدلة من شفاة رقيقة والأنوف الضيقة لذلك يعتبرون متزنجين وليس زنوجا ، وحضاريا يعتبر النيليون أكثر قرابة للحاميين منهم إلى الزنوج فهم رعاة أكثر منهم زراع ، ويقسم النيليون إلى ثلاث مجموعات:

– مجموعة عليا تشمل الميتو ، الأبكا ، المورو.

– مجموعة وسطى تشمل الشلوك ، الأنواك ، الجور ... وجماعات شرقي أوغندا .

– المجموعة السفلى ويندرج تحتها الدنكا والنوير .

وعلى الرغم من أن اسمهم ينسبهم إلى وادي النيل غير أنه يمكن القول أنهم جماعات ذات صفات جسمانية معينة وذات ثقافة خاصة .

والمجموعة السلالية الأخيرة بوسط أفريقيا وهي البانتو ينتشرون جنوب خط عرض 24 شمالا ، وتتباين الصفات السلالية للبانتو إذ يقتربون كثيرا

من الحاميين في صفاتهم ويبتعدون عن الزنوج ، ويبدو التباين هذا نتيجة اختلاطهم بنسب متفاوتة مع بقية أجناس افريقيا كالحاميين والنجريللو.

أما صفاتهم السلالية الشعر الزنجي الصوفي ، لون الشعر مابين الأسمر والأسود ، القامة فوق المتوسط (168 – 173) ، الرأس طويل تماما ، مع وجود الرأس العريض ، بروز الفك ، الأنف أكثر بروزا وضيقا ، البشرة أخف في المادة من جيرانهم من الزنوج الآخرين .

وقد كانت وسط أفريقيا مسرحا لهجرات وافدة ونازحة حيث تحركت مجموعات من شمال شرق أفريقيا إلى أنجولا في الغرب متخذة من وسط القارة معبرا ، وأيضا تحركت بعض القبائل من الوسط إلى الغرب وأحيانا إلى الشرق ، ولكن لم تغير هذه الهجرات من الحالة الجنسية لأنها من عناصر متشابهة .

جنوب أفريقيا :

تتنوع المجموعات البشرية في جنوب أفريقيا حيث تعتبر بعض أجزاء جنوب أفريقيا مناطق عزلة لجأت إليها العناصر المطرودة من قبل مجموعات أقوى وأكبر ، لذك توجد بجنوب أفريقيا اقدم المجموعات السلالية في أفريقيا كالبشمن والهتنتوت ، ويوجد كذلك جماعات البانتو هاربة من الحاميين في القرن الأفريقي ، ويمكن التمييز بين أربع مجموعات سلالية بجنوب أفريقيا وهي :

. البشمن : كانوا منتشرين في كل جنوب أفريقيا ثم أصبحوا حاليا محصورين في صحراء كلهاري ، ويمكن اعتبار البشمن

الجنوبيين المستقرين جنوبى نهر مولوبو أكثر نقاء ، أما شمالي النهر تزداد القامة طولاً كلما اتجهنا شرقاً وشمالاً نتيجة لاختلاطهم بالبانتو ، وتوجد جماعة منهم عرفوا باسم رواد الشواطئ كان من عاداتهم الذهاب إلى الشاطئ لجمع القواقع وأكلها كما يتضح من مخلفات الطعام على طول ساحل جنوب أفريقيا ، وتعرف هذه
المجموعة المنقرضة باسم البشمن الساحليون.

أما عن صفاتهم السلالية الشعر الصوفي المفلفل ، شعر الجسم قليل ، البشرة مائلة للصفرة القامة القصيرة (145) ، الأيدي والأقدام الصغيرة ، الرأس المتوسط ، عظام الوجنات بارزة ، الأنف الأفطس ، العيون ضيقة ذات ثنية مغولية وتظهر في هذه الجماعات مايعرف بكبر العجز ويبدو أنها صفة مكتسبة في مواطن عزلتها الفقيرة بصحراء كلهاري ، وقد تعرض البشمن للإبادة خاصة مع دخول الأوروبيون لجنوب أفريقيا وتناقص حجمهم كثيراً في الفترة الأخيرة .

والمجموعة الثانية الهتنتوت يشبهون البشمن في الصفات الخارجية ،وإن كن شعرهم أغزر ورؤسهم طويلة ضيقة ، ويبدو أنهم منحدرين من أصل واحد ، وصفات الهتنتوت السلالية (البشرة صفراء ، القامة المتوسطة (160) كبر العجز ، الأيدي والأقدام قصيرة ، الرأس صغير مستطيل ، بروز الوجنات ، الذقن صغيرة ، الأنف مسطح وعريض) ويبدو الهتنتوت أطول من البشمن ،ويقتربون بهذه الصفات من زنوج جنوب أفريقيا ويبدو ان اختلاطا حدث بينهم في مراحل تاريخية مبكرة جدا ، وتدل الهياكل القديمة للهتنتوت الأصليون أنهم جنس طويل ، مستطيل الرأس ، الأنف بارز عريض ، وكذلك توجد هياكل تمتاز بشدة بروز الحاجبين بدرجة تقترب من

الاستراليين مما حدا إلى القول بوجود صلة ما أو تصنيف البشمن والهتنتوت ضمن المجموعات الاسترالية القديمة.

أما مجموعة البانتو فهي العنصر الثالث في جنوب أفريقيا ، وينتموا إلى الزنوج المختلطين بالحاميين ، لذلك تتباعد بينهم الصفات السلالية أحيانا فبعضهم أقرب للحاميين وأخرى أقرب للزنوج ، غيرأن الصفات الزنجية تسود بينهم مثل شكل الشعر ،ويبدو الدم الحامي واضحا عند قبائل الزولو حيث يظهر الأنف الضيق نسبيا ، وقد اختلط البانتو أيضا في بعض المواضع مع البشمن والهتنتوت .

محارب من البانتو ينتمي إلى قبائل الزولو في منطقة جنوبي إفريقية

ويقسم البانتو في جنوب أفريقيا إلى ثلاث أقسام :

– القبائل الشرقية: أهمها الأمازلو ، وهم عبارة عن مجموعات وافدة من الشمال إلى الساحل الشرقي خلال القرن الخامس عشر .

– القبائل الوسطى : وتتألف من البتشوانا وتستقر بهضبة جنوب أفريقيا في بتسوانالاند وكان البشمن مستقرين قبلهم في ذلك الإقليم .

– القبائل الغربية : ومنهم جماعت الأوفاهيرو وتسكن هذه القبائل دامارا لاند غربي الإقيم.

وتقدم الدلائل الأثرية معلومات عن بداية الاستقرار في جنوب افريقيا حيث تؤكد أن البشمن ليسوا أول من استقر بجنوب أفريقيا بل سبقهم أخرون كانوا

يستخدمون آلالات ضخمة من الحجارة ، ثم وفد البشمن بعد ذلك وهم صيادون رحل ، ومع بداية التاريخ وفد الهتنتوت وسيطروا على البشمن ، وخلال القرن السابع عشر نزل الهولنديون منطقة جنوب أفريقيا فدفعوا السكان الأصليين شمالا ، وقد نشأ خليط جديد في إقليم الرأس نتيجة اختلاط البوير والهتنتوت واضطروا أيضا للنزوح شمالا ، ويمارس البانتو الزراعة إلى جانب رعي الماشية والمكتسب من الحاميين .

وتأتى المجموعة الأخيرة في جنوب أفريقيا وهذه المجموعة أثارت مشاكل سلالية بين العلماء فأُطلق عليها الجماعات الغامضة الأصل مثل جماعة الكاتيا المنتشرين بمنطقة الاستبس شمالي الترنسفال حتى نهر اللمبوبو ، وصفاتهم السلالية (بشرة سمراء داكنة ، القامة قصيرة جدا (122) ، وفي هذا مختلفين عن البانتو في طول القامة ، كما يختلفون عن البشمن في شكل البشرة ، فالبشمن صفر) ، وتطلق عليهم قبائل الزولو اسم "الكلاب" أو الصقور ويصفونهم بالحقارة والوضاعة .

ومن هذه الجماعات أيضا أقزام نهر نوزوب غربي كلهاري حيث قامتهم القصيرة (132) واللون الأسمر مشرب بحمرة، وجبهة متراجعة، وفم بارز وينفي البشمن أي صلة بهم ، ويمكن اعتبار هذه الجماعات بقايا من مجموعات أخرى انقرضت بعد ما تعرضت لضغط من الجماعات الأقوى كالبشمن والهتنتوت والبانتو ومما يدعم ذلك أن هذه الجماعات في سبيلها للانقراض مع تناقص حجمهم كثيرا ،ويتشابه معهم في ذلك كل من البشمن والهتنتوت .

رابعاً

السلالات البشرية
في الأمريكتين

تجمع السلالات البشرية للأمريكتين بين جماعات أصلية تمثل الأقلية وأخرى وافدة وهى الأغلبية ، وقد وفدت المجموعات الأخيرة فى مرحلة حديثة جداً مقارنةً بتحركات الشعوب فى العالم القديم خلال العصور التاريخية القديمة ، أذ لا تعود الهجرات إلى العالم الجديد إلى أبعد من القرن السادس عشر وهو تاريخ حديث جداً فى حياة البشرية .

ويمثل كل من الإسكيمو والهنود الأمريكيون العناصر الأساسية فى الأمريكتين واللذين وفدا أيضا من آسيا ولكن فى تاريخ أقدم بكثير من العناصر الأخرى حيث كان الاتصال البرى قائما مع نهاية البلايستوسين حيث تؤكد الدراسات وجود قنطرة برية بين آسيا وأمريكا كانت تظهر فترة وتختفى أخرى ، ويكون ظهورها واختفاؤها حسب العلاقة بين مستوى اليابس والماء إبان العصر الجليدى والفترات الدفينة التى تخللتها، ولايزيد البعد بين القارتين على امتداد جزر ديوميد عن خمسة وعشرين ميلا ، وأضيق جزء فى المضيق بين الرأس الشرقى فى آسيا وبين رأس أمير ويلز بأمريكا ، بالإضافة إلى أرخبيل ألوشيان كقنطرة ثانية .

وفى الدور الجليدى البلايستوسينى الأخير تمزق الغطاء الجليدى الأمريكى فى مرحلة مبكرة من مراحل تراجع الجليد وعلى ذلك استطاع الإنسان المتقدم من سيبريا عبر مضيق بيرنج أن ينفذ إلى السهول الوسطى الأمريكية ، وتؤكد الدراسات الأثرية فى أمريكا على حقيقتين أولهما : عدم الكشف عن بقايا بشرية أقدم من الإنسان الحديث الذى يعيش بين جنباتها

حاليا، وثانيا : ليست هناك دلائل جيولوجية أو حيوانية على أن الإنسان نشأ بصفة مستقلة فى أمريكا.

ويرى "أنتيفز Antevs " ان أول إنسان دخل أمريكا كان من النوع الحديث وربما حدث ذلك خلال العصر الحجرى الحديث وقد سلك طريقه من شمال شرق آسيا إلى آلسكا عبر مضيق بيرنج ثم انتشر على السفوح الشرقية لجبال الروكى حينما وجد ممرا خاليا من الجليد وكان ذلك فيما بين (15,000 -20,000) سنة ، ووصل إلى جنوب غرب القارة فى فترة انتقالية بين العصر المطير والعصر الجاف وكان ذلك حوالى (12,000) سنة .

ويعترض بعض الباحثين على ذلك الرأى تبدو هذه الأرقام مبالغ فيها حيث لم يدخل الإنسان أمريكا إلا فى الألف الرابعة ق.م وينزل البعض بهذا الرقم إلى حوالى 2000ق .م أى منذ أربعة ألالف عام فقط .

الإسكيمو :

يعد الإسكيمو أقدم الجماعات البشرية التى وصلت إلى شمالى أمريكا الشمالية ، وتدل أثارهم فى منطقة مضيق بيرنج على أن تحركاتهم كانت محدودة خلال الألفى عام الأخيرة إلى أنه لم تحدث هجرات مهمة فى مواطنهم هذه خلال تلك الفترة

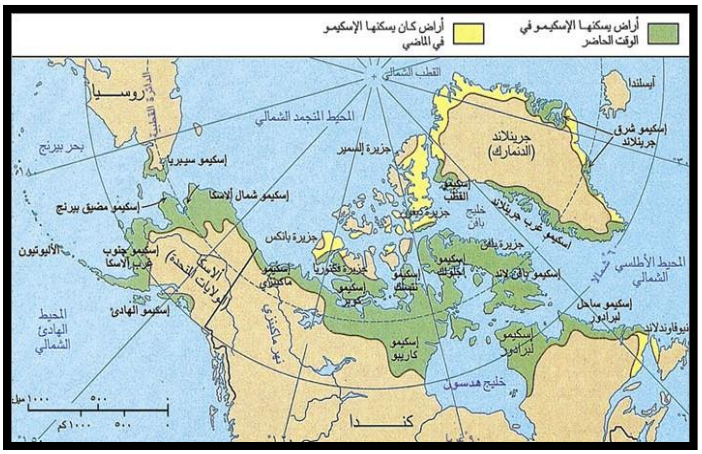

.حيث ظل هذا المكان إقليم خاص بهم ، ويبدو أن حضارتهم كانت فى الماضى أكثر أزدهارا عما عليه بعد ذلك .

ويرى الباحثون أن المعبر البرى بين آسيا وأمريكا كان قد تلاشى قبل هجرة الإسكيمو الذين استخدموا البحر فى وفودهم لأمريكا ، والدليل على ذلك مهارتهم الملاحية التى مكنتهم من العبور بحراً من شمال شرقى آسيا حتى غرب أمريكا الشمالية.

وتدل المعلومات المستقاة من صفاتهم السلالية على أن الشعوب الوافدة تمثل مجموعات جنسية نازحة من شمالى شرق آسيا وقد استمرت فترة طويلة خلال مرحلة تكون عرض الرأس حيث يظهر بين السكان الأصليين فى أمريكا درجات متفاوتة من هذه الصفة ، ويعتبر الإسكيمو إحدى العناصر الوافدة قديما ويمثلهم إسكيمو خليج هدسن .

والصفات السلالية للإسكيمو (الشعر أسود مستقيم ، القامة متوسطة (158)، الرأس مستطيل (72)، الوجه عريض ، بروز عظام الوجنات ، الأنف ضيق وبارز ، العين المستقيمة ، الأيدى والأقدام صغيرة ، وتظهر فيهم العين المغولية بوضوح).

ينتشر الإسكيمو على الساحل القطبى بأمريكا الشمالية فى لبرادور وحول خليج هدسن وفى الآسكا كما يوجدون فى جزيرة بافن وفى جرينلند ، وكانوا قديماً ينتشرون نحو الجنوب على ساحل الأطلسى حتى ولاية ماساشوستس جنوباً ، كما كانوا يمتدون حتى الركن الشمالى الشرقى من آسيا ولاتزال بقايا منهم فى جزر أولشيان .

وقد حافظ الإسكيمو على عاداتهم القديمة خاصة فى بيئتهم الشديدة القسوة ويطلق الإسكيمو على أنفسهم لفظ "الأنويت"أى الشعب وفى ذلك

إشارة إلى أنهم الشعب المميز بين بقية البشر ويلجا الإسكيمو إلى السواحل ممارسيين الصيد مستخدمين فى ذلك قواربهم المميزة والمعروفة باسم الكاياك والأومياك وهو قارب المرأة ويعتمدون بريا على صيد حيوان الكاريبو وكذلك على عجل البحر ويمثل غذاءاً رئيساً لهم .

يتعرض الإسكيمو للانقراض بسبب اختلاطهم حديثا بالأوروبيين فأخذوا منهم بعض العادات التى أثرت على صحتهم مثل شرب الخمور ونقل إليهم كذلك بعض الأمراض والأوبئة التى تأثروا بها كثيراً ونالت من حجمهم السكانى .

. الهنود الأمريكيين :

تعرف هذه العناصر خطأً باسم الهنود الحمر وتنتشر فى مساحة واسعة فى الأمريكتين وعلى ذلك تتباين قبائلهم بعضها عن البعض تبايناً شديداً فى الشكل والحضارة ، والشكل السائد بينهم اللون الأسمر النحاسى وهو ماحدا بإطلاق الحمر عليهم ،ويتصفون بطول القامة ، سواد الشعر واستقامته ، سواد العيون ، بروز الأنف، بروز الفك السفلى.

وقد تعرض الهنود الأمريكيون للانقراض بسبب ماتعرضوا له من قبل الأوروبيين عقب اكتشاف العالم الجديد ومحاولة السيطرة على أوطانهم ، ولاتزال بعض العناصر الهندية الأمريكية محتفظة حتى الأن بسماتها الحضارية القديمة وخاصة فى جنوب غرب الولاية المتحدة الأمريكية (أريزونا

– نيومكسيكو) وأيضا شمالى المكسيك ويرجع تلك إلى عزلة هذه الجماعات فى مناطق قاحلة نسبيا وتأخر وصول الأوروبيون إليها مما حافظ على هوية سكانها .

ويقترب الهنود الأمريكيون كثيراً من الجماعات الآسيوية التى تنتمى إلى الجنس المغولى مثل جماعات وسط آسيا والتيت وجزر الهند الشرقية وسائر الجماعات التى لم تكتمل فيها الصفات المغولة حيث هاجر الهنود الأمريكيون إلى العالم الجديد قبل اكتمال صفاتهم المغولية.

وتعتبر قبائل الأزتك أشهر العناصر الهندية الأمريكية التى وجدها الأسبان فى مرحلة غزوهم ، وكان الأزتك أصحاب حضارة راقية كانت تشغل مدينة المكسيك وماحولها ، وكانت حضارتهم قائمة على التعدين والصناعة وكذلك زراعة القطن والذرة وتأسيسهم لنظم رى راقية ،ولكن بالرغم من ذلك لم يستأنسوا حيوانات خاصة بهم .

ويتشابه الهنود الأمريكيون فى صفاتهم السلالية الأساسية كالعيون السوداء والبشرة السمراء الخفيفة والشعر النادر على الجسم والوجه ثم الوجه العريض وعظام الوجنات البارزة ، ويلاحظ أن هذه الصفات تربط الهنود الأمريكيين بالسلالة المغولية .

وتعد جماعة الهنود الأمريكيين فى ولاية نيوانجلند أبعد هذه العناصر عن الصفات المغولية ويقتربوا كثيراً من الأوروبيين ، أما هنود السهول الوسطى فذو وجه عريض ويكتسبوا الصفات المغولية ، وكلا المجموعتين – هنود السهول وهنود نيوإنجلند – طويلة القامة والرأس ، فى حين نجد هنود الساحل الغربى يتصفون يقصر القامة وعرض الرأس .

يتضح من ذلك تباين فى صفات الهنود الأمريكيين فى مختلف مواضع استقرارهم ، ويبدو تشابها فى الصفات الظاهرة كلون الشعر والبشرة والعين ،ويختلفون فى الصفات الهيكلية مثل طول القامة وشكل الرأس ،وبصورة أكثر دقة نكتشف أن الهنود الأمريكيين يختلفون فيما بينهم اختلافا عظيماً يفوق فى ذلك الاختلافات الموجودة بين السلالات المهاجرة للعالم الجديد .

الشعوب الوافدة :

ما إن وصل المستكشفون الأسبان "دى سوتو ، كورونادو ، دى فاكا... " إلى العالم الجديد وذلك خلال القرن السادس عشر حتى ظهرت أهمية هذه الأراضى الجديدة وبدأ الأوروبيون فى التوافد ، ففى أوئل القرن السابع عشر جاء البريطانيون واستقروا فى أجزاء من شمالى شرق الولايات المتحدة (جيمستون – بليموث)، وتنوعت الهجرات الأوروبية فمن اليونان جاءت مجموعة واستقرت بأزمير الجديدة (فلوريدا)، والهولنديون إلى الأراضى المنخفضة الجديدة والسويديون إلى ديلاور ، والفرنسيون إلى لويزيانا وكارولينا الجنوبية ونزح الأسبان إلى فلوريدا ونيومكسيكو وكاليفورنيا والأيرلنديون والأسكتلنديون والألمان إلى بنسلفانيا..... ، وكلما جاءت مجموعة بشرية جلبت معها صفاتها وعادتها وحضارتها .

ولم يأت القرن الثامن عشر إلى نهايته إلا وكان ساحل الأطلسى يشهد نشأة دولة مستقلة تمتد لأكثر من ألف ميل من ولاية مين شمالاً حتى جورجيا فى الجنوب ويستقر بها أكثر من مليونين من السكان انضوت تحت اسم الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من تباينـاتهم السلالية ،وقد انتشرت هذه المجموعات غرباً وشمالاً وجنوباً متخذين الأنهار كمسالك وطرق داخل

القارة ، وقد حالت جبال الأبلاش فترة من الزمن بين الوافدين والتوغل إلى قلب القارة فترةً طويلة إلى أن اخترقت هذه العوائق بواسطة شبكة من الطرق البرية ثم مد خطوط السكك الحديدية التى ساهمت فى تعمير العالم الجديد .

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية من الناحية السلالية تضم شعبا منتشرا بين المحيطين الأطلسى والهادى ويتكون هذا الشعب من خليط عجيب تتداخل فيه دماء متعددة ويكتب أحد الأمريكيين أن تركيب الأسرة الأمريكية يمكن أن تضم جد إ نجليزى ، زوجة هولندية ، إبن متزوج من فرنسية وأخر من أيرلندية ...وهكذا فهذا أختلاط أفراد من أمم مختلفة وامتزجت دمائهم فنشأ ذلك الشعب الجديد والذى يكون عماده الإنجليز ، الفرنسيين ثم الأسبان .

الإنجليز :

استقر الانجليز بدايةً على الساحل الشمالى الشرقى ثم امتد نفوذهم على المناطق التى استقرت بها بقية العناصر الأوروبية (الهولنديون – السويديون – الألمان ...) ثم طغى نفوذهم على بقية أمريكا الشمالية حيث يكونون أغلبية سكان كندا والولايات المتحدة الأمريكية .

الفرنسيون :

استقروا فى البداية بحوض الميسيسبى ونهر سانت لورانس حيث تركز نشاطهم فى العالم الجديد فى البحث عن الفراء والتجارة فيها ، وتدل آثارهم الحضارية فى بعض مسميات المواضع الحالية نيو أورليانز ،باتون روج (لويزبانا)، سانت لويس (الينوى) ، بحيرة شامبلان ....، وفى كندا يتركز الفرنسيون بإقليم كيبك ذى الأغلبية الفرنسية حيث تشكل الفرنسية اللغة الأولى والرئيسة شرقى كندا ، ويحاول الإقليم الانفصال عن كندا عبر عملية

التصويت والاقتراع والتى انتهت إلى رفض الانفصال وكانت النسبة بين المؤيدين والمعارضين بسيطة جدا ولم تتعد نصف فى المائة .

الأسبان :

تركز استقرارهم فى المكسيك وأمريكا الوسطى وكذلك الجنوبية وإن كانت لهم مواضع أقدام على طول الساحل الغربى للولايات المتحدة الأمريكية كما تدل السميات (سان فرانسيسكو ، لوس أنجيلس ، سان ديجو ، ساكرمنتو ، سيرانيفادا،...)وإن كانت كل من أمريكا الوسطى والجنوبية هى مراكز الاستقرار الرئيسة للأسبان وقليلا من البرتغالية (وتعد البرازيل الدولة الأمريكية الجنوبية المتحدثة باللغة البرتغالية)بينما تسود الأسبانية بقية دول الإقليم .

وبناءاً على هذاه التفاوتات الحضارية قسمت الأمريكتين إلى قسمين ثقافيين متباينين حضاريا وهما : أمريكا النجلو ساكسولية وتشمل كندا والولايات المتحدة الأمريكية ثم أمريكا اللاتينية وتنضوى تحتها أمريكا الوسطى والجنوبية وجزر الهند الغربية .

الزنوج :

لعبت العوامل الاقتصادية ونمط الزراعة فى العالم الجديد دوراً مهماً فى انتقال الزنوج إلى العالم الجديد ، وكان للقطن بصفة خاصة دوره الأساسى فى جلب هذه العناصر حيث رأى المستوطنون استحالة زراعة القطن بدون أيدى عاملة رخيصة تتحمل المناخ الحار الرطب السائد فى الولايات الجنوبية ، وقد كان الرق فى المراحل الأولى من نشأة الولايات المتحدة أمرا شائعاً ، وقد وصل عدد الزنوج فى بعض الإحصاءات الأمريكية إلى أكثر من (12%)من حجم السكان وهم يزيدون على الهنود الأمركيين بحوالى خمسين

مرة ، ويتركز الزنوج فى الولايات الجنوبية الشرقية ويعتبر الزنوج الحاليون أبناء وأحفاد للعديد الذين جلبوا من أفريقيا بدءاً من القرن السابع عشر بصورة قسرية وذلك للعمل بمزارع القطن وقصب السكر والتبغ والأرز فى الجهات المدارية من العالم الجديد .

وقد قامت مشكلات اجتماعية وعرقية بين الأوربيين والزنوج بسب كثافة الوجود الزنجى ووصول نسبتهم فى بعض الولايات إلى أكثر من نصف عدد السكان (جورجيا – كارولينا الجنوبية ، كارولينا الشمالية).ثم حاولت الحكومة الأمريكية معالجة قضية الزنوج بالإصلاحات القانونية، منها التعديل فى الدستور الأمريكى والذى حدث عام 1865وبمقتضى ذلك تم تحريم الرق نهائيا فى كل الولايات المتحدة الأمريكية ،وكذلك بالإصلاحات الاجتماعية للقضاء على التمييز العنصرى بكل صوره وأشكاله إلا أن هذه القضية لا تزال أثارها باقية حتى الأن .

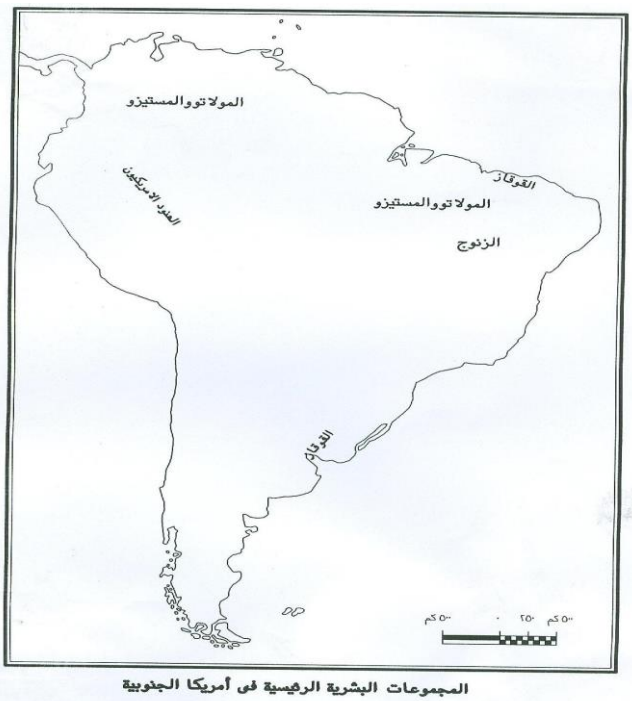

المجموعات البشرية الرئيسية فى أمريكا الجنوبية

أما أمريكا اللاتينية فقد وطأت أقدام كولومبس إحدى جزر الباهاما (أسبانيولا) ثم

اكتشف فى رحلته الرابعة ترينداد ومصب الأورينكو وسار بحذاء ساحل أمريكا الوسطى ، وكانت هذه الرحلات لحساب الأسبان ، وبعد ذلك قام أمريجو فسبوتشى بأربع رحلات لحساب البرتغاليون مكتشفاً لسواحل أمريكا الجنوبية .

ونتيجة لنزاع الأسبان والبرتغال على مناطق النفوذ بينهما فى العالم الجديد أصدر البابا مرسوما بابويا بتحديد نفوذ الأسبان غرب خط ممتد من القطب الجنوبى إلى الشمالى وذلك غربى جزر الآزور والكيب فرد ونفوذ البرتغاليون شرقى ذلك الخط ، وقد أجرى تعديل على ذلك التحديد بمقتضى معاهدة توردیسلا عام 1494 والتى أعطت البرتغال جزءاً من أمريكا الجنوبية وهى دولة البرازيل الحالية ، وأصبحت أسبانيا تملك الجزء الباقى من أمريكا الجنوبية والوسطى وجزءاً من أمريكا الشمالية .

وقد كان لتاريخ كشف القارة أثره فى حالتها السلالية والحضارية فوفد الأوروبيون ثم الزنوج بالإضافة إلى سكانها الأصليين من الهنود الأمريكيين ، أما من حيث اللغة فتسود الأسبانية كل أجزاء أمريكا الجنوبية والوسطى ماعدا البرازيل(البرتغالية) والجيانات الثلاث (الفرنسية،الانجليزية،الهولندية) .

أما سلالياً فتحتوى أمريكا اللاتينية على خمس عناصر جنسية وهى السكان الأصليين (الهنود الأمريكيين)، الأوروبيين القوقاز، الآسيويين المغول ، الأفارقة الزنوج ، ثم العناصر المختلطة مثل المستيزو (خليط بين الأوروبيين والهنود الأمريكيين) والمولاتو (خليط بين الأوربيين والزنوج) ثم خليط ثالث(الشيجيرو) بين الهنود والزنوج ،ويصنف 60% من جملة سكان أمريكا اللاتينية كعنصر قوقازى وافد إليها خلال القرون الأربع السابقة .

أما الهنود الأمريكيين لايزيدوا على 5 مليون نسمة يتركزون فى بيرو وكولومبيا ،ويبلغ عدد الزنوج حوالى 6مليون نسمة يتركز بالبرازيل أكثر من 90% من جملتهم ، ويزيد عدد السلالات المختلطة عن عشرين مليون نسمة يتركزون فى البرازيل وكولومبيا والبيرو ، وبالإضافة لهذه العناصر الأساسية هناك بعض الأقليات العربية (البرازيل – الأرجنتين – كولمبيا) وأقليات صينية ويابانية أيضا وافدة من الشرق ،وإن لم تكن ذات أثر سلالى واضح حتى الأن

خامسا

السلالات البشرية
في الأوقيانوسيا

تتمثل الأوقيانوسيا فى مجموعة جزر المحيط الهادى مثل أستراليا وغينيا الجديدة وتسمانيا وميكرونزيا وبولونيزيا وغيرها من جزر الهادى ، ويمكن حصر المجموعات السلالية التى تتكون منها هذه الجزر وهم هذه العناصر :

. التابيرو Tapiro:

شعبة من الأقزام ذات شعر أسود قصير ، البشرة سمراء مصفرة ، القامة قصيرة (145) ، وتوسط الرأس (79,5) ، الأنف المستقيم ، ويتركزون بالجبال الغربية فى غينيا الهولندية .

. البابزان :

ذو (الجبهة المتقهقرة ، عظام الحواجب بارزة ، بروز الفكين ، الأنف المحدب وبارز) وينتشرو بغينيا الجديدة وكانوا قبل وفودهم إليها مستقرين فى جزر ميلانيزيا ، وكذلك فى تسمانيا وفى أقصى الجزر الجنوبية الشرقية من مجموعة جزر الهند الشرقية .

. الميلانزيون :

ذو (الشعر الصوفى المجعد أو الممووج ، لون البشرة بنى غامق وأحيانا أسود توسط القامة أو قصرها (156– 160) ، ويسود طول الرأس إلا فى بعض المواضع يوجد الرأس العريض ، الجبهة مستديرة الأنف واسع مستقيم (أصغر من أنف البابوان) ومعظم الميلانزيين منحدرين من أصل بابوانى اختلط مع عناصر من جزر الهند الشرقية .

ينتشر الميلانزيون من جزر أدميرال إلى نيوكالدنيا وفيجى وبعض الأجزاء الساحلية من غينيا الجديد والجزر المجاورة فى الشرق والجنوب الشرقى .

. الأستراليون :

صفاتهم (الشعر مجعد ومموج أو مستقيم ، لون البشرة بنى غامق ، توسط القامة (167)، الرأس طويل (72) ، الجبهة متقهقرة ، عظام الحواجب البارزة بروز الفكين) وينتشرون فى الأجزاء الداخلية من أستراليا والأجواء المجاورة .

. النزيون (الأندنيسيون):

ذو الشعر الأسود المموج بشرة صفراء أوسمراء قصر القامة (154-157) وتعتبر جماعة المورت فى بورنيو نموذجا للنزيون .

البارى :

أو المغول الجنوبيون ويتصفون (بالشعر الأسود ، لون البشرة الأصفر والزيتونى أو الأسمر النحاسى ، القامة قصيرة (160)، الرأس عريض (80-85)، الوجه عريض ، الفك بارز ، عظمات الوجنات بارزة.

واختلطت عناصر هذه المجموعة حين هاجرت جنوباً بالأجناس غير

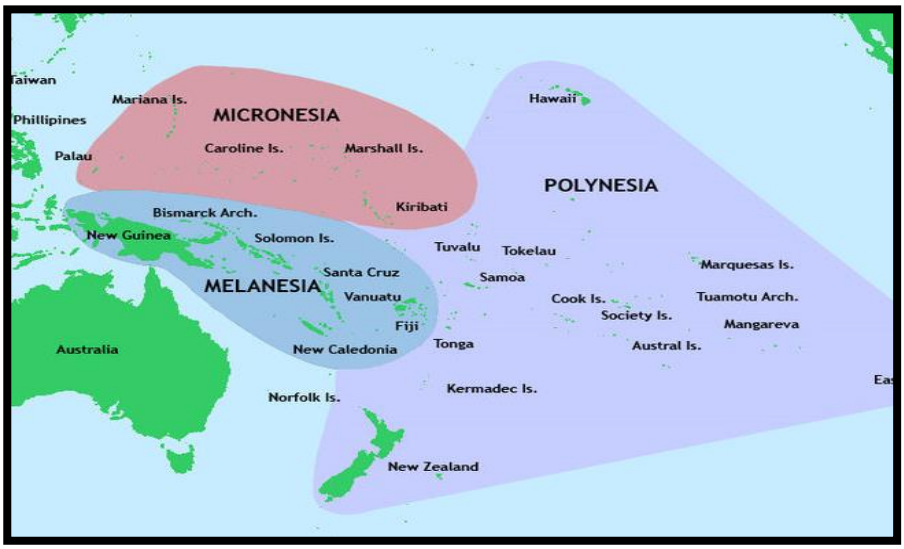

المغولية ، ويعتبر صينيو هوانجهو أنقى نماذج للبارى ، ويطلق على المجموعة التى هاجرت إلى جزر الهند الشرقية اسم المغول البحريون وإن كان اسم عنصر ماقبل الملايو Proto –MaIay هو الصحيح علمياً ، حيث أشتق الملايو الحاليين .

وفد السكان الأوائل لهذه الجزر عن طريق إندونيسيا وكانوا من أصحاب الشعر الصوفى وتعد جزر الهند الشرقية هى الطريق التى وفدت منه جميع الهجرات إلى هذه الجزر ، ويبدو أن المجموعات الأولى كانت خليطا متبايناً يحتوى على الأقزام وأصحاب القامة المتوسطة وأصحاب الرؤوس العريضة والأخرى الطويلة .

ويرى "هادون "أن البابون كانوا منتشرين فوق كل جزر ملانيزيا ويفسر ذلك وجود القامة القزمية والرأس الطويل فى الجزر المنعزلة مثل فيجى ونيوكالدونيا ويندرج تحت هذه المجموعة التسمانيون المنقرضين.

أما الأستراليون الأصليون فصفاتهم السلالية بدائية خاصة فى الجمجمة ويشبهون إنسان نيندرتال وتعليل هذه البدائية فيما يعرف باسم الشيخوخة الجنسية ، وتظهر صفاتهم كذلك فيما يعرف بإنسان واد جاداك Wadjak فى جاوة وقد هاجروا إلى استراليا بعد أسلاف التسمانيين ، ويوجد تشابه عام فى الصفات السلالية للاستراليين مع وجود اختلافات بسيطة .

وتعود الأصول السلالية لسكان بولونزيا إلى الأصل النزيوتى وصفاتهم المغولية مخففة وتسود بينهم الرأس العريض ، كما تدخل الدماء الميلانزية فى تركيبهم ، وينتشرون من هاواى إلى نيوزلند ومن ساموا إلى جزيرة ايستر ، وصفاتهم (الشعر المستقيم أو الممموج ، البشرة السمراء المتدرجة ، طول

القامة (172) ، الرأس الطويل (82,5) ، وهناك عناصر متوسطة الرأس عظام الوجنات البارزة ، الأنف البارز المحدب أو المستقيم).

وقد هاجرت العناصر الميلانزية إلى مواضعها الحالية عبر طريق جزر تونجا وهرفى وجزر الماركيز ، ويتمثل العنصر الميلانزى حاليا فى جزيرة تونجا .

ويُقسم البولونزيون إلى قسمين ، الأولى ذات قامة طويلة وعود نحيف ورأس طويل وأنف ضيق وشفاه رقيقة وشعر أكثر استقامة وبشرة فاتحة ويقترب هؤلاء من الأوربيين ، أما المجموعة الثانية من البولنزيين يتصفون بالرأس العريض وتظهر فيهم الصفات المغولية ، ويمكن أن ترجع المجموعة الأولى إلى الأصل النزيوتى القديم ذات الرأس الطويل أما المجموعة الثانية فترجع إلى عنصر ماقبل الملايو عريض الرأس ويحتمل أن تكون هاتين المجموعتين هم سكان إندونيسيا القدماء .

وتنتشر المجموعة الأولى فى كل بولنزيا وتتركز حاليا فى قسمها الجنوبى ، أما المجموعة الثانية تسود فى بولنزيا الوسطى والشمالية وتوجد فى ساماوا وتختلط اختلاطاً شديداً وتوجد كذلك فى تونجا وجزر الماركيز وهاواى .

وبالنسبة لسكان ميكرونزيا فهم خليط سلالى من مجموعات سلالية متباينة ففى غرب الجزر يسود أصحاب الرأس الطويل والقامة المتدرجة من القصيرة والمتوسطة فى الغرب إلى القامة الطويلة فى الشرق ، ولون البشرة المتدرج من اللون الفاتح شرقاً كسكان بولينزيا ، والشعر مموج ومستقيم ، وفى غرب جزر ميكرونزيا تسود بعض الصفات المتباينة كالبشرة السمراء والشعر المجعد وأيضا توجد البشرة الفاتحة والشعر المموج والمستقيم .

الفصل السادس

الجماعات البشرية القديمة

أظهرت خريطة توزيع السلالات البشرية فى قارات العالم المختلفة سيادة ثلاث سلالات بشرية رئيسة (القوقاز – الزنوج – المغول) يتشكل منها الجنس البشرى مع الأخذ فى الاعتبار المواطن الأصلية لهذه السلالة حيث تعتبر أوروبا وشمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا أقاليم السلالة القوقازية ، فى حين تمثل أفريقيا جنوب الصحراء زنجية الأصل ، وتمثل آسيا موطنا أصليا للمغول ، ثم انسلخت هذه السلالات من مواطنها الأصلية واختلطت بغيرها فى شتى بقاع العالم .

بالإضافة إلى هذه السلالات الثلاث الرئيسية وما يندرج تحتها من عشرات المجموعات الفرعية التى تحمل صفات سلالية خاصة ، ويوجد فى العالم حالياً جماعات بشرية لاتندرج تحت هذه السلالات.وإنما صنفها العلماء كأقدم الجماعات البشرية على الإطلاق حيث تعيش حاليا منعزلة وفى أقاليم جغرافية نائية وغاية فى الصعوبة من حيث الإمكانيات المعيشية .

ويقدم التوزيع الجغرافي لهذه الجماعات على قارات العالم المزيد من التفاصيل عن أصل هذه الجماعات وصفاتها السلالية وخصائص مواطنها الجغرافية .

أولا : قارة أفريقيا :

يوجد فى قارت أفريقيا العديد من الجماعات القديمة والتى كانت سائدة قبل السلالة الزنجية ، ثم انزوت فى مواضع نائية ، ومن هذه الجماعات :

(1) البشمن والهتنتوت :

أطلقت "سونيا كول" عليها اسم الجماعات "الخويسانية Khosian " ، وتجمع صلة دم بين الجماعتين حيث تشير الصفات السلالية إلى ذلك وأيضا الروابط الثقافية ، وكانت هذه الجماعات تحتل مساحة شاسعة فى أفريقيا قبل

أن يطردهم الزنوج ثم الأوروبيين إلى منطقة عزلتهم الحالية فى صحراء كلهارى ، حيث تركز البشمن فى شمال ووسط الصحراء ، وانتشر الهتنتوت شمالى نهر الأورانج وقد اكتسبوا فى مناطق عزلتهم هذه صفات سلالية جديدة .

البشمن : تعيش فى مرحلة اقتصادية بدائية – الجمع والالتقاط – ولا يزيد عددهم حاليا عن 10آلاف نسمة ينقسمون إلى عدة قبائل وعشائر صغيرة ويتحدثون ثلاث لغات محلية ، ويمثل الصيد أهم وسيلة معيشية لهذه القبائل وذلك باستخدام الأقواس والسهام المسمومة .

البشمن والعصر الحجرى القديم

وأهم صفاتهم السلالية : القامة القصيرة 150سم ، لون البشرة البنى أو الأصفر ، الشعر المفلفل ، عظام الوجنات بارزة ، الأنف مفلطح ... ويتسم نساء البشمن بكبر العجز " Steatopygia " .

الهتنتوت : يحملون نفس صفات البشمن السلالية وإن كانت قامتهم أطول قليلا (152سم) ورؤوسهم أطول ، وتنتشر بينهم أربع مجموعات لغوية محلية ، وقد اختلط الهتنتوت مع الهولنديين أثناء استعمارهم لجنوب إفريقيا حيث نتجت سلالة مولدة وهى الرحبوت ، التى تتسم باللون الفاتح للبشرة والقامة الطويلة .

(2) الأقزام (النجريللو):

يوجد الأقزام فى أفريقيا على هيئة مجموعات صغيرة جداً قليلة العدد حول خط الاستواء وبصفة خاصة داخل الغابات الاستوائية ، ويعيشوا على الجمع والتقاط والصيد البرى ، ويبدو أنهم كانوا أكثر انتشارا فى وسط أفريقيا قبل أن يضغط عليهم الزنوج مما أضطرهم للانزواء داخل الغابات .

صفاتهم السلالية ، القامة القصير جدا 145- 148 سم ، الوجه العريض وأحيانا يظهر الوجه الطويل بين بعضهم ، لون البشرة بنى فاتح والفك العلوى بارز ، والأذرع طويلة مقارنة بالأقدام .

وقد اختلط بعض الأقزام بجماعات البانتو المجاورة لها مما أدى إلى تعديل بعض الصفات السلالية مثل طول القامة والرأس الطويل .

ثانيا : قارة آسيا

تحتوى قارة آسيا على العديد من الجماعات القديمة والتى تنتشر مواضع عدة ، وأهم هذه الجماعات :

الأينو : إحدى المجموعات البيضاء القديمة كانت تنتشر سابقا بصورة كبيرة فى قارة آسيا وأجزاء من أوروبا ، ثم انعزلوا تحت ضغط الجماعات المغولية فى جزر الكوريل وسخالين شمالى اليابان ، ويعتقد أنهم أسلاف اليابانيين .

صفاتهم السلالية : الرأس المتوسط ، الجسم الضخم الشعر الكثيف المموج، والحواجب السميكة ،العيون الفاتحة ،ويمثلهم حاليا فلاحى روسيا فيما يدل على مدى الانتشار القديم لجماعات الأينو .

يعتمد اقتصاد الأينو على الصيد ، خاصة الأسماك أو الصيد البرى (الدببه) ، ويعانى الأينو حاليا من الانقراض وتدهور حجمهم .

(2) أقزام آسيا (النجريتو):

ينتشر أقزام آسيا داخل نطاق الغابات الاستوائية أو المدارية المطيرة،

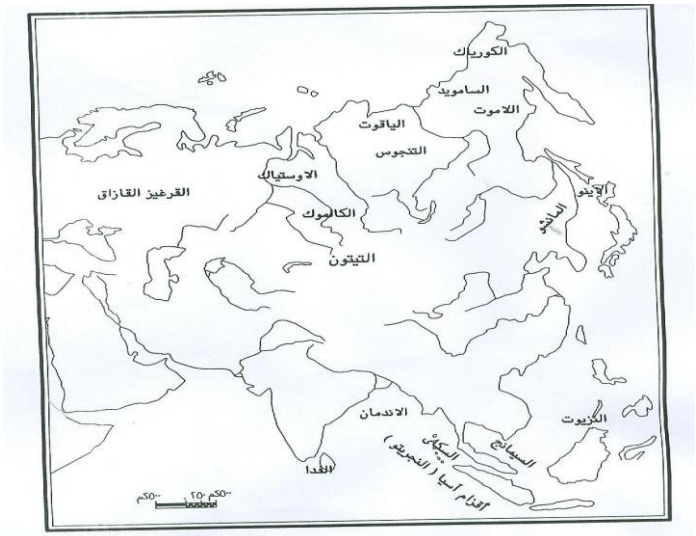

الجماعات البشرية القديمة فى قارة آسيا

صفاتهم السلالية : القامة القصيرة 148سم ، لون البشرة الداكن الشعر المفلفل ، الرأس العريض ، الشفاء الغليظة ، أعضاء الجسم متناسقة (عكس أقزام أفريقيا) ، وأهم أقزام آسيا :

(أ)**السيمانج** :

تعيش جماعات السيمانج فى قلب شبه جزيرة الملايو ، وقد اختلطوا بسكان الملايو المغول مما عدل كثيرا من صفاتهم ، ولا تزال هذه الجماعات تعيش فى حضارة العصر الحجرى القديم برغم توغل المؤثرات المغولية والصينية إليها ، ويعيشوا فى جماعات صغيرة (20– 30 شخص) ويمثل

الصيد بالقوس والسهم أهم حرف السيمانج بالإضافة إلى الجمع والالتقاط ، ولا تزال الأدوات الحجرية مستخدمة فى حياتهم .

(ب) الإندمان :

تستقر هذه الجماعة بجزر الإندمان (شرق الهند) ، وهى جماعات تعيش على الصيد البحرى (الأسماك – السلحفاء) ، أما السكان فى داخل الجزيرة جامعى ثمار وصيادى بر ، وتقوم بينهم صناعة الفخار ويبدوا أنهم اقتنوا بعض مظاهر الحضارة من خلال احتكاكهم بجيرانهم مثل سكان جزر نيوكوبار .

(جزر الإندمان ونيوكوبار)

ويتشابه الإندمان بدرجة كبيرة مع البشمن – فى أفريقيا – من حيث الصفات السلالية وأيضا فى ظاهرة "كبر العجز "عند النساء ، إلا أن فصائل الدم لا تظهر أى صلة جنسية بينهم ، مما رجح العلماء أن يكون الطفرة هى المسئولة عن هذا التشابه ، وفى الوقت الذى تشير إليه فصائل الدم هو وجود صلة قرابة بين جماعات النجريتو بآسيا .

(3) الفدا :

أقدم الجماعات البشرية التى عمرت شبه القارة الهندية ، وتستقر جماعات الفدا حاليا فى المناطق النائية بوسط وجنوب الهند ، بعدما كانوا أكثر انتشارا

فى كامل شبه القارة خلال الأزمنة التاريخية السابقة قبل وصول المجموعات القوقازية الأقوى .

وتصنف جماعات الفدا سلاليا ضمن السلالة القوقازية ودخلوا الهند من الاتجاه الشمالى الغربى عبر ممر بلوخستان ، وقد تعرضت بعد ذلك لضغط جماعتين أقوى منها وهى الجماعات الآرية الزراعية التى وفدت من الشمال والجماعات الدرافيدية التى وفدت من الجنوب واضطروا للانزواء فى مناطق عزلتهم الحالية .

صفاتهم السلالية : القامة القصيرة ، لون البشرة الشوكلاتى ، الشعر الأسود شديد التموج ، الأنف العريض ، الحواجب البارزة ، الشفة الممتلئة ، الذقن البارز ، الرأس الطويل جدا .

وهناك مجموعة من الفدا تعيش فى غابات سيلان وتشبه جماعات الفدا التى توجد بالهند ، على أنهم أقصر قامة ، ولا تزال أنقى جماعات الفدا تعيش فى شرقى سيلان وهم خير ممثلى لجماعات الفدا الأصلية ، ولا تتخطى حضارتهم العصر الحجرى القديم .

(4) التونجوس : إحدى الجماعات المغولية الحقيقية وكانوا يشغلون مساحة شاسعة فى شمال شرق آسيا بين دائرة عرض 40 ^{5} شمالا والدائرة القطبية وهى جماعات رعوية وتسود بين البعض منهم الزراعة المتنقلة خاصة حول نهر آمور ، أما الجماعات التى تعيش على ساحل الهادى يعتمد نشاطها على الصيد البحرى ،فى حين يمثل حيوان الرنة عماد الجماعات الداخلية.

ويمثل الرنة أهم مورد

اقتصادى فى إقليم التونجوس ليس كمادة غذائية بل كوسيلة نقل حيث يتفوق على الحصان فى السير فى الأقاليم الجليدية والمستنقعات المتجمدة ، وينقسم التونجوس إلى عدة مجموعات أهمهم حاليا جماعة الكلارا شمال شرقى بحيرة بيكال.

(5) الساموید :

تتشابه مع التونجوس سلالياً إلا أن أبرز صفاتهم القامة القصيرة ، الرأس العريضة ، الوجه العريض ، عظام الوجنات البارزة ، وقد حدث اختلاط بين جماعات الساموید والقوقاز حيث تبدو فيهم بعض الصفات القوقازية .

ويعيش الساموید فى سيبريا بين نهر ينسى ومرتفعات الأورال وتعد الجماعات الغربية منها أكثرها تأثرا بالدماء القوقازية ، وتسود بينهم اللغة الآرية ، ويتشابه الساموید كثيراً فى أسلوب حياتهم مع جماعات التونجوس.

(6) القرغيز والقازاق :

تعيش هذه الجماعات شمالى سيبريا وقد اختلطوا مع العديد من الجماعات القوقازية فاختلفت صفاتهم عن المغول الحقيقيين ، فلون البشرة فاتح ، والعين المنغولية ، والشعر أكثر كثافة ، وكان القرغيز والقازاق مستقرين فى بداية الأمر بهضاب وسط آسيا مما جعل حرفة الرعى هى أساس نشاطهم الاقتصادى أما فى منطقة عزلتهم الحالية فقد تغيرت طرق حياتهم وأسلوب معيشتهم ، فأصبح صيد الرنة هو عماد اقتصادهم .

ثالثا: أوروبا:

توجد فى أوروبا عدة جماعات قديمة تنتمى إلى السلالة القوقازية ،وتعيش فى أقاليم بشمالى القارة ، مثل :

(1) اللاب: تعيش هذه المجموعة شمالى أوروبا ، وتحديدا فى مرتفعات شبه جزيرة إسكيندناوه وفى إقليم التندرا شمالى فنلندا وشبه جزيرة كولا ، وينقسم اللاب إلى مجموعتين ، الأولى وهم رعاة الرنة والأخرى صيادى الأسماك ، والجماعة الأخيرة استقرت منذ فترة طويلة مؤسسةً محلات عمرانية خاصة بها بعد أن أصبح صيد السمك هو الحرفة الرئيسة لها .

صفاتهم السلالية : الرأس العريض ، الوجه العريض ، عظام الوجنات البارزة ، وتبدو هذه مسحة مغولية نتيجة اختلاطهم بجماعات الساموید ، القامة القصيرة (155سم) ، الشعر البنى ،ويعد اللاب مرحلة سلالية من مراحل تطور السلالتين القوقازية والمغولية حيث تعد المجموعة البيضاء القديمة أسلاف اللاب ، حيث كان موطنهم الأصلى غرب سيبريا ثم تحركوا غربا حتى مواضع عزلتهم الحالية .

(2) الباسك :

تشغل بلاد الباسك مساحة من الأرض تزيد على 20752كم2، موزعة بين إسبانيا وفرنسا وهي منطقة تمتد من النهايات الغربية لجبال البيرينه شرقاً، حتى خليج بسكاي غرباً. ومن مجرى نهر الجارون في فرنسة شمالاً، حتى سلسلة جبال البيرينه جنوباً، وتعد منطقة كنتابرية الإسبانية المعقل القومي للباسك.

يرجع تاريخهم إلى ما قبل التاريخ ويُطلق عليهم طلائع البحر المتوسط ، حيث انحدروا من رعاة العصر الحديث وحافظوا على عزلتهم حتى الوقت الراهن بشمالى أسبانيا وجنوب غربى فرنسا ويتحدث الباسك لغة خاصة بهم تعرف باسم "الأوسكريان Euskarians " وهذه اللغة لاتنتمى إلى اللغات هند – أوربية السائد فى أوروبا .

صفاتهم السلالية : القامة المتوسطة النحيفة ، الأنف الرفيع ، الوجه الضيق ، الحواجب البارزة ، الرأس الطويل وأيضا هناك الرأس العريض ،وتسود بينهم صفات الشقرة .

وترتفع في دماء الباسك نسبة الزمرة الدموية O ونمط الدم الفرعي Cme، مما يدفع إلى الاعتقاد أن الباسك بقوا مدة طويلة من الزمن وهم في عزلة تامة، قبل أن يختلطوا بالعناصر الآرية التي جاءت فيما بعد إلى أوربة قادمة من آسيا.

يعتمد اقتصادهم على صيد الأسماك والتجارة البحرية حيث كانت لهم صلات تجارية مع بقية دول أوروبا مما أعطى الاقتصاد الباسكى قوة ،

ويحاول الباسك حاليا إقامة دول خاصة بهم شمالى أسبانيا مستخدمين فى ذلك وسائل متعددة.[1]

ويسود الاعتقاد بين العلماء أن الباسك يمثون مجموعة منعزلة نقية تعود إلى بداية العصر الحجرى الحديث ، لذلك يعتبرهم البعض أسلاف لسكان البحر المتوسط .

رابعا: العالم الجديد (الأمريكتان):

تدل القرائن الأثرية إلى أن وصول الإنسان للعالم الجديد لا يزيد على عشرة ألاف سنة سابقة ، وذلك عن طريق مضيق بهرنج ، وهى فترة حديثة فى تاريخ تعمير الكرة الأرضية مقارنة بالعالم القديم ، وتعود العناصر التى وفدت إلى العالم الجديد إلى السلالة البيضاء القديمة أو أسلاف المغول ، حيث تبدو عليهم بعض الصفات المغولية ، ويعتبر الإسكيمو والهنود الأمريكتين أقدم الجماعات البشرية فى العالم الجديد .

(1) الإسكيمو :

أكتسب الإسكيمو هذا الاسم كونهم "آكلى اللحوم النيئة حيث أطلق عليهم الهنود الأمريكيون هذا الاسم وهم يعرفون أنفسهم " بالأنويت Inuit"أى الشعب ، والإسكيمو ينتمون سلاليا إلى المغول الحقيقيين ، وتتمثل صفاتهم السلالية فى الرأس العريض والوجه العريض والعين المغولية ، القامة القصيرة ، الفك الكبير القوى وهو سمة خاصة بهم تساعدهم فى أكل اللحوم النيئة .

ينتشر الإسكيمو فى إقليم واسع يشمل السواحل الشمالية لقارة أمريكا الشمالية أبتداءاً من مضيق بهرنج فى الغرب حتى شرق جزيرة جرينلند لمسافة تقترب من

1. يعيش منهم حاليا 2 مليون نسمة تقريبا في شمالى أسبانيا وحوالي 250 ألف نسمة في جنوب غربى فرنسا.

3500ميل ، وتدل الآثار على وصولهم إلى قارة أمريكا الشمالية فى فترة متأخرة فيما بين الألف الثالثة أو الثانية قبل الميلاد ، واستطاع الإسكيمو التلاؤم مع مقتضيات ظروف البيئة القاسية ساعدهم فى ذلك قوارب الكاياك والرمح ، وقد تعرضوا لمخاطر عديدة عقب كشف العالم الجديد حيث انتشرت بينهم الأمراض والأوبئة وانتشرت كذلك بينهم عادات الأوروبيين مما عرضهم لتناقص أعدادهم .

وتعد مشكلة الغذاء هى أكبر العقبات التى تواجه الإسكيمو فى هذه البيئة القاسية ، فيعتمدون على الصيد خاصة حيوان الكاريبو والذى يمثل المصدر الأساسى للغذاء بل الحياة نفسها ، وهناك أيضا سبع البحر والذى يُشكل قيمة غذائية فى البيئة الباردة ، والتى تستلزم منهم إرتداء الملابس الثقيلة والتى تصنع من فراء حيوان الكاريبو.

(2) الهنود الأمريكيون : **Amerindians**.

أُطلق على هذه المجموعة خطأ اسم "الهنود الحمر" وهى تسمية أطلقها عليهم المستكشفون الأوروبيون عندما اعتقدوا أنهم اكتشفوا جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) ومع بشرتهم النحاسية ، أطلق عليهم الهنود الحمر ، على الرغم من أنهم ليسوا بالهنود ولا الحمر .

صفاتهم السلالية : الشعر المستقيم الأسود الخشن ، ندرة الشعر على الوجه والجسم ، لون البشرة النحاسى أو الأصفر ، الأنف المستقيم وأحيانا المحدب ، العين المغولية ذات اللون البنى ، الوجه العريض ، الحواجب البارزة ، بروز الوجنتين ، وإن وجدت اختلافات سلالية عند بعض الجماعات الفرعية من الهنود الأمريكتين .

التوزيع الجغرافى للهنود الأمريكيين : ينتشر الهنود الأمريكيون على طول الساحل الغربى للأمريكتين ، ففى قارة أمريكا الشمالية يتوزع الهنود الأمريكيون فى عدة أقاليم أهمها .

الساحل الغربى من آلاسكا حتى كاليفورنيا حيث العمل بصيد السلمون من المحيط الهادى .

المنطقة القطبية الشمالية حيث يجاوروا الإسكيمو ويمارسون نفس نشاطهم .

هنود السهول الوسطى ، ويعتمدون على صيد حيوان البيسون .

هنود الأقاليم الشمالية حيث نشاط قطع الأخشاب فى الغابات الصنوبرية.

زراع الذرة فى الأودية النهرية بأقاليم أريزونا ونيومكسيكو وغربى نهر كولورادو.

إقليم الحضارات فى أمريكا الوسطى :

أهم أقاليم الهنود الأمريكيين حيث أسسوا أقدم حضارات العالم الجديد وأشهرها (ألتوليتك – المايا – الأزتك) ، وتتسم

هذه الجماعات بالاستقرار فى أمريكا الوسطى وهضاب المكسيك حيث كان الذرة أهم المحاصيل التي اعتمدت عليه هذه الحضارة .

أما هنود أمريكا الجنوبية فيتركزون في عدة نطاقات :

– هنود الكاريبي ، ويعد الصيد والزراعة أهم الأنشطة التي يمارسها هنود ساحل الكاريبي .

إقليم الغابات المطيرة ، حيث ينتشر الهنود على مساحة واسعة بأمريكا الجنوبية والوسطى ، وتمثل حرف الصيد والجمع والالتقاط أهم المناشط التى يمارسها هنود الغابات المطيرة ، وإن مارسوا الزراعة المتنقلة على هوامش الغابات .

نطاق زراع الإنديز : وينتشر هنا هنود الإنكا أصحاب الحضارة الشهيرة وتقارن بحضارة الأزتك بالمكسيك والمايا فى يوكاتان ، وتدل بقايا حضارتهم من معابد ومقابر وطرق معبدة على ازدهار هذه الحضارة فى المائة الثالثة قبل الميلاد.

جامعى القوت : ينتشر هؤلاء الهنود من البرازيل شمالاً حتى رأس هورن جنوبا ، ويعيشون على الصيد والتقاط الطعام ويتشابه هنود أمريكا الجنوبية سلالياً مع نظراتهم الشماليين فى تباين الثقافات وتعدد

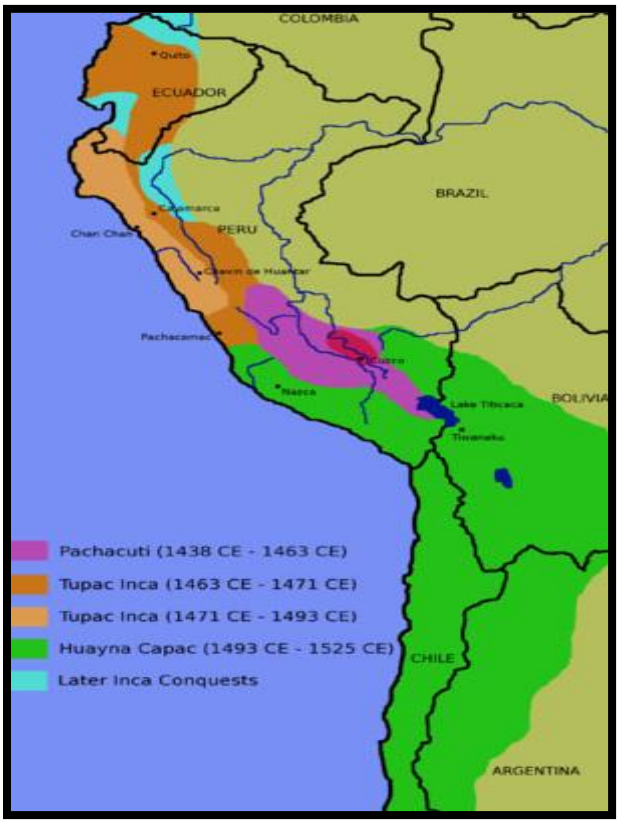

اللغات التى تنشر بينهم .

وقد حدث مؤخرا اختلاط سلالى بين الهنود الأمريكيين وسكان أمريكا الشمالية من القوقاز البيض مما أوجد سلالة مولدة تعرف باسم "المستيزو Mestiso "، فى حين نتج عن اختلاطهم بالزنوج سلالة "الزامبو Zambo " أما السلالة المولدة التى تعرف باسم "الشيجرو Chigro" فهى نتيجة تزاوج الهندى الأمريكى والصينى

الحديث .

خامسا : أستراليا وجزر المحيط الهادى :

تحتوى حاليا على عدة مجموعات قديمة جدا ، سواء كانت هى مواطنها الأصلية أو وافدة إليها من أندونيسيا أو جنوبى الصين ، فهناك الأستراليون الأصليين والتى تعد من أقدم الجماعات البشرية كما تدل على ذلك صفاتها السلالية والتى تتمثل فى الحواجب البارزة والجبهة المتقهقرة وكبر الأسنان ، وهذه الصفات كانت من سمات الحفريات الإنسانية الأولى والتى تعود للبلايستوسين الأعلى .

ونظرا لقدم هذه الجماعات فقد ظهرت تنوعات سلالية كثيرة بين المجموعات التى تنطوى تحتها سواء كان للطفرة دوراً فيها أم الاختيار الطبيعى وهذا بدوره يرجع للبيئة والظروف المناخية ، وغيرها من العوامل التى ميزت هذه الجماعات سواء التى استقرت داخل أستراليا أم توجد بجزر المحيط الهادى .

(1)**الأستراليون الأصليون :** يمثلون إنسان العصر الحجرى القديم مثل إنسان جاوة أو بكين ، ولازالوا حتى الآن يعيشوا فى حضارة هذا العصر حتى لم يعرفوا الزراعة أو استخدام المعدن ، ويرجح أن يكون جنوب شرق آسيا موطنهم

الأصلى ومنه انتقلوا إلى أستراليا عن طريق المعابر الأرضية التى كانت من نتائج العصر الجليدى [1] ، وذلك فى نهاية عصر البلايستوسين.

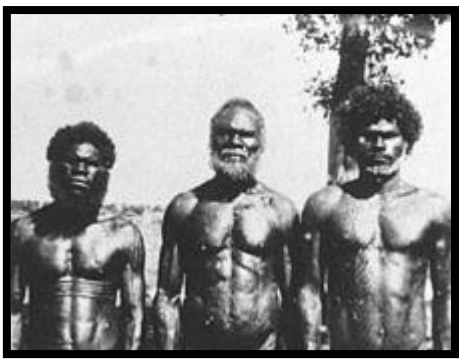

صفاتهم السلالية : الرؤوس الطويلة ، الجبهة المتقهقرة ، الأنف العريض المفلطح ، الفك البارز ، الأسنان الكبيرة ، لون البشرة الداكن ، والقامة المتوسطة ... ويستقر الأستراليون الأصليون فى عدة أقاليم منعزلة داخل أستراليا ، مثل حوض نهر مرى وجيبسلاند ووسط الصحراء الأسترالية ، وأيضا فى نطاق الغابات المطيرة فى كوينزلاند .

يستخدم الأستراليون أدوات حجرية بدائية وبعض الآلات الدقيقة كرؤوس الحراب والفؤوس الحجرية وغيرها من الآلات التى تصنع من الأحجار أو عظام الحيوان ، ويستغلون جذوع الأشجار لركوب الماء ، أما سكان الغابات فى كوينزلاند يستخدموا السهام والنبال فى عملية الصيد وقد تعلموا الصيد وأدواته من جماعات البابون الذين يعيشون فى نيوغينيا .

1- كانت نيوغينيا متصلة بآسيا إبان العصر الجليدى وعن طريقها انتقل السكان إلى استراليا وجزر المحيط الهادى .

يشكل الأستراليون الأصليون أكثر جماعة سلالية منعزلة فى العصر الحديث وتعود حضارتها إلى العصر الحجرى القديم ، وعند اكتشاف أستراليا خلال القرن السابع عشر كان حجمهم السكانى يزيد على ثلث مليون نسمة تعيش فى عشائر مختلفة تزيد على خمسمائة عشيرة ، وقد تعرضوا للإبادة والتناقص السريع حيث لايزيد عددهم حاليا على ثلاثين ألف نسمة يعيشون فى "مخصصات Reserves" خاصة بهم وفى ظروف غاية فى الصعوبة من حيث قسوة البيئة أو الظروف المعيشية .

(2) التسمانيون:[1]

إحدى المجموعات القديمة والتى كانت تعيش فى جزيرة تسمانيا ، والتى انتقلت إليها من جنوب شرقى آسيا ، شأنها فى ذلك بقية الجماعات القديمة فى هذا الإقليم ، إن كانت بعض الآراء ترى أنهم انتقلوا إلى تسمانيا من أرخبيل ميلانزيا وليس من جنوب شرق آسيا أو حتى أستراليا.

ويشبه التسمانيون سلاليا أقزام آسيا "النجريتو"من حيث طول القامة والرأس المستدير ولون البشرة

1 خير نموذج للجماعات القديمة والتى تعرضت للانقراض الكامل ، حيث انقرض آخر عنصر تسمانى نقى فى نهايات ستينيات القرن العشرين ، وتعطى مؤشراً لنفس المصير الذى ينتظر هذه الجماعات .

النحاسى ، ومما عجل بانقراض هذه المجموعة عزلتهم الشديدة بتسمانيا ، وعدم اختلاطهم بجيرانهم سواء فى أستراليا أو ميلانزيا ، وبعد الكشوف الجغرافية ووصول الرجل الأبيض لتسمانيا وانتقلت إليهم الأمراض والأوبئة التى تفشت بينهم وقضت عليهم.

(3) البابوان :

يتركز البابوان حاليا فى جزيرة نيوغينيا منتقلين إليها من جنوب شرق آسيا ، وذلك عن طريق شبه جزيرة الملايو ، حيث يدل على ذلك بقاياهم الأثرية فى هذه المناطق .

صفاتهم السلالية : البشرة البنية ، القامة المتوسطة أو الطويلة الجبهة المتقهقرة ، الوجه العريض ، الأنف المعقوف[1] أو المقعر ، الشعر المفلفل ، الشفاه الغليظة ... ويمثل البابوان إحدى السلالات الفرعية للميلانزيين .

ويعيش البابوان فى عشائر منعزلة داخل الغابات المدارية المطيرة فى نيوغينيا حيث يمارسون الصيد بأدوات بسيطة مثل القوس والسهم .

وككل الجماعات السلالية فى هذا الإقليم تتعرض للتناقص الشديد وتدنى حجمهم كثيرا .

(4) البولنزيون :يقع أرخبيل يولنزيا فى وسط المحيط الهادى ويتكون من عشرات الجزر ، أهمها

[1] - أثارت هذه الصفة " الأنف المقعوف " تساؤلات عديدة من الباحثين حيث تظهر هذه الصفة فى الأرمن " إحدى سلالات البحر المتوسط " وهى صفة ارتبطت باليهود بصفة خاصة فكان التساؤل ماهى الصلة بين هذا فى غابات نيوغينيا والآخر والذى كان يتركز فى وسط آسيا الصغرى !! وإن كانت الطفرة أو الاختيار الطبيعى مسئولاً عن هذا .

هاواى ، تاهيتى ، ساموا وتونجا ،أستر ، ماركيز .... وقد عمرت هذه الجزر بالسكان خلال الألف السادسة قبل الميلاد حيث تشير الأدلة بذلك ، وتعد جزر تاهيتى أولى المواقع التى عمرت من أرخبيل بولنزيا وذلك حوالى 6000 ق.م

أما جزيرة أستر فوصل إليها السكان خلال المائة الرابعة ق.م.وهاواى خلال المائة الثانية قبل الميلاد ..، وقد تباينت الآراء بشأن كيفية الوصول إلى أرخبيل بولنزيا فهناك رأى تقليدى يرى أنهم وفدوا من جنوب شرق آسيا ، أما "داهل Dahel" يرى أنهم من الأمريكتين إلى جزر المحيط الهادى ، فى حين تدل البقايا الأثرية على أنهم نشأوا جنوبى الصين فى منطقة كانتون وجزيرة هاينان ثم منها إلى جزر الفلبين وعن طريق أرخبيل ميلانزيا انتقلوا إلى بولنزيا .

صفاتهم السلالية : أطول السلالات البشرية (المتوسط 175سم)، لون البشرة النحاسى، الرأس الطويل أو العريض ، الوجه الطويل الضيق، عظام الوجنات مرتفعة ، العين الواسعة وليست منحرفة ، الشفاه الرفيعة، بالإضافة لصفة نادرة تميزهم وهى "الفك السفلى المنحنى Racker Jaw" وتدل صفاتهم السلالية على أنهم نتاج اختلاط بين السلالة المغولية والمجموعة البيضاء القديمة .

كان حجم سكان بولنزيا قبل اكتشاف الأوروبيين لهذه الجزر كبيرا ، وكانت حضارتهم تنتمى للعصر الحجرى الحديث ولم يتوصلوا لمعرفة المعدن ، إلا أنهم تعرضوا للتناقص الشديد منذ القرن الثامن عشر شأنهم فى ذلك بقية الجماعات القديمة ، فمثلا كان سكان هاواى أكثر من ربع مليون نسمة قبل حركة الكشوف الجغرافية ،ولا يزيد حالياً سكان هاواى الأصليين عن 10ألاف نسمة ، وهذا نموذج فقط لمجموعة جزرية واحدة من أرخبيل بولنزيا ، وينطبق نفس القول على بقية الجزر مثل أستر وتاهيتى وغيرهما .

والملاحظ على سكان أرخبيل بولنزيا اندماجهم مع الحضارة الأوروبية واختلاطهم سلالياً واجتماعياً مع الوافدين الجدد ،مما مكنهم من اكتساب مقومات الحضارة الحديثة ، وتقع أغلب جزر هذا الأرخبيل تحت نفوذ

الولايات المتحدة الأمريكية سواء بالانضمام المباشر (هاواى)أو الحماية العسكرية لبقية الجزر الأخرى ، والتى تمثل فى نفس الوقت قواعد بحرية أمريكية .

يعطى هذا التوزيع للجماعات البشرية القديمة عدة دلالات أهمها :

– تمثل هذه الجماعات بقايا سلالات بشرية قديمة ، أختلط العديد منها مما مكنها من الاستمرارية ، أما الجماعات التي انعزلت فقد انقرضت أو فى سبيلها للانقراض .

– لاتتعد حضارة هذه الجماعات حضارة العصر الحجرى الحديث ، حيث لم تستخدم المعدن ولم تعرفه حتى الآن ، فاقتصادها قائم على القنص والصيد أو الجمع والالتقاط حسب بيئة كل منها، وأحيانا الزراعة البدائية أو المتنقلة.

– وصلت بعض من هذه الجماعات إلى مراحل حضارية متقدمة وهي هنود الحضارات في أمريكا الوسطى والجنوبية (الإنكا – الأزتك – المايا) وساعدهم في ذلك توصلها للزراعة خاصة الذرة ، مما مكنها من تشييد حضارة مزدهرة منذ المائة الخامسة قبل الميلاد ، ولكنها تعرضت هذه الحضارات للتدمير والتخريب بعد الكشوف الجغرافية ووصول الأسبان لهذا الإقليم .

– يتهدد العديد من هذه الجماعات خطر الانقراض – ومنها ما انقرض فعلا كالتسمانيين – بسبب عوامل متعددة مثل الاحتكاك الأوروبي وما نقله من عادات وتقاليد غير معروفة لهذه الجماعات (التدخين، الخمور ، الأمراض ، الأسلحة النارية ..) بل وصل الأمر إلى إبادة هذه الجماعات

بصورة متعمدة من قبل الرجل الأبيض (الهنود ، الاستراليون ، البشمن ، الإسكيمو)

– تؤثر البيئات الجغرافية القاسية (الجليد ، الصحراء ، الغابات) في معيشة هذه الجماعات ذات الإمكانات الفنية والتقنية المحدودة فموجات الجفاف أو البرودة الشديدة أوغير ذلك ، فقضى على الكثير منهم ، مما أثر كثيراً على حجم هذه الجماعات ، ويتطلب الأمر تكاتف كل الجهات سواء المنظمات الدولية والأهلية أو جمعيات حقوق الإنسان للحفاظ على البقية المتبقية من هذه المجموعات .

الفصل السابع

جغرافية مصر السلالية

تعد مصر بموقعها الجغرافى المتميز فى الركن الشمالى الشرقى لأفريقيا إحدى المحطات الأساسية للجماعات البشرية الوافدة سواء من الجنوب مثل الحاميين الشرقيين أو الشمال الشرقى بالنسبة للساميين وأيضاً محطة انتقال للجماعات التى وفدت إلى شمالى أفريقيا عن طريق برزخ السويس مثل الساميين والآرمن وغيرهم.

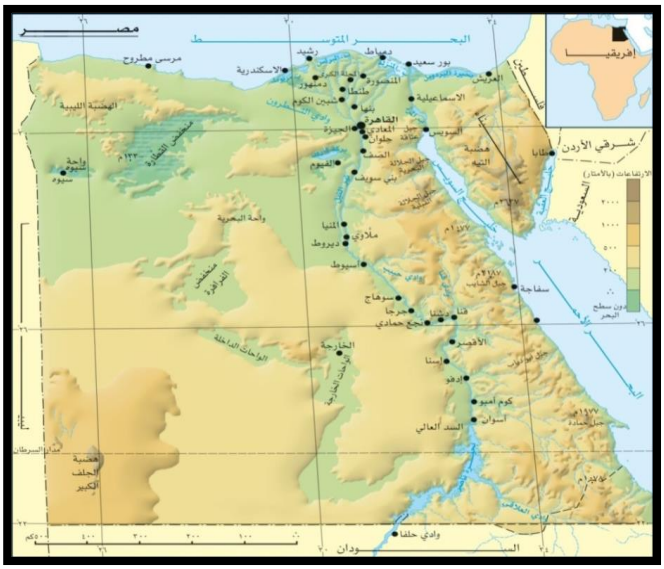

ينتمى أقدم المجموعات المصرية إلى الحاميين الشرقيين، ويبدو أن معظم سكان مصر فيما قبل الأسرات كانوا من هذه المجموعة الجنسية ولا سيما فى مصر العليا، ويقدم "أليوت سميث Smith, E."وصفاً لسكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات بناء على الهياكل المكتشفة، فكانت الصفات كالتالى: الحجم الضئيل، العضلات الضعيفة، الشعر الأسمر الغامق أو الأسود، المستقيم أو المموج، ليست هناك مسحة زنجية على الإطلاق، شعر الجسم والوجه قليل، شكل الرأس مستطيل ضيق وكذلك الجبهة، والوجه طويل ضيق، الأنف أكثر عرضاً وتسطحاً من أنوف الأوروبيين، ورغم ذلك لا يمكن القول بأن هذه الصفة الأنفية من تأثير زنجى.

ويلاحظ أن هذه الصفات تقترب من سكان شواطىء البحر المتوسط الأوروبية والأفريقية كما تتشابه مع سكان النوبة بالرغم من تأثرهم ببعض المؤثرات الزنجية.

على ذلك تكون الصفات الجنسية للمصريين آنذاك من حيث طول القامة حوالى 160سم، وقليلاً ما تزيد عن ذلك، النسبة الرأسية 73% فى الجماجم، ويعادل ذلك 75% فى الأحياء، النسبة الأنفية حوالى 50% فى الجماجم، يلاحظ أن هذه المقاييس التى أخذت لهياكل المصريين فى عصر ما قبل الأسرات تنطبق إلى حد كبير مع قبائل البيجا الحالية تلك القبائل التى تسكن الصحراء الشرقية والبحر الأحمر وتنتشر فيما بين مصر والسودان حتى أثيوبيا وآرتريا.

البجا: تنقسم قبائل البيجا إلى أربع مجموعات وهى من الشمال إلى الجنوب:

1. **العبابدة:** يتركزون بصحراء مصر الشرقية.
2. **البشاريون:** يمتدون بجنوبى صحراء مصر الشرقية إلى شرق السودان ويشغلون مساحة من الأرض على نهر العطبرة فى الغرب.
3. **الهدندوة:** مجموع من القبائل مثل "الأمرار والنوراب والأشراف والأرتيجة...."، وتمتد هذه المجموعة فيما بين طوكر وخور بركة.
4. **بنى عامر:** يشغلون الإقليم فيما بين خور بركة وينتشرون فى أثيوبيا وأرتريا، وعن طريق مقارنة كل من النسبة الرأسية وطول القامة يتضح أوجه التشابه بين المصريين فى عصر ما قبل الأسرات وبين جماعات البيجا الحالية:

المجموعة	النسبة الرأسية	طول القامة
العبابدة	73.7	160 سم
البشاريون	74.7	166 سم
الهدندوة	76.3	163 سم
بنى عامر	74.7	161 سم
أسلاف المصريون	74.9	160 سم

والملاحظ أن العبابدة وبنى عامر هم أكثر جماعات البيجا قرباً للمصريين القدماء، أما البشاريون والهدندوة فقد ابتعدوا بعض الشيء عن الصفات المصرية القديمة، وربما راجع ذلك إلى تأثيرات سلالية خارجية، ويلفت الانتباه إلى أن الأرقام السابقة للمصريين القدماء قد زيدت بمقدار وحدتين من وحدات القياس لكى تصح مقارنتها برؤوس الأحياء، ومعنى ذلك أنه يمكن اتخاذ الشكل الحالى لقبائل بنى عامر والعبابدة ممثلاً لشكل المصريين فى عصر ما قبل الأسرات، وقد ساعدت عوامل العزلة فى نقاء هذه المجموعات واحتفاظها فترة طويلة بنقائها السلالى.

وإدراج المصريين ضمن المجموعة الحامية الشرقية هو الرأى السائد بين جمهرة الأنثربولوجيين والأكثر قبولاً، وهذه المجموعة تنتشر حالياً فى كل شمال شرق أفريقيا حتى القرن الأفريقى، ويؤلفون مع الحاميين الشماليين فى شمال غربى أفريقيا مجموعة لغوية واحدة،فهما معاً يكونان وحدة إثنولوجية واحدة من أصل واحد مشترك.

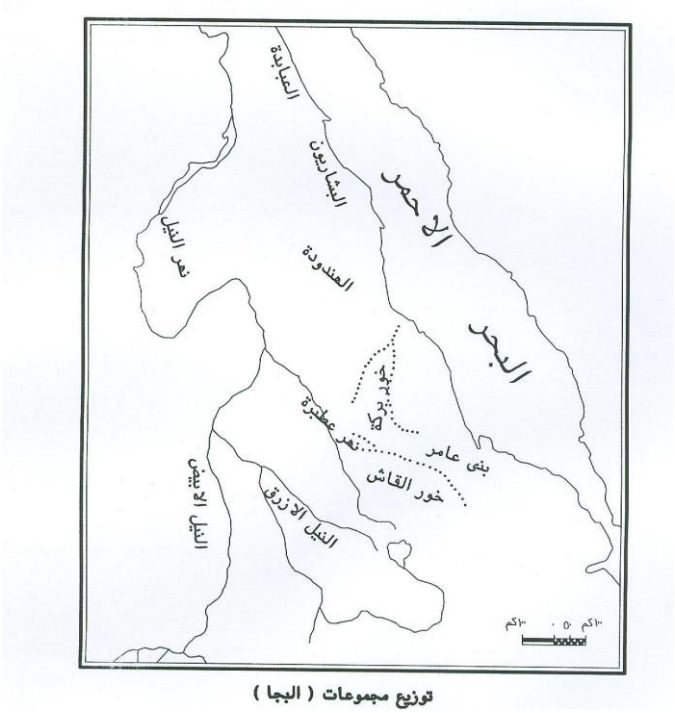

توزيع مجموعات (البجا)

والمتفق عليه أن الموطن الأصلى للحاميين هو آسيا وبصفة خاصة جنوب الجزيرة العربية، وقد انتقلوا إلى مصر عن طريق الصحراء الشرقية ومنها انحدروا إلى وادى النيل عن طريق وادى الحمامات (طريق قفط . القصير حالياً)، ومنذ ذلك الوقت شكل الحاميون الشرقيون الفرشة الأساسية والأساس القاعدى فى تكوين مصر الأنثربولوجى، وقد تركوا أثناء وفودهم لمصر من الصحراء الشرقية عناصر منهم انتشرت فيما بين أرتريا حتى جنوب صحراء مصر الشرقية وهذه الجماعات هى التى تعرف باسم "البيجا" السابق الحديث عنها، والذين وصفهم "سليجمان Seligman" بأنهم "قدماء المصريين الأحياء".

أما سكان مصر فى العصر الحجرى القديم الأعلى فقد كان من الجنس الذى ساد إقليم شمال أفريقيا فى نفس الفترة وهو ما يعرف بالجنس الأوروبى الإفريقى، ويرى بعض الباحثين أن الجنس الذى ساد شمال أفريقيا فى

العصر الحجرى القديم الأعلى وفد إليه من وسط أفريقيا يحمل فى دمائه بعض الدماء الغريبة نتيجة اختلاطه بأجداد البشمن، ومن المحتمل أن تكون مصر قد تأثرت ببعض الهجرات من شمال أفريقيا تحمل دماء الخليط الذى يطلق عليه علماء الأنثربولوجا اسم "جنس المتقزمين Pygmoids" وكان ذلك قبيل قيام الحضارة السبيلية وهى حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى بمصر.

أما المصريين خلال العصر الحجرى الحديث فتتوفر عنهم معلومات أكثر مستمدة من جبانة حضارة البدارى التى تنتمى لذلك العصر، وكانت صفاتهم السلالية " القامة القصيرة الجسم النحيف، الرأس الصغير الضيق" وهم فى ذلك يشبهون سكان مصر فى مرحلة ما قبل الأسرات، وإن كانت هناك مسحة زنجية فى سكان البدارى.

ويرى "بيترى Petrie" أن أصحاب حضارتى البدارى والفيوم قوقازى الأصل ويذكر أنهم فرع من العائلة التى هاجرت إلى أوروبا وأسست

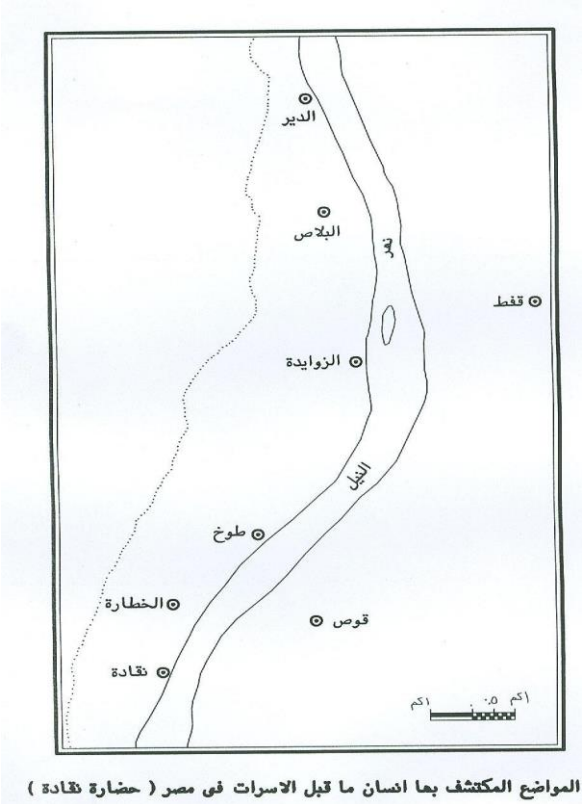

المواضع المكتشف بها انسان ما قبل الاسرات فى مصر (حضارة نقادة)

الحضارة السولترية مستنداً فى ذلك للتشابه الموجود فى الصناعة الصوانية بين الحضارتين وهى الآلات التى على شكل ورقة الصفصاف، ولكن ذلك التشابه السطحى والخفيف لا يعضد ذلك الرأى كما أن البداريين كانوا ضيقى الرأس ذو مسحة زنجية وهذه صفات بعيدة عن الرؤوس العريضة التى خرجت من منطقة القوقاز وأرمنيا (الألبيون).

وقد أدى ظهور بعض الصفات الزنجية فى سكان البدارى إلى وجود رأى يفترض أن جنساً زنجياً لم تكتمل صفاته انتقل من جنوبى مصر وامتد شمالاً حتى وصل لأوروبا حتى البرتغال وشمال إيطاليا فى أواخر البلايستوسين ويستشهد أصحاب هذا الرأى بهيكل إنسان جريمالدى والمكتشف بمونت كارلو جنوبى فرنسا وكذلك التماثيل ذات العجز الضخم التى تعود للعصر الحجرى القديم فى فرنسا وشمال إيطاليا وروسيا واكتشفت أيضاً فى هذه الأجزاء أقدم أنواع الفخار الأسود ذى الخطوط وهو نفس فخار البدارى أيضاً.

أما الهياكل البشرية لملوك الدولة المصرية الموحدة خاصة الأسرة الأولى فتدل على أن رؤوسهم كانت عريضة نسبياً وهياكلهم أقوى من عصر قبل الأسرات، ويظهر كذلك بالمقابر الملكية ابتداء من الأسرة الثالثة ثم الرابعة حيث ظهر عنصر عريض الرأس من الجنس المعروف باسم "السلالة الجيزاوية" أو الآرمنية.

ومن المرجح أن تكون دخلت على المصريين تغيرات وتأثيرات سلالية بدءاً من العصر التاريخى، حيث لوحظ على هياكلهم فى عصر بناة الأهرام بعض الضخامة فى التكوين العام ثم عرض الجمجمة والوجه وضخامة الفك، وهذا نتيجة لدماء أجنبية والتى قيل بأنها من دماء الأرمن،

على ذلك يمكن القول أنه بينما يمثل العبابدة وبنى عامر أسلاف المصريين فى فجر التاريخ، يمثلهم البشاريون والهدندوة فى العصر التاريخى، مع ملاحظة أن التأثيرات الأرمنية تزداد وضوحاً فى مصر السفلى عنها فى مصر العليا، لأن هذه التأثيرات جاءت عن طريق برزخ السويس فكان من الطبيعى أن تكون أقوى فى الدلتا عنه فى الصعيد.

وإن كان وضع مصر الفرعونية من الناحية الأنثربولوجية امتداداً لصورتها فيما قبل الأسرات كما أنها لا تكاد تختلف عن صورة مصر المعاصرة، غير أن الأدلة والشواهد القاطعة بأن هناك تغيراً تدريجياً حدث فى تركيب السكان منذ بداية عصر الأسرات وكما بدا فى السلالة "الجيزاوية" ذات الرؤوس العريضة والتى ظهرت خلال الأسرة الرابعة، وانتشرت هذه الصفات نحو الجنوب إبان الدولة الوسطى حتى بلغت النوبة فى نهايتها، وقد أتت هذه التغيرات عن طريق المؤثرات الأجنبية والمفترض أنها أرمنية ألبية.

وقد تعرضت مصر خلال القرن السابع عشر ق. م لغزو الهكسوس والذى كان استقرارهم بالدلتا فى فى المقام الأول وفى جزء من الصعيد أيضاً وقد طالت إقامتهم حوالى 150 سنة ويقدر عددهم "بيترى" بأكثر من 2 مليون، وإن كان ذلك التقدير مجرد تخمين لا سند له وفيه قدر كبير من المبالغة، ويدخل الهكسوس ضمن المجموعات السامية الآسيوية، ولم يترك الهكسوس أثراً جنسياً على المصريين، فالثابت أن الهكسوس من جانبهم أو "العامو" كما سماهم المصريون، أقاموا فى مصر كمجتمع مكتف بذاته أنثربولوجياً، بمعنى أنه كان يتزاوج داخلياً، بالإضافة إلى أنهم عاشوا فى عزلة تامة فرضها عليهم المصريون ولم يختلطوا بهم جنسياً فظلوا كجزيرة بشرية محاصرة، إلى أن نجح المصريون فى هزيمتهم وطردهم نهائياً من البلاد، وبذلك يمكن

الجزم بأنهم لم يتركوا أثراً جنسياً فى تكوين الشعب المصرى ولم يدخلوا دماءه.

ومن العناصر السامية التى دخلت مصر "اليهود" وكانوا يعرفوا فى النصوص المصرية باسم "الهابيرو . الخابيرو" أى البدو والكلمة تحريف لعبرى، وقد دخل اليهود مصر خلال القرن 18 ق. م بسبب أحدى موجات الجفاف التى دفعتهم كما حدث مع غيرهم . الهكسوس . فى الوفود إلى مصر، وترى بعض المصادر تزامناً فى التوقيت بين وفود الهكسوس واليهود وإن كانت آراء أخرى ترى أن اليهود أسبق فى الوفود من الهكسوس، والمؤكد أن إقامتهم بمصر طالت أكثر من ثلاثة أمثال إقامة الهكسوس.

وقد اقتصر الوجود اليهودى فى مصر على أرض "جاشان Gashen" (وادى الطميلات والشرقية) فكانت عبارة عن ممر أكثر منه مستقر، وقد عاش اليهود فى مصر أكثر من 400 سنة وقُدر حجمهم عند الخروج بحوالى 600 ألف نسمة، وكان وجودهم هامشياً على أطراف المعمور كما كان هامشياً فى حياة المصريين أنفسهم حيث تقوقعوا فى "جيتو" كبير، ومن ثم لم يتركوا أى أثر سلالى فى مصر.

أما فى القرن الثالث ق. م شهدت مصر هجرة يونانية قوية وحقيقية ويقدر عددها بحوالى 150 ألف وفى رأى آخر يقدر حجمهم بنسبة 2% من جملة سكان مصر آنذاك، وقد تركز الوجود الإغريقى فى الدلتا وخاصة فى النطاق الشبه متوسطى من شمال مصر خاصة فى مناطق مريوط، البحيرة، الفيوم، وقد أقام الإغريق بمصر كطائفة منعزلة مميزة إلى حد كبير.

وجاء التوطن الإغريقى حضرياً فى المقام الأول إى أنه لازم المدن "كنقراطيس، الفيوم، وفى الصعيد الأعلى" بطليماوس (المنشاة)، بالإضافة

إلى العاصمة الأسكندرية، وكان للإغريق أحياء خاصة بهم فى منف والمدن الكبرى فى كل من الدلتا والصعيد.

ورغم انعزال الإغريق فإن ذلك لم يمنع شيوع تزاوجهم مع المصريين وحدث ذلك على نطاق واسع ونشأت نتيجة لذلك جاليات مختلطة من المصريين والإغريق تركزت بالمدن، وتوحى بعض الدلالات بأن الإغريق النازحين إلى مصر لم يغادروها إلى وطنهم الأصلى، وإنما أقاموا بها نهائياً حتى ذابو فيها، وذلك إشارة إلى الأثر الجنسى للوجود الإغريقى من حيث لون البشرة الفاتح أو العيون الملونة وغيرها من هذه الصفات.

أما الوفود الكبير الذى تعرضت له مصر فقد حدث خلال القرن السابع الميلادى مع الفتح الإسلامى لمصر ثم توالى بعد ذلك عبر عدة مراحل، وإن كانت مقدمات ذلك الوفود سابقة على الفتح بحوالى خسمة قرون، وكانت القبائل فى هذه المراحل تفد من جنوبى الجزيرة العربية وشمالها كقبائل "جهينة وبلى" واستقرت هذه العناصر على الهامش الشرقى لمصر وكانت تقوم بدور تجارى، أما الوفود المصاحب للفتح فقد شكل المرحلة الثانية حيث وفدت عديد من القبائل من مناطق متعددة وعناصر مختلفة من شبه الجزيرة العربية واستمرت هذه المرحلة حتى القرن الثالث عشر الميلادى، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهى انقطاع الهجرات الشرقية وذلك بسبب اختلاف نوعية حكام مصر، وإن تلقت مصر هجرات وافدة من الغرب أو بلاد المغرب خلال هذه المرحلة حتى عصر محمد على (القرن التاسع عشر).

تحولت عملية الوفود العربى لمصر إلى هجرات كبرى واسعة النطاق مختلطة النوع فقد أخذت مجموعات وبطون القبائل العربية تنزح إلى مصر أولاً فى موجات محدودة ثم بدأت فى التصاعد تدريجياً حتى وصلت إلى

قمتها خلال القرن الحادى عشر حيث يسرد المقريزى البطون العربية قائلاً "... ولما قدم الغزو صحبه أسد الدين شيركوه إلى مصر وكان بأرض مصر من العرب طلحة وجعفر وبلى وجهينة ولخم وجذام وشيبان وعذرة وطى وسنبس وحنيفة ومخزوم وفى جرائد الدولة الفاطمية منهم ألوف..." ففى العصر الفاطمى (ق 11م) هبطت مصر قبائل من عرب الشام والمغرب إلى جانب بنى سليم وهلال وخزام وغير ذلك.

ارتبط توزيع القبائل فى مصر بالهوامش ففى تخوم شرق الدلتا والجفار فى الفرما كانت بلى وبياضة وبنى صدر وكذلك عذرة وكنانة وبنى عدى ومدلج، وفى الشرقية خزام وبنى وائل وبطون من جهينة وفى القليوبية بنى سليم، أما فى بطن الريف فكانت هناك بعض القبائل البربرية "لواته، مزاته" وفزارة العربية وسنبس وبنى عمر، أما فى الحوف الغربى نجد "عربان البحيرة" ويبرز هنا العنصر البربرى (لواتة . زنارة . مزاتة . هوارة) بالإضافة إلى العناصر العربية بنى سليم وسبنس وفايد ولبيد.

وفى الصعيد تركزت هذه العناصر على هامش الوادى ففى الجيزة عرب العزالة وبيوت من لواتة بكل من البهنسا والجيزة وبنى عدى بأطفيح وفى الفيوم استقرت بيوت من بنى سليم وبنى كلاب ولواتة والحرابى.

وبوسط الصعيد من المنيا حتى أخميم تنتشر بيوت من جهينة وبلى وكذلك ربيعة وبنى قرة وبنى عامر وفيما بين جرجا وقنا تركزت بيوت هوارة، أما فى الجنوب من ثنية قنا حتى أسوان استقرت قبائل ربيعة والجعافرة وسليم وبنى هلال وهناك بيوت بنى عقبة وبنى حميل بإسنا والعليقات والكنوز، وعلى جانبى الوادى انتشرت الجوازى والفوايد وأولاد على من أسيوط حتى السلوم،

فى حين تناثرت قبائل الحويطات والسنارى والنبعات من أسيوط حتى العريش.

وبصفة عامة يلاحظ أن معظم قبائل شرق الدلتا والنيل قحطانية أى من عرب الجنوب، أما معظم القبائل الغربية فمهى عدنانية وبربرية، وتعيش مسميات كثيرة من هذه القبائل والبطون فى الكثير من أسماء المواضع الحالية بصورة تتجاوز الحصر والتمثيل.

ولكن ماذا عن التأثير الجنسى للجماعات الوافدة؟ وما هو مؤكد أن الوفود العربى لمصر أهم هجرة وافدة وأكثرها تأثيراً على الشعب المصرى وإن لم تكن مغيرة فى الصفات السلالية للمصريين وتفسير ذلك هو التشابه الجنسى بل والقرابة الأنثربولوجية بين المصريين والوافدين العرب، فعرب الجزيرة العربية من الساميين بل هم قلب السامية ومن المعروف أن الساميين والحاميين الذى ينتمى إليهم المصريون من جنس مشترك واحد أو فرعان من شجرة واحدة، بدليل أوجه التشابهات العديدة بينهما لغوياً وحضارياً، فضلاً عن الصفات الجسمية ذاتها.

ومن الواضح أن السمايين الشماليين (العرب) والحاميين والشرقيين (منهم المصريين) ذو قرابة أنثربولوجية وجغرافية، فإذا كان البحر الأحمر فاصلاً بين الساميين والحاميين فإن الاستثناء الوحيد كان سيناء وبالتالى لم ينفصل ساميو الجزيرة عن حامى مصر أبداً وفى النهاية فإن عرب الجزيرة ومصريى النيل يمثلون معاً المجموعتين الأكثر تشابهاً وتداخلاً والأشد تقارباً بين كل الساميين والحاميين معاً.

وفى ضوء ذلك يمكن تعليل نجاح موجة الهجرة العربية فى مصر فى حين فشلت غيرها ويعلل أيضاً كيف أن الأعداد الكبيرة الوافدة ورغم اختلاطها

بالمصريين لم تغير التركيب الأساسى لجسم السكان حيث أن العنصر العربى من أصل قاعدى واحد مشترك مع العنصر المصرى ولا يختلف جسمياً، والصفات الجسمية الرئيسة متشابهة متقاربة خاصة الرأس الطويل ولون البشرة والشعر والعين والطول والقوام...، حتى عنصر الرأس العريض السائد فى عرب الجنوب لم يكن غريباً على مصر، إذ كشفت الأبحاث فى بعض المقابر العربية قرب القاهرة عن مجموعات كبيرة ذات جماجم عريضة ولها مثيلتها أيضاً بين المصريين.

وقد أوجز "جمال حمدان" الأثر العربى فى بلاغة بقوله: ".. كان عملية تغيير لسان العرب أولاً وقلب ثانياً ثم كان عملية تغيير جلد فى المرتبة الثالثة، بينما لم يكن تغيير دم إلا فى المرتبة الرابعة".

بالإضافة إلى هذه الموجات الوافدة ذات الكثافات العالية كانت هناك بعض العناصر ذات التأثير المحدود المحلى كالموجات التى كانت تمثل مصر لها معبراً كتيار الحجاج المغاربة والأندلسيين وبيدو تأثيرهم على الجانبين الغربى من وادى النيل ابتداء من البحيرة حتى الفيوم والصعيد الأوسط، وأيضاً الموجات التركية والمملوكية ذات الأثر السلالى والذى يبدو فى بعض العناصر المصرية مثل لون البشرة الفاتح وكذلك العيون والشعر أو فى الصفات الهيكلية كالرأس الألبى العريض، وإن كانت هذه المؤثرات، فى مواضع محدودة ومحددة أيضاً.

وأخيراً لخص "شانتر Chantre" التاريخ الجنسى للمصرين فيما يلى:

. يمتاز المصريون القدماء والمحدثون بطابع خاص وهو اتحاد الشكل ووضوح الشخصية برغم ما تعرضت له مصر من غزوات متعددة وهجرات كثيرة زادت على أربعين موجة دخيلة.

. لم يكن للنزوح الجنسى إلى مصر . عسكرى أم مدنى . أى أثر واضح فى تغيير الشكل الأصلى للسكان مما يدل على أن الشكل المصرى كان من القوة بحيث استوعب كل الأشكال الأجنبية التى دخلت البلاد.

. التشابه بين المصريين والبيجا ليس مرجعه حدوث اختلاط جنسى بين الفريقين وإنما مرده إلى وحدة الأصل.

. ليست الحضارة المصرية أصيلة فى وادى النيل فحسب بل تمتد لقرون طويلة سابقة كما أثبتت الحفائر والتنقيب مؤكدة على عراقة الجنس والحضارة كذلك.

النوبيون:

تعود الدراسات الأثرية بتاريخ النوبيين إلى بدايات التاريخ المصرى القديم فيما قبل الأسرات، ويقسم تاريخ النوبة إلى عدة مراحل تتعاصر مع مراحل التاريخ المصرى القديم وترتبط به ارتباطاً وثيقاً، ويعد النوبيين من أكثر العناصر المصرية التى تعرضت عبر تاريخها الطويل لكثير من المؤثرات الجنسية الأجنبية والتى أثرت عليهم ودخلت فى تكوينهم حتى صار على ما هو عليه الآن، فهم بصورتهم الحالية ورغم عزلة إقليمهم وقلة إمكاناتهم إلا أنهم مجموعة شديد التخليط.

ويتوزع النوبيون فى مصر فيما بين أسوان شمالاً إلى الشلال الثانى عند حلفا أى لمسافة 350كم على جانبى النهر، ثم تجتاز الحدود السودانية حتى ثنية النيل عند الدبة وتغير الموطن بعد إنشاء السد العالى، ومن الثابت تاريخياً أن النوبيين كانوا أبعد انتشاراً من حدهم الجنوبى الحالى أو كان حدهم الشلال السادس، أى ضعف امتدادهم الحالى.

وقد اختلف العلماء حول أصل النوبيين جنسياً وكذلك حول أصل النوبة لغوياً، وهناك نظريتان متعارضتان فى ذلك الشأن: الأولى ترجعهم إلى أصول زنجية أفريقية أتت من الجنوب ثم تعدلت بعناصر ودماء حامية من الشمال، وحضارياً ترى هذه النظرية أن النوبيين من أصل زنجى أضيفت إليها عناصر حامية، أما النظرية الثانية فترى أن الأساس القاعدى هو العكس حيث أن النوبيين عنصر حامى قوقازى أتى من الشمال وتعرض لمؤثرات زنجية جنوبية ونفس الرأى ينطبق على حضارة النوبة ولغتهم.

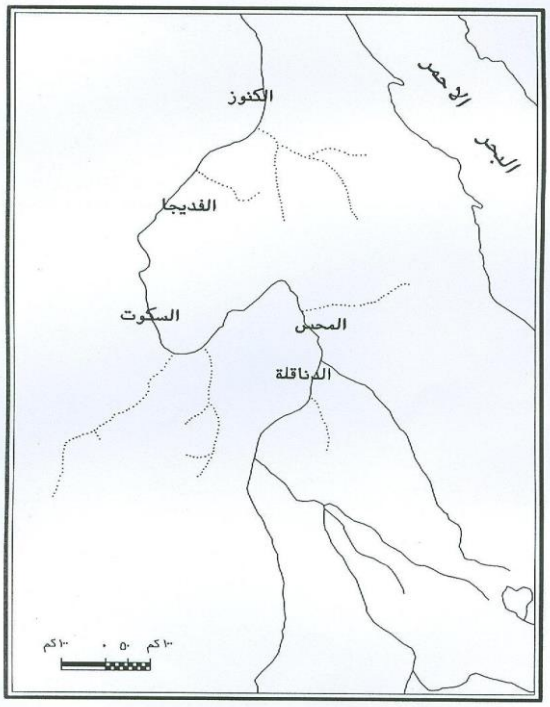

انتشار النوبيين فى مصر والسودان

وقد أكدت البحوث والدراسات الحديثة صحة الرأى الثانى وسقطت النظرية الزنجية بشقيها الجنسى والحضارى، فقد أثبتت الدراست التى قام بها "أليوت سميث" على هياكل وجماجم المجموعات الأقدم من النوبيين أن هؤلاء لا تختلف صفاتهم السلالية عن مقاسات المصريين القدماء فيما قبل الأسرات، وأثبت "سليجمان" وحدة الشعبين وتعاصرهما.

ويعنى ذلك أن النوبيين يبدأون تقريباً من نفس البداية المصرية والأصل الجنسى المشترك أى من الحاميين الشرقيين بكل صفاتهم المعروفة، كما أنهم لم ينفصلوا حضارياً عن مصر طوال تاريخها الطويل.

وإن كان النوبيون تعرضوا لمؤثرات جنسية كثيفة من الجنوب السودانى كما من قبائل البيجا فى الجنوب الشرقى، فكانت هذه المؤثرات هى التى أبعدتهم عن النمط المصرى ويفسر ذلك أيضاً تصوير النوبيين من قبل الفنان المصرى القديم باللون الأسود والملامح المتزنجة، حيث اجتمعت فيهم ثلاثة مؤثرات مختلفة طبعتهم بخصائص سلالية متميزة وهذه المؤثرات: "البجاوية . المصرية . الزنجية" وقليلاً من العناصر الليبية الغربية، ومن هذا الخليط تحدد نمطهم السلالى، إلى أن أتى الفتح العربى (القرن السابع الميلادى) وخاصة بعد وفود "ربيعة" القبيلة الحجازية الكبرى والتى نقلت إليهم الإسلام والعربية بعد اختلاطهم بها وانصاهرهم مع هذه العناصر العربية.

والصفات السلالية الحالية للنوبيين "القامة المتوسطة النحيفة، الرأس الطويل، ويكثر فيه نمط رأس مصريى ما قبل الأسرات مما يدل على العلاقة السلالية القديمة، والوجه طويل والأكثر استطالة من وجه المصريين، واللون داكن شديد السمرة، أما الملامح والتقاطيع قوقازية بعيدة تماماً عن الصفات الزنجية فالأنف مستقيم غير عريض والشفاة معتدلة"، أى يمكن أن يطلق عليهم تعبير "القوقازيين السود" وهو تعبير أقرب ما يكون إلى الصحة فى حالة النوبيين.

ينقسم النوبيين إلى خمس مجموعات أو قبائل بمعنى أدق وهى من الجنوب إلى الشمال:

"الدناقلة، المحسى، السكوت، الفديجة، الكنوز"، والثلاث الأولى فى النوبة السودانية، والأخيرتان هما النوبيين المصريون، والخط الفاصل بينهم هو ثنية كرسكو . الدر، أو بمعنى آخر وادى العرب الذى يختلف عن كلتا المجموعتين، وهذا التوزيع كله بالطبع هو توزيع النوبة القديمة قبل الانتقال إلى النوبة الجديدة.

كانت تمتد منطقة الكنوز من الشلال وأسوان حتى ك 145 عند بلدة المضيق، ويلفت الانتباه أن "الكنوز" لا علاقة بهم "ببنى الكنز" من ربيعة حيث تسمية "ربيعة" ببنى الكنز كانت تسمية عارضة خلال العصر الوسيط، وكان إقليم الكنوز يضم 17 قرية ونجعاً ولهم لهجتهم الخاصة بهم وهى "الماتوك أو المتوكية"، والكنوز هم نوبيو مصر القدامى ومن ثم الأكثر تعريباً لغة وجنساً، كما ان ملامحهم الأكثر تنسيقاً وتعديلاً واعتدالاً بحيث لا يكادون يختلفون فى مظهرهم الطبيعى عن جيرانهم من سكان الصعيد الأعلى.

أما الفديجا نسبة إلى لهجتهم، فتمتد منطقتهم السابقة من ك 183 حتى الحدود وكانت تضم 19 قرية، ويعد الفديجا مهاجرون جدد فى مصر، فهم أصلاً جماعة من المحسى والسكوت لجأوا إلى الشمال هرباً من اضطرابات المهدية فى القرن الماضى، وأقاموا قى جنوب النوبة المصرية حيث اكتسبوا اسمهم الجديد.

أما المنطقة الفاصلة بين الكنوز والفديجا وهى منطقة وادى العرب كانت تمتد بين ك 145 وك 184، وضمت ست قرى "وادى العرب، السبوع، المالكى، شاتورمة، السنقارى، كرسكو" واكتسب هذا الوادى اسمه من قبيلة العليقات أو ما يطلقون عليها "العقيلات" والتى هاجرت من سيناء خلال القرن 18، ويؤكد عليقات سيناء صحة هذه الصلة حيث يؤكدوا أن أولى

قبائل العليقات وفدت إلى مصر خلال العصر الأموى ثم انقسموا إلى سبع بيوت واحدة استقرت بالطور وأخرى استقرت بأبوزعبل بالقليوبية واثنتان بوادى العرب بالنوبة وخامسة فى بلانة والسادسة فى أدندان أما الأخيرة فهاجرت إلى السودان.

وتشير الصفات الجنسية لسكان وادى العرب إلى هويتهم حيث بشرتهم أفتح نوعاً ما من جيرانهم سواء الشماليين والجنوبيين، وشعرهم مموج، وقليلاً ما كانوا يمارسون الزواج المختلط مع جيرانهم النوبيين، وتمثل منطقة كرسكو الاستثناء الوحيد حيث أنها نقطة التقاء العليقات شمالاً والفديجا فى الجنوب والعبابدة فى الشرق وقد اختلطت العناصر الثلاثة بها محلياً.

سكان الصحراء:

تمثل العناصر الخارجية أساساً قاعدياً لسكان الصحراوات المصرية كالعنصر العربى وقبائل البجا فى الصحراء الشرقية والعنصر البربرى والليبى والعربى فى الصحراء الغربية، ويمثل العنصر العربى قاسماً مشتركاً بين الصحراوين وإن كانت الصحراء الشرقية نالت الجزء الأكبر من الوفود العربى بحكم قربها من مصدره، وتعكس المسميات فى الصحراوات نمطاً متميزاً عن الوادى كالبيجاوية فى جنوب شرقى مصر والبربرية فى بعض واحات الصحراء الغربية.

يبلغ عدد القبائل البدوية فى مصر حالياً حوالى خمسون قبيلة يتركز معظمها فى الصحراوات وقليل منها يتركز على هامش الوادى والدلتا، فتوجد بعض العناصر العربية الشرقية (سيناء . البحر الأحمر) على أطراف الوادى الشرقية وخاصة شرقى الدلتا وتخوم الوادى الشرقى، وأيضاً العناصر العربية الغربية على أطراف الدلتا الغربية (البحيرة).

الصحراء الشرقية:

تتقاسم الصحراء الشرقية عنصرين أساسيين هما البجا الحامى فى الجنوب والعنصر العربى شمالاً، ويمثل وادى الحمامات (طريق قفط . القصير) الحد الفاصل بينهما، ونظراً للعزلة الشديدة التى يتصف بها كلا العنصرين فقد احتفظا بنقاوة جنسهما، وكل يعتبر ممثلاً جيداً لعنصره الكبير الحاميين والساميين بصفاتهما المعروفة.

يتصف البجا بالبشرة السمراء الضاربة إلى الحمرة وينقسمون إلى مجموعتين هما البشارية فى الجنوب والعبابدة شمالاً، وبرغم قلة عدد البشاريون إلا أنهم يحتلون منطقة شاسعة جداً بين النيل والبحر الأحمر تمتد من أسوان حتى الخرطوم وإن كان الجزء الأكبر منها يقع فى السودان.

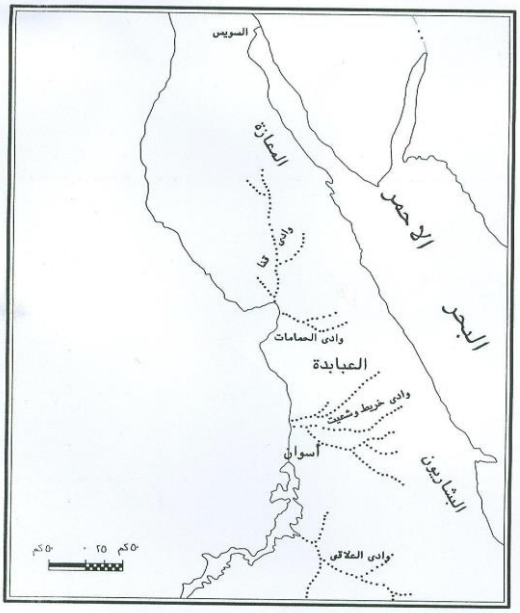

مناطق نفوذ القبائل فى الصحراء الشرقية

وينقسم البشاريون إلى مجموعتين ثانويتين: بشارية أم ناجى جنوباً وبشارية أم على فى الشمال وتتوزع الأخيرة على جانبى الحدود بين السودان ومصر،

لذا هم منقسمون كالنوبيين بين بشارية مصر وبشارية السودان، وينتشر بشاريو مصر بين البحر الأحمر وأسوان، ورغم أن البشاريون يتقنون العربية فإن لهم لغتهم البيجاوية الخاصة بهم وهى التبداوية.

يتركز العبابدة جميعاً فى مصر ويحتلون بقية الصحراء الشرقية حتى خاصرة وادى النيل (الثنية) أو هضبة العبابدة كما تنسب إليهم ولا يختلفون عن البشاريين فى صفاتهم السلالية ولكنهم اختلفوا ثقافياً حيث أصبحت العربية هى الأساس الحضارى والثقافى لهم، وفقدوا البيجاوية وتم تمصيرهم منذ وقت طويل خاصة العناصر المتاخمة لوادى النيل.

إلى الشمال من ثنية قنا يبدأ العنصر العربى للصحراء الشرقية ويتمثل ذلك العنصر فى قبائل "المعازة" وهناك أيضاً قبيلة "جهينة" فى وسط الصحراء الشرقية كحد فاصل بين العبابدة جنوباً والمعازة شمالاً، ويحتل المعازة الهضبة المعروفة باسمهم ويصلون شمالاً حتى مشارف السويس، وتعد المعازة من القبائل التى لا زالت تحتفظ بصفتها القبلية والعربية حيث ساعدتها على ذلك مواضع عزلتهم

وتشبه فى ذلك بعض قبائل جنوب سيناء والتى انعزلت فى مثلث شبه جزيرة سيناء، على العكس من قبائل سيناء الشمالية التى تقع على طريق ذو حركة ونشاط فاختلطت بمؤثرات خارجية.

وتوجد فى سيناء حوالى 17 قبيلة ويرجعها "مرى" إلى أصول آسيوية من جنوب فلسطين والأردن وشمالى السعودية، وتعد السواركة كبرى قبائل شبة الجزيرة ثم الرميلات والبياضية ومن أهم قبائل الشمال المساعيد وقطية والترابين وفى الوسط تسود الحويطات ثم التياهه . من هضبة التيه . حيث تنتشر حول نخل وجبل الحلال ووادى العريش أما فى الجنوب فهناك جباليا حول جبل الطور ثم العليقات، ويجتمع فى وادى فيران عديد من البطون العربية من الحويطات والحوارشة والصوالحة ومزينة وأولاد سعيد والعليقات.

الصحراء الغربية:

تنقسم إلى منطقتين: الواحات جنوباً والساحل فى الشمال، والأولى قل فيها الأثر المتوسطى الآسيوى المصدر أى سامى من عرب الجزيرة، بمعنى أن أثر العنصر العربى فى مصر كان قليلاً فى واحات الصحراء الغربية، أما الساحل الشمالى للصحراء الغربية فقد كان عربياً.

وقد تأثرت الواحات المصرية بثلاث مؤثرات: المصرية من الشرق، البربرية من الغرب والزنجية جنوباً، ويلعب الموقع الجغرافى دوراً مهماً فى حجم التأثير والتأثر بأى من هذه العناصر، وتعكس مسميات المواضع فى كل واحة منها حجم هذا التأثر فأقربها إلى النيل أكثرها مصرية وأبعدها عنه أكثرها بربرية وأقصاها جنوبية متزنجة، رغم أن جميعها تتكلم العربية ومصرية الحضارة والثقافة.

فالواحات الخارجة والداخلة مصرية مطلقة لا تختلف فى شىء عن سكان الوادى إلا أن القامة أقصر قليلاً والرأس أصغر نوعاً فى حين لون البشرة أفتح نسبياً كما أن الشعر أكثر استقامة، وفيما عدا ذلك فالملامح مصرية خالصة، وتتميز الخارجة بعرق زنجى واضح فى نحو ثلث السكان خاصة فيما يتعلق ببروز الفك الأسفل ومرجع ذلك إلى المؤثرات السودانية الجنوبية بما فيها أثر تجارة الرقيق نتيجة لموقع الخارجة على طريق درب الأربعين، ويحتمل أن يكون ذلك الأثر الزنجى مكتسب خلال العصر الرومانى حيث لم يكن له أى أثر فى جماجم وهياكل العصر الفرعونى.

وعلى العكس من الخارجة واحة "سيوه" فهى بربرية أى مغربية أو ليبية من الحاميين الشماليين وهى امتداد سلالى وجغرافى للواحة التوأم "جغبوب" عبر الحدود الليبية، وبين الطرفين (الخارجة . سيوه) تكاد تتكافىء بقية الواحات المصرية (البحرية . باريس .....) فى العناصر الثلاثة المكونة لسكانها بصورة انتقالية وتدريجية.

أما عن الساحل الشمالى للصحراء الغربية فهو نطاق قبائل أولاد على والذى يستمر عبر الحدود فى برقة ويكاد يتوازى حجم أولاد على مع النوبيين وبذلك تعتبر كبرى قبائل مصر العربية، وتنقسم إلى قسمين أولاد على الأحمر وأولاد على الأبيض، والاعتقاد بأنها قبيلة ليبية اعتقاد خاطىء بالرغم من امتدادها حتى برقة بل أن جزئها الأكبر يقع فى الأراضى الليبية، وإنما هى قبيلة عربية وافدة من الجزيرة العربية فى العصر الوسيط، غير أنها تداخلت مع العنصر المصرى واختلطت به وبصفة خاصة فى أقصى الشرق تجاه الاسكندرية.

إلى جانب أولاد على تنتشر بعض البطون العربية الصغيرة فى الجزء الشمالى والشمالى الشرقى من الصحراء الغربية حيث تتداخل أطراف الدلتا والفيوم وشمالى الصعيد، فهناك الجميعات حول مريوط، الجوابيص بوادى النطرون ثم السمالوس ينتشرون بأطراف الفيوم الغربية، وحول الفيوم أيضاً هناك بعض البطون شبه المستقرة كالبراعصة والضعفا والحرابى...

إذن يبرز الشعب المصرى منذ فجر التاريخ كوحدة جنسية واحدة الأصل متجانسة بشدة فى الصفات والملامح الجسمية، وقد ظل محافظاً على هذا التجانس حتى اليوم دون أن تحدث أى ابتعادات ملموسة عن النمط الأول (إنسان قبيل الأسرات) مع وجود تخصصات محلية ضيقة (النوبة . الصحراوات).

– المراجع

أولاً :المراجع العربية:

– إبراهيم رزقانة، العائلة البشرية، القاهرة، 1950م.

– إبراهيم دسوقي محمود، العمران في الصعيد الأعلى، دراسة في الجغرافيا التاريخية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، 1994م.

– أحمد لطفي السيد، قبائل العرب في مصر، القاهرة 1936م.

– جمال حمدان، اليهود أنثربولوجيا، القاهرة، 1967م.

– جمال حمدان، شخصية مصر، جـ 2، القاهرة، 1981م.

– جمال الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، جـ 1، 2، الإسكندرية، 1967م.

– سليمان حزين، مقومات الحضارة المصرية ...، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، جـ 1، القاهرة، 1962م.

– سيمونز، ج، لون البشرة وأثره في العلاقات الإنسانية، ترجمة علي عون الأنصاري، سلسلة الألف كتاب، 1964م.

– فؤاد الصقار، التفرقة العنصرية في أفريقيا، القاهرة، 1962م.

– محمد السيد غلاب، تطور الجنس البشري، الإسكندرية، 1955م.

– محمد شفيق غربال، تكوين مصر، ترجمة محمد رفعت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1977م.

– المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة، 1961م.

– محمد عوض محمد، سكان هذا الكوكب، القاهرة، 1936م.

– محمد عوض محمد، السودان الشمالي، القاهرة، 1951م.

– محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الأفريقية، القاهرة، 1966م.

- يسري الجوهري، الإنسان وسلالاته، الإسكندرية، 1993م.
- يسري الجوهري، أسس الجغرافيا البشرية، الإسكندرية، 1982م.

ثانياً :المراجع الأجنبية:

- Batrawi, A., The Racial History of Egypt& Nuba, J. A. I., VOL. 75, 1945.
- Batrawi, A., The Racial Relationship of The Ancient& Modern Population of Egypt& Nuba, J., A. I., VOL. 76, 1946.
- Brook, L., The Americas, London, 1943.
- Cola, S., Races of Man, London, 1963.
- Coon, C., Races of Europe, New York, 1939.
- Deniker, J., The Races of Man, Paris, 1900.
- Haddon, A., Races of Man, Cambridge, 1927.
- Hawells, W., Mankind so far, London, 1948.
- Huzayyin, S., The Place of Egypt in Prehistory, Cairo, 1941.
- Murray, G., Sons of Ishmael …, London, 1935.
- Ripley, W., Races of Eurobe, London, 1899.
- Seligman, C., Races of Africa, London, 1939.
- Smith, E., The Ancient Egyptian …., London, 1923.

إختصارات:

- G. J., Geographical Journal.
- J. A. I., Journal of The Anthrapological Institute.

رقم الإيداع بدار الكتب
99 /15586